البحر الأحمر
فى الحرب العالمية الأولى

« ١٩١٤ - ١٩١٨م »

دكتور إبراهيم محمد حسن

الطبعة الأولى
١٩٩٨م



عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية
ĒIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

المستشارون

د . أحمد إبراهيم الهوارى

د . شوقى عبد القوى حبيب

د . على السيد على

د . قاسم عبده قاسم

مدير النشر: محمد عبد الرحمن عفيفى

تصميم الغلاف : منى العيسوى

الناشر : عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

- ٦ شارع يوسف فهمى - اسباتس - الهرم - ج.م.ع - تليفون : ٣٨٥١٢٧٦

- ٥ شارع ترعة المريوطية - الهرم - ج.م.ع - تليفون : ٣٨٧١٦٩٣

Publisher:ÈIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

6, Yousef Fahmy St., Spates - Elharam - A.R.E. Tel : 3851276

5, Maryoutia St., Elharam - A.R.E. Tel : 3871693

المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾

صدق الله العظيم

إهـــــداء ...

إلى التى بعثت في روحى العزم ، ومنحتنى الصبر والجلد والمثابرة ، وتحملت معي مشقة إنجاز هذا البحث .

إلى زوجتى الغالية .

وإلى كل فرد ساهم في وصولى إلي مصادر ومراجع هذا البحث .

أهدى هذا العمل اعترافًا بالفضل ، وإيمانًا بالحياة المشتركة

إبراهيم محمد حسن

شكر وتقدير

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، هدانا الله بهديه وعرفنا طريق شكره والاعتراف بفضله ..

وبعد ....

فمن واجب الوفاء والاعتراف بالفضل أن أقدم جزيل الشكر وعظيم التقدير إلى المرحوم الأستاذ الدكتور جلال يحيى على فضله - بعد الله تعالي - علي المساعدة العلمية التي شملني بها - فى حياته - منذ أن تقدمت للتسجيل لهذا البحث .

وكذلك إلى الأستاذ الفاضل الدكتور محمود حلمي مصطفي رحمه الله الذى شملنى بكرم الرعاية والتشجيع طوال العمل فى البحث .

وأخيراً إلى الأستاذ الدكتور عاصم الدسوقي عرفانًا ووفاءً بفضله العلمي ورعايته وصبره وحلمه الذي لاينفد علي طلابه حتي يصلوا إلى المستوي المشرف الذى يريده لهم ، ولن أستطيع بكلمات أن أوفيه حقه ، فأبتهل إلى العلى القدير أن يجزيه خير الجزاء .

ولا يفوتني أن أقدم الشكر إلى كل من أسدي إليّ يد العون فى سبيل إنجاز هذا البحث ، جزي الله عني الجميع خير الجزاء .

والله ولي التوفيق ،

مقدمـــة

البحر الأحمر ، هذه الكلمة كان لها على مدى التاريخ في العصور القديمة والوسطي والحديثة مدلول خاص ، لذلك اجتذب هذا البحر أنواعًا شتي من الرحالة والمغامرين والتجار والشعوب والإمبراطوريات للسيطرة علي أجزاء منه أو عليه كله .

وترجع هذه الأهمية إلي أن هذا البحر كان ومازال همزة الوصل بين الشرق والغرب ، وأنه يختصر المسافة بين الغرب الأوربي والشرق الأفريقي والآسيوي اختصاراً شديداً فى الوقت والمال والزمان بالنسبة للإبحار فيه .

لذلك كان البحر الأحمر مهداً للتجارة المحلية والعالمية منذ أقدم العصور التاريخية ، حيث صور لنا قدماء المصريين رحلاتهم إلى بلاد الصومال والحبشة واليمن . وازدادت أهمية البحر الأخحمر بمرور الوقت في عصر البطالمة والرومان والعرب حتي جاء البرتغاليون بكشوفهم وتم تحول التجارة العالمية من هذا البحر إلي جنوب وغرب أفريقيا إلى أوربا ، وكانت النتيجة أن ضعفت الشعوب المطلة عليه لحرمانها من المكاسب التي كانت تجنيها من مرور هذه التجارة علي أراضيها أو بالقرب منها وكان أن ضعف العالم الإسلامي بأسره لفقدانه مكاسب هذه التجارة وإن ظلت التجارة المحلية بين شعوبه مستمرة رغم غارات البرتغاليين فى فترات كثيرة.

ولكن بمجرد افتتاح قناة السويس ظهرت أهمية هذا البحر مرة أخري وأصبحت الشريان الرئيسى للتجارة الدولية وظهرت أهمية هذا البحر بجوانبه الشمالية والجنوبية والأراضي التى تقع على سواحله الشرقية والغربية ، وأصبح ملتقي الأطماع الدولية العالمية التي تمثلت فى ذلك الوقت فى انجلترا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا وتركيا .

ونستطيع هنا أن نذكر أن البحر الأحمر بما له من موقع جغرافي ممتاز يربط بين قارات العالم كلها ويقرّب الشرق من الغرب والعكس وخاصة بعد فتح قناة السويس وتدفق المواد الخام من المستعمرات فى الشرق إلى الغرب وصناعات أوربا إلى مستعمراتها في الشرق ، أن أصبح قبلة الدول الاستعمارية مثل انجلترا التى فازت فيه بنصيب الأسد بعد أن احتلت عدن فى المدخل الجنوبى له واستعمرت مصر والسودان والصومال .

ولهذه الأهمية العالمية علي مدى التاريخ والتى تظهر خاصة فى الحرب العالمية الأولى من ١٩١٤ - ١٩١٨ لشعوب البحر الأحمر والسيطرة عليه وعلى المناطق المطلة عليه وعلى مداخله فى الجنوب والشمال دور كبير وكان البحر الأحمر من ضمن العوامل الرئيسية التى حولت هزائم الحلفاء فى أوربا إلي انتصارات كبيرة فى الشرق ومهدت لهزائم تركيا وألمانيا وكانت النتيجة النهائية لمعارك الشرق انتصار الحلفاء .

لذلك أوضحت فى فصول البحث الدور العسكرى والتجارى العالمى الذى لعبه البحر الأحمر في الحرب العالمية الأولى مع الأخذ فى الاعتبار المناطق والشعوب المطلة علي سواحله الشرقية والغربية ودورها فى هذه الحرب .

وقد أوضحت كذلك الدور الذى لعبته انجلترا فى الاستفادة من إمكانيات هذه المناطق باستخدام الثروة البشرية والاقتصادية والعسكرية وطرق المواصلات دون أن تقدم لهذه الشعوب إلا الخديعة والغدر وفرض سيطرتها لاستعمارية عليها .

. وقد قسمت البحث إلي تمهيد وأربعة فصول ، تناولت في التمهيد أهمية البحر الأحمر للملاحة بين الشعوب المطلة عليه والملاحة الدولية منذ رحلات الفراعنة إلى بلاد الصومال والحبشة واليمن وتطور التجارة بعد ذلك عند البطالمة والرومان والعرب والمماليك حتى وصول العثمانيين سنة ١٥١٧م واحتلالهم مصر وجزيرة العرب وسيطرتهم الكاملة علي البحر الأحمر والتجارة منه ، وكذلك وصول البرتغاليين وتحويلهم طريق التجارة من البحر الأحمر إلى جنوب وغرب أفريقيا عن طريق رأس الرجاء الصالح إلى غرب أوربا . وضعف العالم الإسلامى وخاصة مصر لما سببه لها هذا التحول من خسارة الأموال التى كانت تكسبها من مرور التجارة فى أراضيها .

وكذلك استعرضت ضعف الدولة العثمانية المسيطرة على الشرق العربي وبداية حصول الدول الأوربية على العديد من الامتيازات داخل هذه المناطق وبداية تطلعها إلى الزيادة منها واحتلالها لهذه المناطق واحدة وراء الأخرى مثل الحملة الفرنسية واحتلالها لمصر وجلائها بعد تدخل الإنجليز واحتلال الإنجليز لمصر سنة ١٨٨٢ بعد افتتاح قناة السويس وظهور أهميتها للمواصلات الإمبراطورية بين الشرق والغرب واحتلال السودان التابع لمصر واحتلال عدن في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر ولأجزاء من الصومال والساحل الغربى للخليج الفارسي من عمان إلى الكويت واحتلال فرنسا وإيطاليا لأجزاء من الصومال بعد إجلاء مصر عنه .

وكـذلك اسـتـعـرضت الصـراع الدولى بين هذه الدول وبعـضـهـا للفـوز بأكـبـر نصـيب من الامتيـازات داخل الدولة العثمانيـة نفسها أو داخل الولايات التابعة لها حتى بعد دخول ألمانيا التي زادت من حدة ذلك الصراع .

وفى الفصل الأول استعرضت الصراع بين القوى السياسية فى البحر الأحمر عشية اندلاع الحرب العالمية الأولى وقد انحصر الصراع بين تركيا وألمانيا حليفتها من جهة وبين بريطانيا وفرنسا وإيطاليا من جهة أخرى ، وكذلك فقد عرضت للعلاقة التى نشأت بين تركيا وألمانيا بعد أن رأت تركيا في ألمانيا المنقذ الوحيد لها من ضعفها الاقتصادى والعسكري وأنها - أي ألمانيا - لاتطمع في احتلال الولايات التابعة لها مثل انجلترا وإيطاليا وفرنسا ، وفتحت لها أبوابها الاقتصادية والعسكرية . ومن هنا نشأ الصراع لخوف انجلترا وحليفاتها من التغلغل داخل الدولة العثمانية والوقوف ضد الأطماع التى كانت تبيتها انجلترا وفرنسا وإيطاليا من أجل انتهاز الفرصة والانقضاض على الولايات واحدة وراء الأخرى مثلما حدث لليبيا بعد أن انقضت عليها إيطاليا واحتلتها ومساندة إيطاليا لإمارة عسير وإخراجها عن طاعة تركيا . وانتهى هذا الفصل بوجود معسكرين متصارعين ، ألمانيا وحليفتها تركيا من جهة ، وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا من جهة أخرى ، ولو أن هذا الصراع كان يأخذ الشكل الاقتصادى والسياسى دون العسكرى .

أما فى الفصل الثانى فقد استعرضت فيه التغيرات السياسية التى حدثت فى منطقة البحر الأحمر نتيجة لقيام الحرب العالمية الأولى ، إذ أنه من الطبيعى أن يتحول الصراع الاقتصادي والسياسى بين المعسكرين المتضادين إلى صراع عسكرى يحسم هذا النزاع ، وكان أن نشبت الحرب بين المعسكرين ، ألمانيا وتركيا من جهة وكل من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا من جهة أخرى . ونتيجة لتلك الحرب حدثت تغيرات ، هذه التغيرات تناولتها بالتفصيل فى كل منطقة على حدة ، مثلا فى مصر ألغت بريطانيا السيادة العثمانية على مصر والسودان ولو أنها كانت بالاسم فقط وضمت مصر إلى أملاكها بمقتضي إعلان الحماية في سنة ١٩١٤ وبذلك انفصلت مصر والسودان نهائيًا عن سيادة الدولة العثمانية وماتبع ذلك من سطوة الاحتلال وفرض الأحكام العرفية وتجنيد المصريين للحرب علاوة على استغلال كل الإمكانيات الاقتصادية والبشرية وطرق المواصلات لصالح القوات البريطانية ، وأغلقت قناة السويس فى وجه السفن المعادية وأصبح البحر الأحمر بحيرة بريطانية إذ لم يكن لتركيا أو ألمانيا أساطيل

To: www.al-mostafa.com

تجارية أو عسكرية فيه ، وكذلك استعرضت تشجيع إمارة عسير على مواجهة الأتراك فى اليمن والحجاز والعمل على حجز الجيش التركى فى هذه المناطق حتي لايهاجم عدن القاعدة البريطانية الحصينة .

وعلاوة على ذلك بدأت السياسة الإنجليزية فى تجنيد كل ما يمكن تجنيده لخدمة مصالحها ، فبدأت بالشريف حسين الذى كان على خلاف شديد مع الأتراك وشعورها بأنه يريد أن يرضى طموحه بإقامة دولة له ، فوعدته بذلك فى حالة قيامه بالثورة ضد الأتراك ووعدته بالولايات العربية المحررة من الأتراك لكي يقيم عليها دولته المقبلة ، وكذلك بدأت مباحثاتها مع عبد العزيز آل سعود سلطان نجد وعملت علي تحييده وعدم الانضمام إلى تركيا نظير المساعدات المالية والاقتادية له واعترافها به سلطانًا علي نجد وملحقاتها .

وهكذا نجد أن انجلترا جندت العرب أنفسهم لخدمة مصالحها سواء مباشرة أو غير مباشرة رغم أنهم في الأصل تابعين لتركيا ويدينون معها بالدين الإسلامى .

وفى الفصل الثالث تناولت بالتفصيل سير المعارك العسكرية بين الإنجليز والعثمانيين ، وكان مسرح العمليات فى أوربا قد سجل انتصارات ساحقة للألمان علي الإنجليز والفرنسيين والإيطاليين ، أما في الشرق فقد سجلت الجيوش التركية انتصارات كبيرة علىَ عدوتها التقليدية روسيا ، على أساس أن هجوم تركيا على روسيا يخفف الضغط على الجيش الألماني في أوربا ويسمح له بالانقضاض علي الجيوش الفرنسية والإنجليزية ويتم لهما النصر وتستطيع تركيا بعد ذلك استرجاع أملاكها المسلوبة منها .

ولكن الإنجليز بما لهم من خبرة ودراية عسكرية ودبلوماسية ومستعمرات منتشرة فى كل القارات يأخذون منها الجنود والمواد الخام اللازمة للصناعات المدنية والعسكرة استطاعت أن تصمد ، وفي نفس الوقت بدأت هذه الهزائم تتحول إلى انتصارات بعد دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب إلى جانب الحلفاء ضد ألمانيا . ويهمنا فى هذا الفصل المعارك التى دارت فى الشرق وأدت إلى هزيمة الأتراك فى فلسطين والشام .

ولقد تتبعت الحملات العسكرية بقيادة جمال باشا على مصر وقناة السويس بغرض قطع شريان المواصلات العالمى والاستيلاء على مصر والسودان والقضاء على القوة الإنجلزية فى عدن والوصول إلي القوات الألمانية في شرق أفريقيا . ولكن هذه الحملات فشلت فى احتلال قناة السويس وانسحبت إلى فلسطين ، وفى نفس الوقت قامت ثورة الشريف حسين فى الحجاز

وهاجمت القوات العربية القوات التركية فى مكة والطائف وجدة والمدينة واستسلمت هذه الحاميات التركية .

وبعد ذلك واصلت قوات الثورة العربية الزحف إلى شرق الأردن ودخلت جيوش الإنجليز فلسطين واستمر اندفاع الجيش العربي حتى حرر سوريا ولبنان ، وهذا النصر الذى تم فى الحجاز عوض الحملة الإنجليزية الفاشلة على جزيرة غاليبولى الحصينة ، ونجحت القوات الإنجليزية فى طرد الأتراك من العراق ، وبذلك حرمت تركيا من الولايات العربية ومن مصادرها البشرية والاقتصادية أثناء الحرب .

أما في الفصل الرابع ، فقد أوضحت النتائج التى ترتبت علي انتصار الحلفاء وتأثيرها على شعوب البحر الأحمر وأولها مصر التي رفض الإنجليز بعد انتهاء الحرب وعقد مؤتمر الصلح منحها الاستقلال مكافأة لها علي المجهود العسكرى والبشرى والاقتصادى الذى ساهمت به فى الحرب ، وكانت النتيجة لذلك قيام ثورة ١٩١٩ التى أزعجت الإنجليز إزعاجًا شديداً وهددت وجودهم كله فى مصر ، إزاء تلك الثورة صدر تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ بمنح مصر الاستقلال المشروط كمرحلة أولى .

أما بالنسبة إلى فلسطين فقد احتلتها الجيوش البريطانية ورفضت ضمها إلى دولة الشريف حسين حسب المراسلات التى تمت بينه وبين مكماهون المندوب السامي البريطانى فى مصر ، وكان ذلك تمهيداً لسيطرة الصهيونية اليهودية عليها وإقامة دولتهم تحت رعاية الاحتلال الإنجليزي فيما بعد .

أما سوريا ولبنان فقد احتلت بواسطة فرنسا بناء على اتفاقية سايكس بيكو فى سنة ١٩١٦ والتى قسمت الولايات العربية بين بريطانيا وفرنسا ، وكان أن طردت الجيوش الفرنسية جيش الثورة العربى بعد هزيمته فى دمشق واحتلت هذه البلاد ، ضاربة عرض الحائط اتفاق حسين - مكماهون ، أما الشريف حسين الذي وعدته بريطانيا بإقامة دولة مستقلة له فى الولايات المحررة ، فإنها لم تفي بوعدها بحجة أنها لم تعقد معه اتفاقًا رسميًا وإنما ما تم كانت مكاتبات لاترقي إلى مرتبة الاتفاق ، وتركت عبد العزيز آل سعود يهاجمه فى الحجاز ويقضى على قوته حتى تتخلص منه ، وتم لها ما أرادت وأخذته كلاجئ هو وأسرته إلى شرق الأردن حيث أنشئت له إمارة يحكمها هو وأسرته .

وكذلك أخذت ابنه فيصل ملكًا اسميًا على العراق تحت رحمتها ونفوذها ، أما إمارة عسير فقد انتهى دورها المطلوب ، ولم تعد لها أهمية عسكرية تذكر خاصة بعد موت أميرها القوى

الشخصية محمد الإدريسي ، وخلفه ابنه الذى لم يتمكن من إحكام سيطرته فاثر أن ينضم إلى القوة الناشئة فى الجزيرة العربية قوة عبد العزيز آل سعود وبذلك طويت صفحته .

وكذلك استعرضت النتائج التي ترتبت بالنسبة لليمن ، فقط حافظ الإنجليز علي استقلال اليمن خوفًا من وجود دولة أوربية فيه تهدد منطقة نفوذها فى عدن ، وخرج اليمن مستقلاً وهو البلد الوحيد الذى خرج من الحرب مستقلاً بعد أن جلا عنه الأتراك إثر هزيمتهم .

أما عدن فقد زادت سيطرة الإنجليز عليها وأصبحت مهمة بعد أن ظهر دورها الاستراتيجى أثناء الحرب وأحكمت انجلترا قبضتها عليها وحولتها إلى قاعدة عسكرية وجوية متقدمة .

وفي النهاية تأتى خاتمة البحث ثم المصادر ، وقد استعنت بالمصادر العربية القديمة والمعاصرة للأحداث وكذلك المصادر العربية المعاصرة لأحداث الحرب من مراجع وأبحاث ، علاوة على الوثائق البريطانية المنشورة وغير المنشورة . وأرجو أن أكون قد وفقت فى اختيارها وفى وضعها فى مكانها الصحيح .

وختامًا بالوفاء والعرفان .

تمهيد

كان الفراعنة أول من اهتموا بالتجارة اهتمامًا كبيراً ، لأن تجارتهم كانت مع بلاد أعالي النيل وغيرها من بلاد العرب الجنوبية ، وبلاد بونت الواقعة علي شاطئ الصومال منذ أيام الدولة القديمة ، إذ كانوا يستوردون من هذه البلاد العطور والبخور ، والمرّ والقرفة والعاج . كما أن البلاد الواقعة على البحر الأحمر ،وفيما وراء بوغاز باب المندب كانت لاتنتج سوي أدوات الترف وأهمها البخور التي كانت تنمو فى جنوب بلاد العرب وشرقها وبلاد بونت[1] .

كانت بلاد العرب تسيطر علي التجارة القادمة من الشرق الأقصي وبخاصة بلاد الهند التى كانت تصدٌر العاج والأرز والأصواف واللؤلؤ والأصباغ وأنواع البخور المختلفة وأنواع نادرة من الأخشاب والنباتات الطبيعية وكذلك القطن والحرير .

وكانت هذه التجارة القادمة في البحر الأحمر من بلاد بونت واليمن والهند تحتاج إلى سفن قوية تستطيع الإبحار فى مياه البحر الأحمر والمحيط الهندي . ودلّت الحفريات التى قامت بها البعثات الأثرية حديثًا علي أن قدماء المصريين كانوا أول الشعوب التي قامت ببناء السفن وساروا بها في الأنهار والبحار فى عصر ماقبل التاريخ كما تدل آثار الأسرات الأولى فى مصر على تفوق الفراعنة فى فنون الملاحة النهرية والبحرية [2].

وقبل أن يبدأ المصريون القدماء رحلاتهم التجارية فى البحر الأحمر كانوا قد اكتسبوا خبرة من الملاحة فى نهر النيل جعل إبحارهم في البحر الأحمر بعد ذلك شيئًا ممكنًا ، رغم ما قابلهم من صعاب للوصول إلى البحر الأحمر ، فقد اختار المصريون القدماء طريقًا يصل بين وادى النيل وسواحل البحر الأحمر ، وكان هذا الطريق هو طريق وادى الحمامات ، الذى كان يخترق الصحراء الشرقية بن مدينة قفط علي النيل وميناء القصير على البحر الأحمر ، ومن القصير تحمل السفن أنواع التجارة وتتبادلها مع بلاد شرق أفريقيا [3].

---

١ - ابراهيم نصحي : مصر فى عصر البطالمة ، جـ ٣ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٤٩ . وانظر أيضًا :جلال يحيي : مصر الأفريقية والأطماع الاستعمارية في القرن التاسع عشر ، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ١٦ ، وأيضًا : أحمد فخري : اليمن بين القديم والحديث ، مجلة الجمعية المصرية الجغرافية ، القاهرة ، ٤ مارس ، ١٩٥٩ ، ص ٤١ ، وأيضًا : ول ديورانت : قصة الحضارة ، الجزء الثانى ، المجلد الرابع / ١٣ ، ترجمة محمد بدران ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص ١١ .

٢ - سعاد ماهر : البحرية الإسلامية فى مصر وآثارها الباقية ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ١٠٥ . وانظر أيضًا : جلال يحيى : المرجع السابق ، ص ١٦ .

٣ - جلال يحيى : مرجع سابق ، ص ١٧ .

فالملاحة النهرية إذن هى الأساس الذى أكسب المصريين الخبرة اللازمة للإبحار فى البحر الأحمر بعد ذلك ، ولقد نشطت تلك الملاحة إلى حد كبير منذ الدولة القديمة حتى بلغت الشلال الأول جنوبًا فى عهد الملك مينا سنة ٣٢٠٠ ق.م .

وفي عهد الملك سنفرو - أول ملوك الأسرة الرابعة - قامت أول بعثة بحرية منظمة بلغ عدد السفن فيها أربعين سفينة مصرية ، سارت من الشواطئ المصرية متجهة نحو سواحل فينيقيا لجلب الأخشب من لبنان ، وهى الأخشاب المعروفة بشجر الأرز ، وتوغلت السفن المصرية في البحر الأحمر حتى وصلت إلى بلاد (Pounti) (الصومال حاليًا) [١]، وكذلك جنوب شبه جزيرة العرب المعروفة باسم (Felix Arabia) لجلب البخور والعطور وغيرها من منتجات الأقاليم فيها [٢].

وأرسلت الملكة المصرية حتشبسوت بعثة تجارية كبيرة إلى بلاد بونت - سجلتها النقوش علي معبدها المشهور - لتجلب لها البخور وغيره من حاصلات الأقليم إلى مصر ، إذ كانت بلاد بونت فى مختلف عصور التاريخ القديم والوسيط قوية الصلات ليس بمصر فحسب بل ببلاد الحبشة أيضًا ، خاصة وأن التوجه الجغرافى لبلاد الحبشة كان دائمًا ناحية الشرق حيث سواحل البحر الأحمر والمحيط الهندى .

ومما جعل هذا التوجه يبدو طبيعيًا أن أنهار الحبشة مع كثرتها وجريانها جهة الغرب إلى بلاد السودان ، إلا أنها وبشكل عام لاتصلح للملاحة داخل بلاد الحبشة نفسها ، مما جعلها عديمة القيمة تقريبًا ، ومن هنا كان طبيعيًا أن يتجه أهل الحبشة ناحية الشرق لا الغرب[٣].

وقد رددت المصادر القديمة أن تجارة الشرق كانت تسلك ثلاثة طرق رئيسية فى سبيلها نحو البحر الأبيض المتوسط وأوربا وهذه الطرق ، هى طريق الشمال والوسط ، وطريق الجنوب ، والأخير كان طريقًا بحريًا من الهند إلى موانئ ادانا وجزيرة سقطرى فى جنوب بلاد العرب وذلك فى عهد الفراعنة والبطالمة من بعدهم ، وكانت السفن الهندية تفرغ حمولتها هناك . وكان العرب يحرصون أشد الحرص على هذه التجارة إلى حد أنهم كانوا لايسمحون للسفن الهندية بدخول باب المندب [٤].

---

١ - سعاد ماهر : مرجع سابق ، ص ٢ . انظر أيضًا : أحمد فخرى : مرجع سابق ، ص ٤١ .
٢ - جلال يحيى : مرجع سابق ، ص ١٧ .
٣ - محمد محمود الصياد : السودان والحبشة ، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٢٣١ .
٤ - ابراهيم نصحى : مرجع سابق ، ص ٤٩ . انظر أيضًا : أحمد فخري : مرجع سابق ، ص ٤١ .

والذى يهمنا هنا فى المقام الأول وهو طريق الجنوب لمروره في البحر الأحمر ، فهذا الطريق يبدأ من الشرق الأقصى حتى إذا ما وصل إلى البحر الأحمر تشعب إلى طريقين أحدهما يتجه شمالا عبر سيناء ، ثم دمشق ثم موانئ ساحل البحر الأبيض والآخر كان يتجه عبر الصحراء إلي النيل ثم هليوبوليس (الفسطاط ، القاهرة) فالأسكندرية فأوربا ، إلا أن هذا الطريق كانت تعترضه صعوبتان ، أولهما المسافة البحرية الواسعة من الصين إلى الهند إلى البحر الأحمر وما فيها من تيارات بحرية وهوائية متعارضة معظم الأيام ، وثانيهما كثرة الشعاب المرجانية التي تعترض طريق الملاحة في البحر الأحمر .

وفي عهد الدولة الوسطي ، نجد أن الأسطول المصرى قد ثبت أقدامه فى مياه البحر الأحمر، ونشطت الملاحة البحرية التجارية مع بلاد بونت حتي تعوَّد أهلها على رؤية المصريين والتعامل معهم بكل مودة وثقة ، وكانت النتيجة لذلك أن كثر في الأدب المصري ذكر القصص التى روت لنا ما رآه الملاحون ومروا به من تجارب فى تلك البلاد [١].

وهكذا أصبحت هذه الرحلات المتتابعة إلى بلاد شرق أفريقيا جزءاً من حياة المصريين فسجلوها فى آدابهم وتناقلوها من جيل إلى جيل ، ولعل أشهر تلك الروايات قصة البحار التى سجلت لنا أخبار المصاعب التى كان يلاقيها البحارة المصريون الشجعان في إحدى رحلاتهم في البحر الأحمر إلى شرق أفريقيا ، وكيفية تغلبهم علي هذه المصاعب ورجوعهم بعد ذلك إلى مصر محملين بالهدايا والخيرات [٢].

وفي عهد الدولة الحديثة بلغت البحرية المصرية أوج عظمتها ، إذ كان المصريون قد تمرسوا على ركوب البحر ، وأحكموا الدراية بفنونه وثقافته حتي دخلت فى رسائلهم الأدبية الاصطلاحات البحرية وكل مايتعلق بالنشاط البحري .

وفي عهد الملك رمسيس الثانى استولي الأسطول المصري علي سواحل البحرين الأبيض والأحمر ، كما اشتبك فى معارك حاسمة مع أسطول الشعوب الهندية ، التي كانت كثيراً ماتنتهك حرمة شواطئ مصر الشرقية والجنوبية [٣].

---

١ - سعاد ماهر : مرجع سابق ، ص ٢٠ . انظر أيضًا : أحمد فخرى : مرجع سابق ، ص ٤١ .

٢ - جلال يحيى : مرجع سابق ، ص ١٨ .

٣ - سعاد ماهر : مرجع سابق ، ص ص ٢٠ - ٢٤ ؛ انظر أيضًا : جلال يحيى : مرجع سابق ، ص ١٨ .

ومن الأعمال العظيمة التي قام بها الفراعنة وخاصة الملكة حتشبسوت لتسهيل مهمة الأسطول التجارى حفر قناة وادي الطميلات التى وصلت بين النيل والبحر الأحمر ، وقد أعاد حفر هذه القناة الملك سيتي الأول عندما طمرتها الرمال ، كما حفرها للمرة الثالثة ابنه رمسيس الثاني ، كذلك اقتضت مصلحة الأساطيل الحربية الكبيرة لتي كانت تجوب البحار والمحيطات من الشمال إلى الجنوب والعكس ، توصيل البحرين الأبيض والأحمر ، وقد ساعد علي ذلك القناة الموصلة من النيل إلى البحر الأحمر [١].

وليس أدل علي تقدم التجارة فى البحر الأحمر أيام الفراعنة من أن هذا البحر أصبح بحيرة مصرية لاينازع سيادة المصريين عليه أي منازع ، كما سجلت لنا الآثار المصرية القديمة بعض الواردات التي أحضرها الأسطول المصرى التجاري ، وذكر لنا بعض المؤرخين أن عدد سفن هذا الأسطول ، كان دائمًا لايقل عن خمس سفن كبيرة وكان على ظهرها مائتان وخمسون بحّاراً أيام الملكة حتشبسوت[٢] .

وهكذا تم للفراعنة بواسطة هذا الأسطول الكبير الحصول على الذهب من السودان والنوبة ، وريش النعام والأبنوس والعاج والجلود ، ومن بلاد بونت المرّ والصمغ والروائح العطرية والأخشاب ذات الروائح الطيبة .

وهكذا نجد أن الفراعنة قد سيطروا بأسطولهم البحرى التجارى والعسكرى علي البحر الأحمر وموانيه المختلفة ، وكذلك علي منابع التجارة مع بلاد بونت والحبشة وبلاد العرب والهند والصين .

وعلاوة على ذلك فإن سيطرة الفراعنة علي البحر الأحمر والبحر الأبيض شجعهم على زيادة الكشف الجغرافى ، إذ أنه من المعروف أن ملكًا من ملوك الأسرة السادسة والعشرين قد أرسل أسطولا بقيادة قادة فينيقيين لاكتشاف سواحل القارة الأفريقية سنة ٦١٦ق.م ، وقد استغرقت تلك الرحلة ثلاث سنوات منذ أبحر الأسطول من مدينة القلزم ، إلى أن عادت إلى ساحل مصر الشمالى عن طريق جبل طارق . وهكذا نرى أن الرحالة المصريين قد سبقوا الرحالة البرتغاليين بواحد وعشرين قرنًا فى دورانهم حول أفريقيا [٣].

---

١ - سعاد ماهر : مرجع سابق ، ص ٢٨ . انظر أيضًا : جلال يحيى : مرجع سابق ، ص ١٨ .
٢ - محمد محمود الصياد : مرجع سابق ، ص ٢٨١ . انظر أيضًا : أحمد فخري : مرجع سابق ، ص ٤١.
٣ - سعاد ماهر : مرجع سابق ، ص ص ٢٧ - ٤١ .

فلما جاء الإسكندر الأكبر نجد أنه قد سيطر على أراضي واسعة ، وأسس إمبراطورية مترامية الأطراف ، ذات منافذ على البحر الأحمر والخليج الفارسي ، وبعد أن استولي على مصر وعلى أراضي الهلال الخصيب عمل على ضم جزيرة العرب إلى إمبراطوريته ليتم له بذلك الوصول إلى سواحل المحيط الهندي ، والسيطرة على تجارة آسيا وأفريقيا وتحويل ذلك المحيط إلى بحر يوناني [١].

وتحقيقًا لهذا فقد أرسل الإسكندر بعثات استطلاعية تجمع له المعلومات حتي تمكنه من إرسال أسطول كبير يستولى على شبه الجزيرة العربية ، ويتجه من الخليج الفارسى ليكتشف سواحلها ، ثم ينفذ إلى البحر الأحمر عن طريق المحيط الهندى ثم إلى خليج عدن فخليج العقبة، حيث ينفذ أسطوله إلى سواحل مصر ، ولذلك هيأ الأسطول لهذه المهمة بعد أن جاء بالأخشاب اللازمة من فينيقيا لبناء السفن الملائمة [٢].

ورغم أن سيطرة الإسكندر على طريق التجارة القادم من الهند إلى الخليج الفارسى جعل الموارد كلها فى يد اليونان ، وأثر بالتالي على الطريق الموصل بين موانئ شرق أفريقيا والموانى المصرية ، إلا أنه لم يؤد إلى وقف المعاملات التجارية بين مصر وشرق أفريقيا وإن كانت التجارة بينهما قد اقتصرت تقريبًا على تناول المنتجات والمواد الخام الإقليمية [٣].

وفي عهد البطالمة – خلفاء الإسكندر في مصر – اهتموا برواج تجارة مصر الخارجية ، وكان التوفيق الذى صادفته سياستهم التجارية خير عون لهم فى النهوض بزراعة مصر وصناعتها ، فقد كان هدفهم الرئيسى دعم مركزهم فى مصر ونشر نفوذهم ، وساعدهم الرخاء الاقتصادي على الاحتفاظ بجيش وأسطول قويين واتباع سياسة خارجية كان من أهم أسباب نجاحها ماكانوا يقدمونه لأعوانهم فى البحر الأبيض من المال والحبوب[٤] .

وكانت السيطرة الكاملة على البحر الأحمر وموانيه المختلفة تمثل العمود الفقرى لهذه التجارة وهذا الرخاء ، وأصبحت التجارة في البحر الأحمر والمحيط الهندى ، سواء الداخلية أو الخارجية ، تمر على موانى الصومال وعدن فى مواسم معينة كل سنة حسب الرياح

---

١ – جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء الثانى ، مطبعة جامعة بغداد ، بغداد ، ١٩٧٠ ، ص ٥ .
٢ – المرجع السابق ، ص ٦ .
٣ – جلال يحيى : مرجع سابق ، ص ٢٠ . انظر أيضًا : جواد علي : مرجع سابق ، ص ٨ – ٩ .
٤ – ابراهيم نصحى : مرجع سابق ، ص ٤٢ .

الموسمية وهبوبها في المحيط الهندى ، ثم يعاد نقلها إلى مصر بعد ذلك حيث يتم توزيعها على بقية العالم اليوناني والرومانى فى أوربا [١].

وكما ذكرت من قبل فإن اهتمام البطالمة بالتجارة الشرقية فاق اهتمام الفراعنة في هذا المضمار ، وذلك من أجل تصريف المنتجات المصرية مثل المنسوجات والآنية والحلى الزجاجية والأسلحة وغيرها من معدات القتال ، فضلاً عن مختلف أنواع النبيذ المستحضرة من بلاد البحر الأبيض ، وكذلك لسد حاجة الأسواق المحلية من منتجات الجنوب والشرق ، وقبل كل شئ لتصدير هذه السلع إلى الأقطار الشمالية والغربية ، إما فى شكلها الخام أو بعد تصنيعها[٢] .

وتأكيداً لهذا الطموح الاقتصادي فقد سيطر البطالمة على الموانى الشمالية واتجهوا - كما ذكرنا - إلي السيطرة على البحر الأحمر بكل موانيه الجنوبية والشرقية وخاصة ميناء عدن (المدخل الجنوبي للبحر الأحمر) والذى كان مركزاً ومخزنًا للتجارة الواردة من الهند والصين[٣].

وعلاوة على ذلك كانت السفن المصرية تقلع من ميناء القلزم (السويس) إلى عدن وبلاد شبه الجزيرة العربية ، وإلى بلاد لهند ، وكانت تحمل في عودتها حاصلات الهند وبلاد السودان الشرقي وبلاد النوبة [٤].

وعلى ذلك أصبح ميناء القلزم هو مدخل البحر الأحمر من طرفه الشمالي ، وعدن مدخله الجنوبي التى اعتبرت من أكبر المحطات لتبادل المتاجر والسلع بين الشرق والغرب ، وظل تجار الهند والصين لفترة طويلة لايسمح لهم بتجاوز ميناء عدن شمالاً ، بل كانت تجارتهم تنقل على السفن المصرية إلى القلزم .

وفى ميناء عدن كانت متاجر الشرق والغرب تتجمع للتبادل ، فتنتقل الأولى إلى مصر وأوربا ، وتنقل الثانية إلي الهند والصين ، وكذلك ترسوا بعدن - علاوة على سفن الصين والهند - سفن الحبشة والخليج الفارسى وشرق أفريقيا [٥].

---

١ - جلال يحيى : مرجع سابق ، ص ١٨ .
٢ - إبراهيم نصحى : مرجع سابق ، ص ٤٩ .
٣ - سعاد ماهر : مرجع سابق ، ص ١٣٢ .
٤ - أحمد فخري : مرجع سابق ، ص ٤١ . انظر أيضًا : ابراهيم نصحى : مرجع سابق ، ص ٤٨ . وأيضًا : سعاد ماهر : مرجع سابق ، ص ٤٢ .
٥ - نعيم زكي : مرجع سابق ، ص ١٢٧ .

وهكذا لم تقتصر علاقات مصر التجارية في عهد البطالمة على ممتلكاتها فقط بل جاوزتها إلى ثلاث جهات مختلفة هى أولاً بحر إيجة ، والبحر الأسود ، وثانيًا مع الغرب والشمال الغربي ، وثالثًا مع الجنوب والشرق [١].

أما الأعمال التي قام بها البطالمة لتأكيد هذا النشاط فكانت متنوعة وكثيرة من أهمها الكشوف العلمية لمعرفة الشواطئ والشعوب القاطنة عليها في البحر الأحمر والمحيط الهندي ودراسة البيئات والظروف الجغرافية لهذه البلاد [٢].

وليس أدل علي تلك الاكتشافات من قيام (أرسطبون) الرحالة المشهور بدراسة أحوال البحر الأحمر وأحوال الشعوب المطلة عليه بتكليف من قائد الأسطول المصرى . فقد قدم تقريراً إلى الملك ذكر فيه قوم " ثمود " فى جملة من ذكرهم من الشعوب ، ولعله بذلك يكون أول من ذكرهم من الرحالة [٣].

وفى أيام (بطليموس فيلادلفوس) أسست كذلك عدة موانى جديدة على سواحل البحر الأحمر لرسو السفن فيها ، وللمحافظة علي الطرق البحرية من لصوص البحر ، بلغت مداها جزيرة سقطري حيث أنشئت فيها جملة مستعمرات يونانية ، ويظهر أن بطليموس فيلادلفوس قصد أيضًا الالتفاف حول السواحل العربية ، وضرب الفرس والحاق الأذى بهم بأسطول كونه لهذه المهمة [٤].

وكان من الأعمال المشهورة لهذا الأسطول محاصرته لسفن الأنباط وتدميرها في معركة بحرية ساحقة ربما عام ٢٧٨ – ٢٧٧ ق.م ، وبذلك انتهت منافسة الأنباط التجارية فى البحر الأحمر[٥] .

ومن الواضح أن البطالمة أدركوا أهمية موقع مصر الجغرافى الممتاز والذى يكون قنطرة وصل بين البحرين وسوقًا تلتقى به أنواع التجارة الآتية من الشمال ومن الجنوب ومن أوربا وحوض البحر الأبيض المتوسط ومن السودان والحبشة وبقية أنحاء أفريقيا ثم شبه جزيرة العرب

---

١ – ابراهيم نصحى : مرجع سابق ، ص ٤٣ .
٢ – سعاد ماهر : مرجع سابق ، ص ٤١ .
٣ – جواد علىّ : مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص ٢٤ . انظر أيضًا : سيد الناصري : الرومان فى البحر الأحمر، ندوة أبحاث البحر الأحمر ، كلية الآداب – جامعة عين شمس ، القاهرة ، أغسطس ١٩٧٨ ، ص ١٦ .
٤ – جواد على : مرجع سابق ، ص ٢٤ .
٥ – سيد الناصري : مرجع سابق ، ص ١٦ .

والهند فزاد ذلك كله من الاهتمام بالبحر الأحمر وبالمحيط الهندي حيث شرعوا فى تنفيذ خطة محكمة تقتضي الأمور الآتية :

أولاً : الاهتمام بالملاحة النيلية وإنشاء المواني على النيل وعلى شواطئ البحر الأحمر ووصلها معًا بالطرق الجيدة .

ثانيًا : إقامة محطات لتستقبل السفن كما فى جزيرة سقطرى(١) .

وعلي ذلك فقد قام بطليموس الثاني ببناء مجموعة من الثغور على شاطئ البحر الأحمر حيث أنشأ مدينة ارسينوى (السويس) بعد أن أعاد حفر القناة التى كانت تصل البحر الأحمر بالنيل ، وكذلك ميناد فيلوتير (سفاجة) ثم ميناء ميوس هرموس (Meyes Hormos) علي مقربة من القصير ، وكذلك ميناء بيرينيس بالقرب من أسوان(٢) .

ويضاف إلى هذا وجود سبعة خلجان قديمة ساعدت في نقل التجارة الداخلية والخارجية من وإلى مصر وهي خليج الإسكندرية ، و سَخَا ، ودمياط ، ومنف ، والفيوم ، والمنهي ، وسردوس ، وكان هذا الأخير قد حفره الوزير هامان ، أما خليج الفيوم فقد حفره يوسف بن يعقوب (٣).

وعلاوة علي ماتقدم فقد اهتم البطالمة بإنشاء شبكة من الطرق تربط كل الموانى بوادي النيل ، وكذلك حفر الآبار وإنشاء خزانات المياه علي جوانب تلك الطرق ووضعوا لها من الأنظمة مايكفل إصلاحها وصيانتها(٤).

أما عن اهتمام البطالمة بالتجارة الخارجية فقد تمثل في الاهتمام بالطرق التجارية العالمية والسيطرة عليها لخدمة التجارة المصرية بين الشرق والغرب ، وكانت التجارة فى هذه الطرق تسير من الشمال إلى الجنوب والعكس ، كما كانت تتمثل فى طريقين مهمين لم يكن أحدهما مستعملاً بكثرة قبل عهدهم وهو الطريق البحرى المحازى للشاطئ الأفريقي وشاطئ بلاد العرب حتى أقصى الشمال فى البحر الأحمر (٥).

---

١ – جواد على : مرجع سابق ، ص ٢٣ .
٢ – سعاد ماهر : مرجع سابق ، ص ٤٣ .
٣ – أبو المحاسن : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، جـ ١ ، طبعة بولاق ، القاهرة ، ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩م ، ص ٥٦ .
٤ – سعاد ماهر : مرجع سابق ، ص ٤٣ .
٥ – ابراهيم نصحى : مرجع سابق ، ص ٤٩ .

أما الطريق الآخر فكان أكثر أهمية من الأول فهو الطريق البرى القديم وكان يسيطر عليه النبطيون بعد الفرس ، وقد كان يسمى أيضًا بطريق البخور ويمر بسبأ ومعين ويثرب ودان (العلاوأيلة) و (العقبة) إلي البتراء [١].

وقد وجه بطليموس إورغاطس الثانى Ptalemy Euergets ١٤٦ - ١٤٧ ق.م . انتباهه نحو البحر الأحمر والمحيط الهندى ، فكون أسطولا قويًا فى البحر الأحمر ، قام برحلات منتظمة إلى الهند ، كما خصص موظفين لإدارة أعمال السفن والعمل علي سيرها ومدها بالتموين اللازم ، وإصلاحها ، وقد أناط بهم مهمة حماية السفن التجارية وحراستها حتي لايتحرش بها لصوص البحر وقراصنته ، الذين كانوا يهاجمون السفن ويأخذون مافيها من بضائع ، وقد كون لهذه المهمة حرسًا بحريًا لتقديم المساعدات لمن يطلبها من السفن ، وفى نفس الوقت لتعقب هؤلاء القراصنة [٢].

وقد توافق ذلك كله مع حركة تأسيس المدن والمستودعات علي الشاطئ الغربي للبحر الأحمر مثل ارسينوى ، وفيلوتيرا ، وميوس هرموس ، وبيرينيكى ، وهذه الموانى كلها ساعدت مساعدة كبيرة على تقدم التجارة الخارجية [٣].

وهكذا نجد أن البطالمة بذلوا مجهوداً كبيراً في سبيل السيطرة على البحر الأحمر والتوسع في المحيط الهندى . وقد تابع البطالمة الذين خلفوا بطليموس فيلادلفوس خطته في التوسع فى السواحل الأفريقية وفى المحيط الهندى ، حيث أخذوا يرسلون الرجال المغامرين إلى تلك الأماكن للكشف عنها بغرض الوقوف على أحوالها والاستفادة مما يحصلون عليه من معلومات فى سياسة التوسع التجارى والسياسى التى وصفوها للبلاد التى تقع فى المناطق الحارة ، وقد جمعت هذه التقارير وكانت مهمة في مجموعها ولاشك ، ووضعت فى خزائن خاصة بها فى الإسكندرية [٤].

ورغم كل هذه السيطرة من جانب البطالمة فإن تجارة الهند بقيت في جملتها في أيدى عرب الجنوب ، ولم يحاول البطالمة تغيير الوضع وتبديل الحال ، وقد انحصرت كل محاولتهم فى

---

١ - نعيم زكي : مرجع سابق ، ص ١٢٤ .

٢ - جواد علي : مرجع سابق ، ص ٢٦ . انظر أيضًا : جلال يحيى : مرجع سابق ، ص ١٩ . وأيضًا : سعاد ماهر : مرجع سابق ، ص ٤٥ .

٣ - ابراهيم نصحي : مرجع سابق ، ص ٦٠ .

٤ - جواد على : مرجع سابق ، ص ٢٥ . انظر أيضًا : ابراهيم نصحى : مرجع سابق ، ص ٥٦ .

توجيه التجارة من الموانى الهندية والعربية إلى الموانى المصرية لتفرغ شحنتها هناك ، فتنقل إما بواسطة القوافل وإما بالسفن من القناة المحفورة بين البحر الأحمر ونهر النيل لتتابع طريقها إلى موانى البحر الأبيض [(١)].

وعندما خضعت مصر لحكم الرومان اهتموا بها اهتمامًا خاصًا ، إذ أنها كانت حلقة الوصل بين البحرين الأحمر والمتوسط وحلقة الوصل بينهما وبين تجارة الشرق وتجارة الغرب[(٢)].

لذلك نجد أن الإمبراطور الروماني أغسطّس يهتم بموقع مصر الجغرافى ويعتبرها مفتاح الشرق والغرب والأرض والبحر ، وعمل على إعادة الأمن إلى البحر الأحمر ، وازداد الرخاء العام بفضل الإقبال علي شراء المنتجات والمحاصيل الشرقية ، وظل الحال على ذلك طوال القرن الأول الميلادى ، الذى اعتبره المؤرخون العصر الذهبى للتجارة الرومانية مع الهند وبلاد العرب ، وقد بلغ من حرص أباطرة الرومان على الحفاظ على هذا المورد الاقتصادى أن أرسلوا حملة بحرية لحماية التجار وسفنهم من القرصنة فى البحر الأحمر ، ولبسط نفوذهم في الجنوب ليشعر العرب بقوة الرومان[(٣)] .

وصاحب تلك الخطوات الخارجية خطوات أهم فى الساحة الداخلية وهى إصلاح ماكان قد فسد بسبب الأوضاع السياسية والاقتصادية التى حدثت فى أواخر عصرَ البطالمة وأدت إلى سوء أحوال الطرق والتجارة ، فتم للرومان معالجة ذلك بسرعة كبيرة [(٤)].

وهكذا نجد أن الرومان باستيلائهم على مصر ورثوا مشروعات الفراعنة والبطالمة فى البحر الأحمر ، وأصبح لإمبراطوريتهم سياسة محددة مع شعوب البحر الأحمر ، لذلك رأى أغسطس ضرورة تحويل طريق التجارة في البحر الأحمر لصالح الموانى المصرية مثل بيرينكى وميوس هرموس (أبو شعر القبلى) وارسينوى (السويس) ووجدت الإمبراطورية نفسها وهي تدخل بثقل كبير فى مجال الصراع من أجل تحقيق سيادتها الكاملة على البحر الأحمر [(٥)].

وقد استتبع ذلك قيام آيليوس جالوس Aelius Gallus القائد الرومانى بغزو جزيرة العرب سنة ٢٥ ق.م. ، للاستيلاء عليها وعلى ثروتها العظيمة التى اشتهرت بها من التجارة بالمرّ

---

١ – ول ديورانت : مرجع سابق ، ص ٨ .
٢ – أبو المحاسن : مرجع سابق ، ص ٦٠ .
٣ – سعاد ماهر : مرجع سابق ، ص ٤٧ .
٤ – جواد على : مرجع سابق ، ص ٤٣ .
٥ – سيد الناصرى : مرجع سابق ، ص ٧ .

واللبان والبخور والأفاويه ، وللقضاء أيضًا على لصوص البحر الذين كانوا يحتمون بسواحل الحجاز واليمن ، وقد أمر بوضع حراس علي ظهر السفن التجارية التى تجتاز البحر الأحمر لحمايتها من اللصوص الذين استفحل خطرهم منذ تدهورت السلطة البطلمية (١).

ولكى يحقق الرومان ذلك وجدوا أنه من المحتم عليهم أن يحققوا السيادة البحرية وأن يصنعوا أسطولاً من السفن التجارية لنقل تلك التجارة ، وأن يمتلكوا قواعد بحرية ثابتة تكون فى خدمة الخط الملاحى بين مصر والهند (٢).

ومن الملاحظ أن الرومان لم يقيموا أى موانئ جديدة علي الساحل الغربى للبحر الأحمر ، بل اكتفوا بموانى ميوس هرموس وبيرينكى منعًا للتهرب من دفع الجمارك Partaria ، لهذا ركزوا كل جهودهم علي تطوير وتحسين الطرق وتأمينها تحت إدارة ورقابة حازمة وتيسير حركة التجارة وتقديم كافة التسهيلات للقوافل التى تحمل عاج أفريقية وتوابل ولبان بلاد العرب ولؤلؤ وحرير وقطن الهند وسيلان (٣).

وفى نفس الوقت كان ميناء عدن وهو الواقع فى المدخل الجنوبى للبحر الأحمر قد حصل على شهرة كبيرة قبل هذا الزمن ، وظل محافظًا عليها ، وعلى أهميته حتي اليوم ، ولا ندرى على وجه الدقة متى اضطر الرومان إلي ترك هذا الميناء ، ولكن الذى نعرفه أن الرومان ثم الروم من بعدهم ، أصبحوا يقيمون له وزنا ، ويهتمون بشئونه ، لأنه كان أسهل الطرق التي توصلهم إلى سواحل أفريقيا والهند وبلاد العرب الجنوبية (٤).

وبعد وفاة الإمبراطور الروماني أغسطس ورث خلفاؤه إمبراطوريته وكانت ذات سيادة فعلية على البحر الأحمر وتنعم بدخل اقتصادي كبير ، ولهذا سار الخلفاء على نفس سياسته ، ولم يبخل أحدهم بالجهد في دعم الاهتمام بطرق التجارة ، فمثلاً أمر الإمبراطور (تيبريوس) بخلع ملك الأنباط لتشككه في نواياه ، وكان يزمع ضم بلاد العرب الأنباط ضمًا مباشراً إلى حوزة الإمبراطورية وقيام ولاية بلاد العرب وذلك بفرض السيطرة المباشرة علي طرق القوافل الذى يربط بين ميناء ليوكى كومى والبتراء (٥).

---

١ - جواد علي : مرجع سابق ، ص ٤٣ . وانظر أيضًا : سعاد ماهر : مرجع سابق ، ص ٤٧ .
٢ - جواد على : مرجع سابق ، ص ٤٧ . انظر أيضًا : سيد الناصرى : مرجع سابق ، ص ٧ .
٣ - سيد الناصرى : مرجع سابق ، ص ١٢ .
٤ - جواد علي : مرجع سابق ، ص ٦٢ . انظر أيضًا : سيد الناصرى : مرجع سابق ، ص ص ٢٥ - ٢٦.
٥ - ول ديورانت : مرجع سابق ، ص٩ . انظر أيضًا : سيد الناصرى : مرجع سابق ، ص ٣٩ .

ولكن هذه السيطرة والقوة لم تستمر ، إذ جاء بعد ذلك أباطرة ضعافًا زاد من ضعفهم واستهتارهم ماكانوا يعيشون فيه من ترف ، ولذلك فمنذ بداية القرن الثالث الميلادى ضعف الرومان سياسيًا واقتصاديًا وعسكريًا ، واستمر الحال على ذلك حتى القرن السادس عشر ، وبالتالى أخذت التجارة فى البحر الأحمر تضعف ، وأخذ البحر الأحمر يفقد أهميته بالتالى فى هذا المجال[١] .

وكان هذا نتيجة حتمية للتدهور والاضمحلال السياسى والاقتصادى اللذين أصابا بلاد العرب الجنوبية ، فقد أرسل ملك أكسوم حملة بحرية كبيرة سنة ٥٢٥م . أبحرت من ميناء أدوليس وعبرت البحر الأحمر إلى بلاد اليمن ، ولم يكن لدى (ذى نواس) حاكم حمير أسطولاً حربيًا يصد به هجمات العدو فى البحر ، لذلك استطاع الأحباش الاستيلاء على اليمن وأخضعوها لحكمهم [٢].

أما من الناحية الاقتصادية ، فقد تحول طريق التجارة الشرقية من البحر الأحمر إلى الخليج الفارسى ومنه إلى شط العرب ، وكان هذا التحول بسبب مجئ البيزنطيين بعد الرومان والذين عملوا بدورهم على تشجيع كل الطرق التجارية العالمية بين الشرق والغرب على شرط أن تمر جميع هذه الطرق فى دولتهم وخصوصًا-الطرق التى تؤدي رأسًا إلى عاصمتهم القسطنطينية ، فبدأ طريق ثالث فى الازدهار وهو طريق الخليج الفارسى [٣].

وقد مهد لهذا الازدهار ماسبق من انقسام الإمبراطورية الرومانية إلى شطرين ، الشطر الشرقى وعاصمته القسطنطينية[٤] والذى نعرفه باسم الدولة البيزنطية ، فقد ورث نفوذ روما فى البحر الأحمر وبالتالى السيطرة على طريق التجارة سواء فى البحر الأحمر أو الخليج الفارسى [٥].

وكان من نتيجة التطورات الجديدة أن اعتمد البيزنطيون على موانئ البحر الأحمر سواء التى كانت على الشاطئ المصرى أو الشاطئ العربى ، وكانت تجارة الحرير من أهم المواد المطلوبة فى أسواق البيزنطيين ، وكان الساسانيون أهل فارس قد احتكروها تقريبًا [٦].

---

١ – سعاد ماهر : مرجع سابق ، ص ٦٠ – ٦١ . انظر أيضًا : سيد الناصرى : مرجع سابق ، ص ٥٢ .
٢ – جواد على : مرجع سابق ، ص ٦٥٩ .
٣ – جلال يحيى : مرجع سابق ، ص١٩ .
٤ – سعاد ماهر : مرجع سابق ، ص ٦١ .
٥ – المرجع السابق ، ص ٦١ . وانظر أيضًا : جلال يحيى : مرجع سابق ، ص ٢٠ .
٦ – سعاد ماهر : مرجع سابق ، ص ٦٢ .

ولكن فى نفس الوقت حاول الأباطرة البيزنطيون بكل جهودهم تحطيم ذلك الاحتكار ، وذلك بإقامة علاقات طيبة مع ملك الحبشة حتى يدفعونه إلى إرسال سفنه إلى جزيرة سيلان لشراء الحرير منها[١] ، ومنافسة التجار الفرس الذين كانوا قد سيطروا على هذه التجارة القادمة أصلاً من الصين إلى هذه الجزيرة ، فكانوا ينقلونها إلى بلادهم ، وكذلك إلى موانئ القلزم وايلة فى البحر الأحمر ، وموانئ أخرى تابعة للبيزنطيين فيربحون من ذلك ربحًا كبيراً[٢].

وتغيرت الظروف بعد ذلك ، فالحروب المتوالية بينهما قد أنهكت الطرفين وأخذت فى إضعاف الوضع الاقتصادى العام ، وتذمر الجميع من سوء سياسة الخصمين المتحاربين دائمًا ورغبوا فى التخلص من الفرس والرومان معًا [٣]، لذلك لم يكن مستغربًا سقوط البلاد التى كانت خاضعة لهم بسرعة مدهشة فى أيدى المسلمين [٤].

والخلاصة أن هذه التطورات والأحداث السياسية والعسكرية التى وجهت أنظار الغرب منذ أيام الإسكندر الأكبر نحو الشرق ، قد أدت إلى نزول اليونان والرومان بأنفسهم إلى البحار الدافئة لمنافسة العرب فى تجارتهم ، وفى بحارهم والبحار الأخرى ، فبنوا سفنًا أكبر وأسرع وأقوى ، وأخذوا يعدون أنفسهم بالتدريج ، ويحتلون الموانئ المهمة أو يقيمون لهم قواعد عسكرية على السواحل لحماية خطوط مواصلاتهم البحرية .

وكان من نتيجة ذلك أن أصابوا التجارة العربية إصابة مباشرة ، وأنزلوا بها ضرراً بالغًا ، إذ أخذوا يشترون منتجات البلاد الحارة من مواقع إنتاجها ، وصاروا يزاحمون السفن العربية التى لم تتمكن من تطوير نفسها تطويراً يناسب الزمن وروح العصر ، فتغلبت سفن الرومان عليها ، إلى أن جاء الإسلام وتغلبت سفن المسلمين فى البحر الأحمر والبحر المتوسط والمحيط الهندى .

فعندما ظهر الإسلام فى شبه الجزيرة العربية وخرج المسلمون لنشر الدين الإسلامى ، بدأت الفتوحات وانتهت بسيطرة المسلمين على الشاطئ الشرق والغربى للبحر الأحمر وأصبح بحراً إسلاميًا خالصًا .

---

١ – جواد على : مرجع سابق ، ص ٦٥٢ .
٢ – المرجع السابق : ص ٦٥٧ .
٣ – المرجع السابق : ص ٦٥٩ .
٤ – أبو المحاسن : مرجع سابق ، ص ٦١ .

ومن الملاحظ أنه لم يرد إلينا في المراجع التاريخية شيئ يذكر عن نشاط العرب في الملاحة مثل نشاط اليونان مثلاً ، ولكننا نجد فيما تركته الشعوب المجاورة من الجزيرة العربية كثيراً من النقوش والكتابات تشهد بأن سواحل شبه الجزيرة العربية كانت في جميع العصور التاريخية على اتصال مستمر بالبلاد الأخرى بحراً (١).

وعلى كل حال فعندما فتح العرب مصر أصبحت الدولة الإسلامية تطل على بحار وشواطئ واسعة مثل شواطئ البحر المتوسط ، ولذلك فإن عمرو بن العاص بمجرد إتمام فتح مصر عمل على حفر خليج تراجان(٢) ، والذى يخرج من النيل إلى الشمال من حصن بابليون (فم الخليج الحالى) ثم يمر بمدينة عين شمس ومنها إلى وادى الطميلات إلى موضع القنطرة حتى يتصل بالبحر الأحمر عند مدينة القلزم (٣).

وبعد معركة ذات الصوارى والتى هزم فيها المسلمون الأسطول البيزنطى ، أصبح البحر الأحمر والبحر المتوسط تحت سيطرة الأساطيل الإسلامية لأول مرة منذ قيام الدولة الإسلامية ، وأصبحت الأساطيل البيزنطية تعمل حساباً كبيراً للقوة البحرية الإسلامية فى البحر الأبيض ، وما تبع ذلك من نشاط التجارة فى البحر الأحمر والمحيط الهندى والبحر الأبيض ، وأوربا ، وأصبحت كل طرق التجارة القديمة البرية والبحرية تحت سيطرة المسلمين من الصين شرقاً إلى الشام غرباً ، إلى مراكش فى أقصى بلاد المغرب (٤).

ولقد استمر البحر الأحمر والشرق الإسلامى فى سلام حتى جاء الإفرنج إلى الشام وفلسطين للاستيلاء على بيت المقدس وأنطاكية سنة ٤٨٨ هـ / ١١٠٧م (٥). وفى سنة ٥٦٦ هـ / ١١٨٥م زالت دولة الفاطميين فى مصر على يد صلاح الدين يوسف بن أيوب (٦).

---

١ - سعاد ماهر : مرجع سابق ، ص ٥٦ .

٢ - ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة ، تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس ، مطبوعات دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ص ١١٢ - ١١٣ . وانظر أيضاً السيوطى : حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٢٠.

٣ - سعاد ماهر : مرجع سابق ، ص ٧٥ .

٤ - ابن ظهيرة : مرجع سابق ، ص ص ١٠١ - ١٠٢ .

٥ - أبو المحاسن : مرجع سابق ، ص ١٤٥ .

٦ - يحيى بن الحسن : غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى المسمى عقيلة الدمّن من أنباء الزمن فى أخبار اليمن ، جـ ١ ، تحقيق وتقديم د . سعيد عبد الفتاح عاشور ، د. محمد مصطفى زيادة ، مطبوعات دار الكتب ، القاهرة ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨م ، ص ٣١٩ . وانظر أيضاً : ابن واصل : مفرج الكروب فى أخبار=

غير أن سقوط الدولة الفاطمية فى مصر وقيام الدولة الأيوبية فيها لم يضعف علاقات مصر بالبحر الأحمر وخاصة ببلاد الحجاز ، بل ربما كان عاملاً على تقويتها ، وعلى ذلك قامت خطة صلاح الدين الأيوبى على تحقيق الوحدة الداخلية بين الأقطار الإسلامية كمرحلة أولى تتلوها مرحلة المواجهة مع الصليبيين ، لذا حرص أن ينال رضا الخليفة العباسى الذى كان يكتفى بالموافقة على ما يقوم به صلاح الدين(١) .

وقد أدت الجهود التى قام بها صلاح الدين إلى إرسال حملة عسكرية إلى اليمن بقيادة أخيه توران شاه حين بلغه عنها شدة الاضطراب والخلاف بين الحكام ، وما لهذا من تأثير على تجارة مصر فى البحر الأحمر ، واستطاع توران شاه أن يوطد فيها الأمن ، فعادت التجارة إلى سابق عهدها فى الانسياب من عدن إلى موانى مصر بدون صعوبات (٢).

وبعد ذلك بدأ صلاح الدين فى الاستعداد لقتال الصليبيين ، ثم كانت موقعة حطين فى سنة ٥٨٣ هـ / ١٢٠٤م ، والتى هزم فيها الأفرنج وبدأت بعد ذلك فتوحات صلاح الدين ضد الصليبيين فى الشام (٣).

ولما أقام المماليك دولتهم على أنقاض الدولة الأيوبية تطلعو - كما تطلع الأيوبيين من قبل- إلى السيطرة على الحرمين الشريفين كمظهر مكمل لسيطرتهم على العالم الإسلامى(٤).

ويرجع استيلاء المماليك على الحجاز إلى عوامل سياسية أكثر منها دينية ، فهذه العوامل السياسية تقوم على حقيقتين أساسيتين ورثتهما مصر من عهد الخلفاء الراشدين ، وهى إرسال الغلال والمواد التموينية إلى بلاد الحجاز كضريبة يجب أن تؤديها نحو البلاد التى تضم الحرمين

= بنى أيوب ، جـ ٤ ، تحقيق د.جمال الدين الشيال ، دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ١٢١ . وأيضًا : بدر الدين الهمدانى : السمط الغالى الثمن فى أخبار الملوك من الغز باليمن ، تحقيق ركس سمث ، جامعة كمبردج، لندن ، أبريل ١٩٧٣ ، ص ٢٠ .

١ - أبو المحاسن : مرجع سابق ، جـ ٥ ، ص ٣٥٦ . انظر أيضًا : على حسين السليمان ، العلاقات المصرية الحجازية زمن سلاطين المماليك ، الشركة المتحدة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ٨ .

٢ - ابن الأير : الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م ص ١٢٢ . انظر أيضًا : يحيى بن القاسم : مرجع سابق ، ص ص ٣٢١ - ٣٢٤ ، وأيضًا : بدر الدين الهمدانى : مرجع سابق ، ص ص ١٧ - ١٨ . وأيضًا : ابن واصل : مرجع سابق ، ص ٣٨٨ .

٣ - أبو المحاسن : مرجع سابق ، ص ٣١- . انظر أيضًا : ابن الأثير : مرجع سابق ، ص ١٧٧ .

٤ - Boissosnad, Life and work in Medieval Europe, p. 289 .

وانظر أيضًا : سعيد عبد الفتاح عاشور : تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٦ ، ص ١٣٣ .

الشريفين ، وإرسال كسوة الكعبة التى كانت تصنع من أجمل وأنفس مصنوعات الشرق ، واشتهرت بها مصر من عهد بعيد (١).

وكانت مواسم الحج مواسم اقتصادية كبيرة ومزدهرة بالنسبة للحجاج والتجار معًا حيث كان يقصد الحجاز فى تلك المواسم تجار الهند والصين من عدن وجدة فيبيعون ويشترون ، كما كان يقصد الحجاز أيضًا تجار الشام والعراق ومصر والمغرب لنفس الغرض (الحج والتجارة) ، ثم تسير القوافل التجارية الآتية من الشرق بعد موسم الحج إلى القلزم ، والطور ، أو بالطريق البرى إلى العقبة والسويس ، القاهرة ، والملاحظ أن السلع الخفيفة كانت تنقل بالطريق البرى ذهابًا وإيابًا من مصر وإليها ، أما السلع الثقيلة فقد كان البحر طريقها إلى النقل ، وبذلك احتفظ كل من الطريقين بأهميته (٢).

ولعل أهمية الحجاز وموانيه فى الحركة التجارية بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، كانت من العوامل التى جعلت المماليك يحرصون على البقاء فيه أو كانوا يستفيدون استفادة كبيرة من السيطرة عليه وحماية طرقه ، وهذه الاستفادة المعنوية والمادية صارت فيما بعد عموداً من أعمدة الدولة (٣).

وعلاوة على ماتقدم فقد كان بين سلاطين المماليك وبين معظم ملوك أوربا علاقات سياسية ومن ورائها تأتى العلاقات التجارية ، وخاصة فى عهد السلطان الناصر محمد ، الذى أصبح بلاطه محط رجال السفراء الذين أوفدوا إلى مصر ، يحملون هدايا ملوكهم وأمرائهم رسائلهم التى كانوا يؤكدون فيها صداقتهم ومودتهم ، حتى صار لمصر مركزاً دوليًا ممتازاً وذاع صيتها بين الدول (٤).

وهكذا نرى أن الدولة المملوكية كانت بيدها السيطرة على طرق التجارة العالمية بين الشرق والغرب بعد التخلص من الغزو الصليبى ، لأن علاقة مصر بالهند استمرت من ناحية ، وبالحبشة واليمن من ناحية أخرى (٥).

١- على إبراهيم حسن : مصر فى العصور الوسطى من الفتح العربى إلى الفتح العثمانى ، مكتبة النهضة المصرية ، القارة ١٩٦٠ ، ص ٣٢١ .

٢ - نعيم زكى : مرجع سابق ، ص ص ٣-٩ .

٣ - الهمدانى : مرجع سابق ، ص ٧٠ . انظر أيضاً : على حسين السليمان : مرجع سابق ، ص ١٥٩ .

٤ - على إبراهيم حسن : مرجع سابق ، ص ٣٢٢ .

٥ - على إبراهيم حسن : دراسات فى تاريخ المماليك البحرية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٠، ص ١٢٨ .

ويهمنا بالطبع هنا الروابط الاقتصادية ، فمن الطبيعى أن يحتل العامل الاقتصادى مكانًا هامًا بين مصر وتلك البلاد (يقع أحدهما عند الطرف الشمالى للبحر الأحمر وهو مصر . أما الحبشة واليمن فتقعان على طرفه الجنوبى)[١].

وقد ترتب على اضمحلال طرق التجارة الآسيوية فى القرن الثالث عشر الميلادى انتعاش طريق البحر الأحمر إلى مصر ، الأمر الذى أتاح للسلاطين المماليك فى مصر فرصة عظيمة للاستفادة من القيام بدور الوسيط بين الشرق والغرب [٢].

وإذا كان بعض سلاطين المماليك قد انشغلوا بالأعمال التأسيسية لحفظ كيان دولتهم الناشئة مثل السلطان الظاهر بيبرس ، بغرض حمايتها من الأخطار الخارجية والداخلية التى هددتها ، فإن السلطان المنصور قلاوون ، والذى حكم من سنة ١٢٧٩ - ١٢٩٠م عمل على تنشيط التجارة فى البحر الأحمر بمختلف الطرق ، فأخذ يتودد إلى القوى الإسلامية الواقعة فى حوض البحر الأحمر ، ويحسن علاقته بها وبحكامها ، فأرسل إلى ملك اليمن يعاهده ويسالمه على الصداقة والمودة ، بعد أن كان بيبرس قد جرّد الحملات على ملوك اليمن وحاربهم، وعندما وصلت رسل ملك اليمن إلى مصر حرص قلاوون على إكرامهم وإرسال الهدايا والتحف معهم إلى ملك اليمن ، ومثل ذلك يقال عن سياسته تجاه شريف مكة والحجاز[٣].

وموقع مصر يجعلها حلقة الوصل فى النشاط التجارى بين الشرق والغرب وهذا يتطلب أمرين ، أولهما تأمين طرق التجارة داخل مصر ذاتها حتى تصل البضائع سليمة من موانى البحر الأحمر ، وبخاصة عيذاب إلى موانئ البحر الأبيض وبخاصة الإسكندرية ودمياط ، وثانيهما إغراء تجارة الشرق على جلب بضائعهم إلى موانئ مصر المطلة على البحر الأحمر ثم

---

١ - القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، جـ٥ ، مطبعة بولاق ، القاهرة ، ١٩١٩ - ١٩٢٢م، ١٤ جزء ، ص ٣٢٣ . انظر أيضًا المقريزى : إغاثة الأمة بكشف الغمة ، جـ ١ ، مطبعة بولاق ، القاهرة ، ١٨٩٥ ، ص ٥٨٠ . وأيضًا : Marcopolo : Traveles of Marcopola, Vol. 1, p. 107 - 108, London, 1940 .

٢ - سعيد عبد الفتاح عاشور : بعض أضواء جديدة على العلاقات بين مصر والحبشة فى العصور الوسطى ، ص ١٣٥ .

٣ - المقريزى : مرجع سابق ، ص ٥٨٦ ، انظر أيضًا : ابن إياس ، بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، جـ ١ ، طبعة بولاق ، ١٣١٢ هـ / ١٩٢٧م ، ص ٩ . وأيضًا : أحمد القنائى الأزهرى : الجواهر الحسان فى تاريخ الحبشان ، مطبعة بولاق ، ١٣٢١هـ/١٩٣٨م ، ص ١١٦ .

عبر مصر أيضًا إلى أوربا ، واستتبع ذلك إقامة علاقات طيبة مع كل من القوى المطلة على البحر الأحمر مثل اليمن والحبشة (١).

علاوة على ماتقدم فإن المماليك حرصوا على أن يضربوا بيد من حديد على العابثين وقطاع الطرق الذين كانوا يغيرون على قوافل الحجاج والتجارة بين النيل والبحر الأحمر ، وبخاصة قبائل الأعراب الذين سكنوا تلك الجهات والذين اعتادوا السلب والنهب (٢).

كذلك فإن المماليك قد أمروا عمالهم على الثغور المصرية التى يرد إليها التجار من المشرق والمغرب معًا ، بأن يحسنوا معاملتهم ويوفروا لهم أقصى وسائل الراحة (٣). وقد ترتب على ذلك التشجيع أن دأب التجار الأوربيون على القدوم إلى مصر وكثر عددهم بشكل كبير (٤)، وأصبح لهم قناصل يشرفون على شئونهم واتخذت كل جالية لنفسها فندقًا أو أكثر ينزلون فيه مثل تجار البندقية وجنوة وقبرص ونابلى وكريت ومرسيليا (٥).

وهكذا نجحت مصر ، وساعدتها الظروف على أن تستأثر بالجزء الأكبر من التجارة العالمية بين الشرق والغرب فى أواخر العصور الوسطى ، ولم تفلح الجهود البابوية التى بذلت فى أوربا عقب سقوط عكا سنة ١٢٩١م ، فى أيدى المصريين ، على حمل التجار الأوربيين على مقاطعة مصر اقتصاديًا ، والاستعاضة عن طريق مصر - البحر الأحمر بطريق إياس - تبريز والذى يمر بشمال فارس (٦).

وهذه النتيجة الخاسرة التى وصلت إليها البابوية من عدم تحقيق غرضها جاءت بسبب إدراك القوى التجارية فى أوربا مدى الخسائر التى عادت عليها نتيجة لحرمانها من التجارة مع مصر ، ولذلك تحايلت بمختلف الطرق على عدم طاعة وتنفيذ المراسيم البابوية وأستأنفت نشاطها التجارى مع الإسكندرية ودمياط (٧).

---

٣ - أبو حمد عبد الله بامخرمه : تاريخ ثغر عدن ، جـ ١ ، مطبعة برانل ، ليدن ، ١٩٣٦م ، ص ٥٨ .
Trimingham, Islam in Ethiopia, p. 62, Oxford Press , 1958 .
وأيضًا سعيد عاشور : مرجع سابق ، ٢٨٤ .

٢ - المقريزى : السلوك فى معرفة دول الملوك ، جـ ٤ ، مطبعة بولاق ، القاهرة ، ١٨٩٧ ، ص ٨٥٨ .

٣ - القلقشندى : مرجع سابق ، ص ٤٢١ . انظر أيضًا : سعيد عاشور : مرجع سابق ، ص ١٣٦ .

٤ - Kammerer, Le Reginne et le ststus des etrangers en Egypt, p. 17, Paris, 1970 .

٥- خليل بن شاهين : زبدة كشف الممالك ، مطبعة بولاق ، القاهرة ١٣٢٢هـ/ ١٩٣٨م ، ص ٤١. انظر أيضًا : Kammerer; op. cit.p. 17. وأيضًا : Schefer, L'voyage du outtrem ier 172, Paris, 1960 .

٦ - Heyd. Histoirc du commerce du levant ou Moyen Age, tom2, p. 86, Paris, 1960 .
وأيضًا آدم ميتز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، القاهرة ، ١٩٧٠، جـ ٢ ، ص ٣٦٤ .

٧ - Diehl, Venise, p. 72, London, 1960 .
انظر أيضًا : يحيى بن القاسم : غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى ، تحقيق سعيد عاشور ومحمد مصطفى زيادة ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٦٨ ، ص ١١٠ .

ولكن إذا كان المماليك فى دولتهم الأولى قد حرصوا على الاحتفاظ لمصر بمكانتها المرموقة فى النشاط التجارى بين الشرق والغرب ، فإن الوضع اختلف كثيراً فى دولة المماليك الثانية، إذ اتجه الحكام أنفسهم إلى الاشتغال بالتجارة ، واتباع سياسة الاحتكار التجارى لتعويض ماحاق بهم نتيجة لاختلال النظام الإقطاعى من ناحية ، وللحصول على المال بمختلف الطرق من ناحية أخرى [١].

ولقد أدت سياسة المماليك فى احتكار بعض السلع ، مثل التوابل والبخور ، إلى ارتفاع أسعارها فاحشًا ، الأمر الذى أنزل أبلغ الضرر بالأوربيين بوجه خاص . وقد بلغت سياسة الاحتكار هذه أشدها بينما كانت أوربا فى أشد الحاجة إلى هذه التوابل بعد أن أصبحت ضرورية للعامة وليست ترفًا للخاصة من الأوربيين[٢] .

كل هذه العوامل مجتمعة سببت الضيق للقوى الأوربية فى غرب أوربا ما دفعها إلى مقاطعة التجارة مع الدولة المملوكية ، فضلاً عن ذلك فإن القوى ضاعفت من الجهد المبذول للوصول إلى منتجات الهند والشرق الأقصى عن طريق المحيط الأطلسى وليس طريق البحر الأحمر ومصر [٣].

وأخذ الغرب الأوربى يبذل جهوده لاكتشاف طريق بحرى جديد إلى الهند حتى توصل فاسكو دى جاما ، إلى اكتشاف رأس الرجاء الصالح فى نهاية القرن الخامس عشر ، فكان هذا الاكتشاف بداية ثورة كبرى فى طرق التجارة العالمية من ناحية ، وإعلانًا بفقدان مصر لأهميتها بوصفها أهم الطرق التجارية بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى من ناحية أخرى[٤].

١- . Diehl, op. cit., p. 72 وأيضًا : سعيد عاشور : مرجع سابق ، ص ١٣٩ . وأيضًا ، سليمان مصطفى : إلمامة عن أحوال القاهرة الاقتصادية ، أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ، مارس - أبريل ١٩٦٩ ، ص ٢ .

٢ - سعيد عاشور : بعض أضواء جديدة على العلاقات بين مصر والحبشة فى العصور الوسطى ، مرجع سابق ، ص ١٤٠ .

٣ - Ahamed Darrage, L'Egypt sous le Regne de Bersbay, p. 96, Paris, 1965 .

٤ - Boneiere, La decourte de l'Afrique ou mayen Ago, tom 3, p. 37, Paris, 1950 .

وانظر أيضًا : عبد الرحمن زكي : تاريخ الشعوب الإسلامية السودانية بأفريقيا الغربية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ٤٢ ، وأيضًا : عبد الحميد البطريق ، عبد العزيز سليمان نوار : التاريخ الأوربى من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٤ ، ص ٤٥ .

كانت هذه الرحلات التجارية بداية لظهور القوة الأوربية فى البحر الأحمر ممثلة فى البرتغال وأسبانيا . وقد ترافقت رحلاتهم مع تطور المجتمع الأوربى من الإقطاع إلى الرأسمالية الباحثة عن مناطق الثروات لاستغلالها (١).

إذن فهذا التحرك النشط من أوربا هو عمليات صراع للسيطرة على مناطق إنتاج المواد الخام ومناطق الاستغلال التجارى ، واستلزم ذلك الاصطدام بين الطرفين فى كل مكان يلتقى فيه المتنافسون بعضهم ببعض ، سواء كان ذلك على طول السواحل الأفريقية ، أو عند مناطق إنتاج المواد الخام نفسها فى الهند والشرق عمومًا (٢).

لذلك أعدت البرتغال الأساطيل اللازمة لعمليات الكشوف واستعانت بخبرة البحارة والجغرافيين من جنوة ، وكانت عمليا الكشف فى بدايتها بطيئة ، ولكن البرتغاليين ثابروا على ذلك حتى استطاع بارتلميو دياز البرتغالى Bartolameu Dias الوصول إلى القمة الجنوبية لأفريقيا ، والدوران حولها ى سنة ١٤٨٧م ، وبذلك أصبح الأمل كبيراً فى الوصول إلى الهند عن طريق البحر ، وبدون المرور فى داخل الأراضى التى يسيطر عليها المسلمون(٣).

وانتهزت البرتغال فرصة هذا الكشف البحرى الكبير وكونت حملة بحرية أكبر من الحملة السابقة بقيادة فاسكو دى جاما (V. Da Gama) ، وقد تحركت هذه الحملة من البرتغال فى الثامن من أغسطس سنة ١٤٥٩م ، متجهة إلى الساحل الغربى لأفريقيا ، واستطاع دى جاما الدوران حول أفريقيا والوصول إلى أراضى الموزمبيق حاليًا (٤).

١- Cornwallis, High land of Ethiopia, p. 233, London, 1844, Also, Bent: The ancient trade rout A cross Ethiopia, p. 140, tom. 1, London , 1844, Also : James : Routs of a Byssinia p.2, London, 1970 .

٢ – جلال يحيى : المغرب الكبير ، جـ ٣ ، الدار القومية لطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ١٢ . وانظر أيضًا : شوقى الجمل : مصر والبحر الأحمر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، جـ ٦ ، المجلة التاريخية المصرية ، القاهرة ١٩٦٧ . وأيضًا : عبد الحميد البطريق ، عبد العزيز سليمان نوار : مرجع سابق ، ص ٤٧ .

٣ – سعاد ماهر : مرجع سابق ، ص ١٢٧ ، انظر أيضًا : جلال يحيى : مرجع سابق ، جـ ٣ ، ص ١٢ . وأيضًا : عبد الرحيم عبد الرحمن : النشاط التجارى فى البحر الأحمر فى العصر العثمانى من ١٥١٧ – ١٧٨٩م ، ندوة أبحاث البحر الأحمر ، القاهرة ، أغسطس ١٩٧٨ .

٤ – Mergery, Perham. The government of Ethiopia, p. 37, London, 1938 . وانظر أيضًا : نعيم فهمى زكى : مرجع سابق ، ص ١٧٧ . وأيضًا : سعد زغلول عبد ربه : البرتغاليون والبحر الأحمر ، ندوة أبحاث البحر الأحمر ، كلية الآداب / جامعة عين شمس ، القاهرة ، أغسطس ١٩٧٨ . وأيضًا : الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط من القرن السابع عشر إلى القرن التاسع عشر الميلادى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٢ .

وعندما وصل البرتغاليون إلى مشارف المحيط الهندى والبحر الأحمر ، عرفوا أن بلاد الحبشة التى يحكمها ملك مسيحى طالما سمعوا عنه الكثير ، أصبح فى متناول أيديهم وسفنهم ، وأن الخيال أصبح حقيقة واقعة أمامهم ، على حين أن العرب كانت لهم صلات بالحبشة وأهلها وتجارتها ومواردها منذ القدم ، إلا أنها كانت مجهولة بالنسبة للأوربيين عمومًا والبرتغاليين خاصة (١).

بدأ الصراع منذ اللحظة التى وصل فيها البرتغاليون إلى البحار الشرقية ضد المصريين المسيطرين على هذه التجارة ، حيث عمل كل طرف على الإستيلاء وأسر وتدمير سفن الطرف الآخر(٢) . بل عمل كل فريق على القضاء نهائيًا على قوة الطرف الآخر ، وعادت هذه الأعمال الحربية من جانب الطرفين بالخسارة الشديدة على موانئ البحر الأحمر وبخاصة موانئ عدن والمخا وجدة (٣).

فى بداية الصراع تمكن المصريون من هزيمة الأساطيل البرتغالية فى سنة ١٥٠٨م ، بجوار جزيرة ديو ، لكنهم لم يقضوا على قوة البرتغاليين بسبب تنظيم صفوفهم مرة أخرى وهاجموا المصريين وانتصروا عليهم فى سنة ١٥٠٩م(٤) ، وفى أثناء ذلك استعانوا بملاح عربى ماهر هو بن ماجد ، الذى ذكرت المراجع التاريخية أنه هو الذى دلهم على طريق الهند ، ويقال إنه سافر معهم قائداً للأسطول حتى وصلوا إلى هناك(٥) .

واستمرت المعارك سجالاً بين المصريين والبرتغاليين فى البحر الأحمر حتى وصل البرتغاليون إلى جزيرة كمران فهرب منها أهلها خوفًا من بطشهم ، ثم ساروا إلى مدينة المخا ومنها إلى عدن ، فتعقب الأمير حسين الكردى قائد الأسطول المصرى البرتغاليين ، فتركوا ساحل اليمن

١- Trimingham, op. cit., p. 77 .
وانظر أيضًا : سعاد ماهر : مرجع سابق ، ص ١٢٨ .

٢ - يحيى بن القاسم : مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص ص ٦٣٠ - ٦٣١ . انظر أيضًا : عبد الرحيم عبد الرحمن : مرجع سابق ، ص ١ .

٣ - لوثر ب. ستودارد : حاضر العالم الإسلامى ، المجلد الثانى ، جـ ٣ ، ترجمة عجاج نويهض ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٥ ، ص ٧٥ . انظر أيضًا : نعيم زكى : مرجع سابق ، ص ١٣ ، وأيضًا : سعاد ماهر : مرجع سابق ، ص ١٢٨ . وأيضًا : الشاطر بصيلى : مرجع سابق ، ص ٤٤٣ .

٤ - قطب الدين النهروالى : البرق اليمانى فى الفتح العثمانى ، دار اليمامة للنشر ، الرياض ، ١٣٨٦هـ، ص ١٥ ، انظر أيضًا : يحيى بن القاسم : مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص ٦٣ . وأيضًا : جلال يحيى : مرجع سابق ، ص ٢٢ .

٥ - يحيى بن القاسم : مرجع سابق ، جـ٢ ، ص ٦٣٥ . انظر أيضًا : نعيم زكى : مرجع سابق ، ص ٩١، أيضًا : سعاد ماهر : مرجع سابق ، ص ١٣٢ .

إلى قواعدهم فى بلاد الهند وهناك لحق بهم الأسطول المصرى الذى أرغمهم على ترك القواعد التى كانوا قد تحصنوا بها [١].

وعاد الأمير حسين الكردى والأسطول المصرى إلى جدة استعداداً لمحاولات أخرى وعاد فى أثره البرتغاليون ، واستولوا على مدينة هرمز وميناءها الذى يقع فى مدخل الخليج الفارسى ويتحكم فى المضيق إلى المحيط الهندى [٢].

وفى سنة ٩١٩ هـ / ١٥١٣م عاد البرتغاليون إلى سواحل اليمن مرة أخرى فتوجهوا إلى عدن واستطاعوا النفاذ من منطقة ضعيفة فى حصونها ، ولكن الأهالى هاجموهم وقتلوا الجنود الذين تسللوا إليها ، فما كان من الأسطول البرتغالى إلا أن ضرب المدينة بالمدافع فهدم البيوت والأسواق ، وأحدث دماراً شديداً ، وبعد ذلك توجهوا إلى جزيرة كمران ، فدخلوها ونهبوا أسواقها وقتلوا من كان فيها من الناس ، ولم يكتفوا بذلك ، بل رحلوا إلى ساحل عدن ومنها إلى ميناء زيلع فأحرقوها بعد أن دمروا المدينة وكانوا قد أخذوا ما فى متاجرها من البضائع[٣].

وفى سنة ٩٢١ هـ / ١٥١٥م وصل الأسطول المصرى وعلى رأسه قائده الأمير حسين الكردى فدخل الحديدية لأخذ الطعام والأخشاب وعاد إلى جزيرة كمران حيث بنى فيها حصنًا قويًا ، ثم سار الأسطول إلى زيلع فأمر بإعادة تحصينها ، ومنها توجه إلى عدن وعمل على تحصين دفاعاتها ، وتوجه بعد ذلك إلى الهند لمتابعة المعارك مع الأسطول البرتغالى [٤].

ومنذ ذلك الوقت تتابع وصول الأساطيل البرتغالية التجارية والعسكرية إلى الهند حتى استقرت للبرتغال السيطرة التجارية الكاملة على تلك البلاد وعلى المحيط الهندى ، وبالتالى انحرفت التجارة الدولية عن طريق مصر واتجهت إلى البرتغال ، مارة بالمحيط الأطلسى من شواطئ أفريقيا الجنوبية والغربية [٥].

١- يحيى بن القاسم : مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص ٦٣٦ ، انظر أيضًا : الشاطر بصيلى : مرجع سابق ، ص ٤٤٧ .

٢ - يحيى بن القاسم : مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص ٦٣٦ ، انظر أيضًا : الشاطر بصيلى ، مرجع سابق ، ص ٤٤٧ ، وأيضًا عبد الحميد البطريق ، عبد العزيز نوار : مرجع سابق ، ص ٥٠ .

٣ - يحيى بن القاسم : مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص ٦٤٠ ، انظر أيضًا : سعاد ماهر : مرجع سابق ، ص ١٨٢ ، وأيضًا : الشاطر بصيلى : مرجع سابق ، ص ٤٤٧ .

٤ - نفس المرجع السابق : ص ص ٦٤٧ - ٦٤٨ .

٥ - سعاد ماهر : مرجع سابق ، ص ١٢٩. انظر أيضًا : نعيم زكى : مرجع سابق ، ص ١٤٤ .

وبعد أن تمكن البرتغاليون من تجارة الشرق لم يكتفوا بذلك بل ذهب قائد أسطولهم فى البحر الأحمر إلى ملك الحبشة للاستعانة به ضد المصريين ، وتكلم معه فى أمر تحويل نهر النيل عن المصريين ولكنه لم ينجح بعد أن ضايقته الأساطيل المصرية فى البحر الأحمر (١).

وقد كان لهذه الاعتداءات وغيرها من أعمال الغزو للموانى العربية على ساحل البحر الأحمر والتى تشبه القرصنة من جانب الأسطول البرتغالى أسوأ الأثر عند السلطان الغورى الذى أمر الأسطول بالاستعداد دائمًا للدفاع عن مصالح مصر التجارية والتى تعتبر بالنسبة لها مصالح حيوية ومصيرية (٢).

أما عن أحوال الهند فقد شدد البرتغاليون قبضتهم على تجارتها وترصدوا السفن العربية والمصرية عند مدخل الخليج الفارسى والبحر الأحمر ، وصادروا حمولتها وأصبح أمراء الهند وحلفائهم مرغمين على مهادنة البرتغاليين ، وأصبح السلطان وحده فى الميدان يواجه قوات تفوق قواته ، وقل بصورة واضحة وصول السلع الشرقية لمصر والشام وبالتالى وصول التجار الأجانب لأخذ هذه البضائع (٣).

وفى أثناء هذا الصراع المرير داهم مصر والسلطان الغورى خطر آخر قادم من الشمال ، هو هجوم الجيوش العثمانية على الشام التابعة لمصر فى سنة ١٥١٦م ، ثم دخولهم إلى مصر فى ١٥١٧م حيث أطلت على البحر الأحمر قوة العثمانيين .

فمنذ سنة ١٥١٧م أصبحت مسئولية حماية البحر الأحمر وسواحله تقع على عاتق العثمانيين ، وكان عليهم مراقبة الأطماع البرتغالية فى هذا البحر ومداخله ، ولذا فإن مرحلة جديدة من التنافس حول هذا البحر وممارسة النشاط التجارى فيه بدأت منذ ذلك الوقت ، وبذل العثمانيون جهداً كبيراً للحفاظ عليه كبحيرة إسلامية وتركز النشاط التجارى فيه على القوى الإسلامية وبخاصة فى يد التجار العرب والمسلمين وإن اتسمت خطواتهم الأولى بالحذر ، حيث أننا نجد أن الحملات البرتغالية استمرت وبشدة على سواحل البحر الأحمر فى أعوام ١٥٢٠ - ١٥٢٣م (٤).

١- ابن إياس : مرجع سابق ، جـ٢ ، ص ١٩٦ . انظر أيضًا : سعاد ماهر : مرجع سابق ، ص ١٣٢ .
٢ - نفس المرجع السابق ، ص ١٩٦ .
٣ - سعاد ماهر : مرجع سابق ، ص ١٢٨ .
٤ - ابن إياس : مرجع سابق ، جـ٢ ، ص ٣٧ . انظر أيضًا : عبد الرحيم عبد الرحمن : مرجع سابق ، ص٥. وأيضًا : عبد الحميد البطريق ، عبد العزيز نوار : مرجع سابق ، ص ٦٠ .

علاوة على ذلك فقد تم التحالف بين البرتغاليين والأحباش ، وكان غرض هذا التحالف هو شلّ النشاط التجارى الإسلامى عن طريق تطويق العالم العربى والإسلامى من الجنوب ، ومن أجل تحقيق هذه الأهداف استمات البرتغاليون فى صراعهم للسيطرة على البحر الأحمر خاصة مداخله الجنوبية مثل عدن التى تعرضت لكثير من حملاتهم [١].

ومنذ سنة ١٥٣٨م بدأ اهتمام العثمانيين بالبحر الأحمر كمرحلة أولى فى هذا الميدان ، وبدأت محاولتهم لاخضاع اليمن لنفوذهم تقديراً منهم لأهمية اليمن الاستراتيجية فى الصراع ضد البرتغاليين ، وبدأت جهودهم فى ميدان البحر الأحمر فكانت حملة سليمان باشا الخادم سنة ١٥٣٨م[٢] . الذى تمكن بعد عدة عمليات حربية ، وبعد اتصالات جرت بينه وبين أمراء اليمن من الوصول إلى عدن والاستيلاء على الميناء وتحصينه مثل ميناء جدة ، والذى كان قد أتم تحصينه من قبل وأصبح مركز قيادة عسكرية متقدمة للدفاع عن البحر الأحمر ضد البرتغاليين ، وضد غيرهم من القوى التى بدأت تظهر فى المياه الشرقية[٣] وأكثر من هذا قام العثمانيون بإغلاق ميناء عدن أمام السفن الأجنبية عمومًا وجعلوا البحر الأحمر بحيرة إسلامية مغلقة بحجة أنه يطل على الأماكن المقدسة ، فكان على مثل هذه السَفن أن تفرغ حمولتها على موانئ اليمن الجنوبية ، لتقوم السفن الإسلامية بحمل هذه التجارة إلى داخل البحر الأحمر[٤] .

وعلاوة على ذلك فقد أنشأ العثمانيون ولاية تسمى بولاية الحبش وقاعدتها سواكن (٩٦٢- ٩٦٧ هـ / ١٥٥٠ - ١٥٥٥م) وربطوا بين هذه الولاية وثغر جدة الإسلامى فى إدارة واحدة ، وكأنما كانت مهمة هذه الإدارة هى متابعة الدوريات البحرية فى البحر الأحمر بين الشاطئ العربى والشاطئ الأفريقى لإحكام السيطرة على هذا البحر[٥] ، والذى أصبح مغلقًا فى وجه البرتغاليين بقوة الأسطول العثمانى .

١- جلال يحيى : التنافس الدولى فى شرق أفريقيا ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ١٢ .

٢ - Cammerer, op. cit., tom 11, p. 288.

انظر أيضًا : عبد الرحيم عبد الرحمن : مرجع سابق ، ص ٥ ، وأيضًا : فائق بكر : أهمية ثغر جدة فى النصف الأول من القرن العاشر الهجرى (١٦م) ، ندوة أبحاث البحر الأحمر ، القاهرة ، أغسطس ١٩٧٨م .

٣ - سعاد ماهر : مرجع سابق ، ص ١٣٨ . انظر أيضًا : فائق بكر : مرجع سابق ، ص ٣٥ ، وأيضًا : ليلى عبد اللطيف أحمد : أهمية بندر السويس فى العصر العثمانى ، ندوة أبحاث البحر الأحمر ، القاهرة ، أغسطس ١٩٧٨ ، ص ٩ .

٤ - فائق بكر : مرجع سابق ، ص ٣٦ .

٥ - ليلى عبد اللطيف أحمد : مرجع سابق ، ص ١٠ .

واستمر الحال كذلك إلى أن قدم الفرنسيون إلى مصر فى إطار التنافس بينهم وبين الإنجليز حول طرق التجارة والمواصلات . وخلال فترة الاحتلال الفرنسى لمصر القصيرة (١٧٩٨ - ١٨٠١م) قاموا بتنظيم ميناء السويس حيث دخل البحر الأحمر والموانى المطلة عليه مرحلة تاريخية جديدة ، إذ بدأت أنظار الدول الأوربية المتنافسة تنظر إليه على أنه طريق الوصول إلى الشرق الأقصى الغنى بالثروات الطبيعية [١]. ومن هنا قامت شركة الهند الشرقية (الإنجليزية) بنشاط واسع النطاق للسيطرة على المراكز الاستراتيجية فى المدخل الجنوبى للبحر الأحمر للوقوف فى وجه أي محاولة فرنسية للوثوب إلى الهند [٢]. وأرسلت انجلترا فى سنة ١٧٩٩م قوة بحرية إنجليزية من بومباى لاحتلال جزيرة بريم فى مدخل البحر الأحمر [٣]، ثم السيطرة على جزيرة سقطرى بعد مفاوضات مع سلطاتها[٤] . هذا فضلاً عن إرسال حكومة الهند (الإنجليزية) قوة بحرية إلى ميناء القصير لفرض الحصار على الفرنسيين وإخراجهم من مصر . وأصبح محور السياسة البريطانية بعد ذلك يدور حول السيطرة وبسط النفوذ على المراكز الاستراتيجية الهامة فى طرق المواصلات إلى الهند والشرق الأقصى وخاصة البحر الأحمر الذى كان ولايزال يعد أقصر هذه الطرق وأسهلها ، واستخدمت لتحقيق ذلك كافة الوسائل الدبلوماسية والعسكرية المتاحة لها [٥].

وتم لإنجلترا ذلك على مراحل مختلفة وذلك بهزيمة الأسطول الفرنسى فى موقعة أبى قير البحرية وبمحاولة احتلال مصر فى ١٨٠٧ (حملة فريزر)[٦] وبعقد معاهدة مع سلطان لحج قبل ذلك فى (٦ سبتمبر ١٨٠٢) لفتح ميناء عدن أمام السفن التجارية الإنجليزية ، ومعاهدة أخرى مع إمام صنعاء فى (١٥ يناير ١٨٢١م) كفلت للوكيل البريطانى فى ميناء

١- أحمد عبد الرحيم مصطفى : مصر والمسألة المصرية من ١٨٧٦ - ١٨٨٢م ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ١١ . انظر أيضًا : شوقى عطا الله الجمل : مرجع سابق ، ص ٣ .

٢ - فاروق عثمان : سياسة بريطانيا فى عسير أثناء الحرب العالمية الأولى ، دار المعارف ، الأسكندرية ، ١٩٨١ ، ص ١٦ . وأيضًا : أحمد عبد الرحيم مصطفى : مرجع سابق ، ص ١٦ . وأيضًا : فاروق عثمان : العلاقات البريطانية اليمنية فيما بين الحربين العالميتين ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص ٢٥ .

٣ - فاروق عثمان : مرجع سابق ، ص ٢٥ .

٤ - شوقى الجمل : مرجع سابق ، ص ٤ . انظر أيضًا :

Hitti, The Near East in History A 5000 Year story, p. 473, London, 1970 .

٥ - فاروق عثمان : سياسة بريطانيا فى عسير : مرجع سابق ، ص ١٦ .

٦ - فاروق عثمان : العلاقات البريطانية اليمنية : مرجع سابق ، ص ٢٣ .

مخا أن يكون بمثابة المندوب السامى البريطانى [١]. وأكثر من هذا عملت انجلترا على إخضاع ميناء عدن بعد أن تبينت أهميته الكبرى فى التحكم بالبحر الأحمر من الجنوب فاحتلته فى (١٩ يناير ١٨٣٩م) [٢]، وكذلك تصدت من قبل لامتداد نفوذ محمد على إلى الخليج الفارسى شرقًا ومضيق باب المندب جنوبيًا[٣] وعاودت السيطرة على جزيرة بريم بناء على تقرير المقيم السياسى البريطانى فى عدن إلى حكومة بومباى فى سنة ١٨٥٦ [٤].

هذا عن المدخل الجنوبى للبحر الأحمر واستقرار الأمور فيه لانجلترا بعد أن أصبحت صاحبة السيادة فى عدن والمحيط الهندى بأكمله ، أما الجزء الشمالى من البحر الأحمر حيث توجد مصر فقد خضع لفترة قصيرة نسبيًا لتطورات عكس المخططات البريطانية التى كانت تستهدف إخضاع مصر لها أو الحيلولة دون وقوعها تحت سيطرة دولة أخرى ، والعمل على عدم ظهور قوة عسكرية مصرية تمنع انجلترا من تحقيق أحلامها فى التوسع [٥].

فعندما تولى محمد على حكم مصر أدرك منذ ذلك الوقت أن التصدى لأوربا وأطماعها الاستعمارية وخاصة أطماع إنجلترا وفرنسا لن يتحقق إلا ببناء دولة مصرية قوية حديثة ، وهو ما تحقق خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر من خلال السياسات الاقتصادية التى اتبعها فى بناء مصر داخليًا [٦]. ومن ناحية أخرى قام محمد على بمد نفوذه خارج الحدود استكمالاً لمظاهر القوة فنراه يضم السودان بحملة عسكرية فى ١٨٢٠ ، ويهتم بالموانئ المطلة على البحر شرق السودان والصومال من أجل توفير الخدمات ووسائل المعيشة والأمن للسفن المارة بهذه الموانئ ، بل أن الإدارة المصرية رتبت خطوطًا ملاحية منتظمة بين بربرة وعدن وزيلع والسويس ووضعت لها جداول ورحلات منتظمة ودقيقة مما أدى إلى انتعاش حركة هذه الموانئ[٧].

١- فاروق عثمان : سياسة بريطانيا فى عسير : مرجع سابق ، ص ١٧ . وأيضًا : مصطفى النجار : الوثائق البريطانية : مجلة المؤرخ العربى ، العدد ١٢ ، جامعة بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ٧٦ .

٢ - نفس المرجع السابق ، ص ١٧ .

٣ - فاروق عثمان : العلاقات البريطانية اليمنية : مرجع سابق ، ص ٢٣ . انظر أيضًا : محمد حسن عويلى : اغتيال بريطانيا لعدن والجنوب العربى : منشورات العصر الحديث ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ١٤ .

٤ - نفس المرجع السابق .

٥ - نفس المرجع السابق ، ص ٢٤ .

٦ - عبد العزيز نوار : مصر والعراق : مرجع سابق ، ص ٢٠٢ . انظر أيضًا : أحمد عبد الرحيم مصطفى: مرجع سابق ، ص ١١ .

٧ - شوقى الجمل : مرجع سابق ، ص ٩٠ ، انظر أيضًا : جميل عبيد : المديرية الاستوائية ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ١٠ .

غير أن الإنجليز لم ينظروا بعين الارتياح لوجود النفوذ المصرى واستقراره فى هذه الجهات ، خاصة وأن المصريين أقاموا بها إدارة مركزية حديثة أسهمت فى تطويرها[١] . ومن هنا عملت انجلترا وفرنسا على إخراج مصر من هذه المناطق ، وقد جاءت الفرصة لهما عندما أضطربت العلاقات بين محمد على والسلطان العثمانى ووصلت إلى الصدام المباشر بل وتهديد مقر السلطان نفسه [٢]. فنجد أن انجلترا تقف بجانب السلطان تحت شعار المحافظة على وحدة أملاك الدولة العثمانية وتحجيم قوة محمد على تمهيداً للقضاء عليه[٣] .

وانتهى الصراع مع السلطان بهزيمة محمد على ، وفرضت عليه تسوية لندن سنة ١٨٤٠م وبمقتضاها عادت مصر رلي حجمها قبل ظهور محمد على ، وإن ظلت تشغل مكانة ضخمة فى اهتمامات الدول سبب المصالح الواسعة التى التفت حولها[٤] .

ثم أخذ الصراع الخفى بين مصر والدول الأوربية على البحر الأحمر شكلاً آخر تمثل فى مشروع وصل البحرين الأبيض والأحمر ، وهو مشروع قديم يعود إلى أيام الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨ - ١٨٠١م) والذى لم يتحقق آنذاك لاعتقاد علماء الحملة باختلاف منسوب المياه فى البحرين [٥].

ورغم أن انجلترا قد قنعت منذ إنشائها لشركة الهند الشرقية بطريق رأس الرجاء الصالح لتحقيق مصالحها التجارية ، مكتفية بحق الاتجار والرسو فى الموانئ العثمانية والعربية فى

١- مكى شبيكة : تاريخ شعوب وادى النيل (مصر والسودان فى القرن التاسع عشر الميلادى) ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٥٠٢ . انظر أيضًا :

Cornvin, Colonialism in Africa, 1870 - 1960, p. 407, vol.2 Idited by L.H. Coin Petter Duignan, London, 1979 .

٢- عمر عبد العزيز : دراسات فى تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ص ٥٤٨ .

٣ - عبد العزيز الشناوى ، جلال يحيى : مرجع سابق ، ص ص ٥٦١ - ٥٦٢ ، وثيقة رقم ٩ ، مجموعة ٣ . انظر أيضًا : أحمد عبد الرحيم مصطفى : مرجع سابق ، ص ٩ .

٤ - نفس المرجع السابق ، ص ٥٦٢ . انظر أيضًا : شوقى الجمل : مرجع سابق ، ص ٦ .

٥ - مكى شبيكة : مرجع سابق ، ص ٥٠٨ . انظر أيضًا : جرجى زيدان : قناة السويس ، مجلة الهلال ، جـ ٦ ، السنة ٢٣ ، مارس ١٩١٥ .

بلاد الشرق بوجه عام [١]، إلا أنها بذلت محاولات متكررة لإحياء طريق البحر الأحمر الذى يمكن بواسطته نقل المسافرين والبريد والسلع المهمة فى فترة مختصرة . وكانت فرنسا من ناحية أخرى تبذل نفس المحاولات . ومن هنا اشتد التنافس بين انجلترا وفرنسا [٢].

ونجحت فرنسا فى تنفيذ المشروع عندما استطاع فرديناند ديلسبس فى ٥ يناير سنة ١٨٥٦ الحصول على موافقة سعيد باشا على عقد الامتياز وقانون الشركة الأساسى لحفر قناة السويس[٣]، وكان من شروط العقد جعل القناة وموانئها على الحياد ، وأن تكون الملاحة فيها حرة للسفن التجارية دون استثناء أو تمييز أو حرمان لأي شخص أو جنسية ، وأن لا تمنح الشركة صاحبة الامتياز لأى شخص أو سفينة مزايا تحرم منها باقى السفن أو الشركات أو الأفراد [٤].

وقد بقى هذا الحياد مرعيًا ومحترمًا بين الدول إلى أن وقعت أحداث الثورة العرابية ، فخرقت انجلترا هذا الحياد ، واتخذت القناة ميدانًا لعملياتها الحربية ، التى انتهت باحتلال مصر على نحو ماهو معروف . وأصبحت قناة السويس فى قبضتها[٥] . وحتى لاتثير حفيظة الدول الأوربية عليها ، أعلن اللورد جرانفيل وزير الخارجية أن بلاده ملتزمة بهذا الحياد وذلك فى برقية أرسلها لهذه الدول فى يناير سنة ١٨٨٣ موضحًا سياسة بريطانيا العظمى تجاه القناة ومصر عمومًا [٦].

١- فاروق عثمان : سياسة بريطانيا فى عسير : مرجع سابق ، ص ١٥ .

٢ - محمد فؤاد شكرى : مصر فى مطلع القرن التاسع عشر (١٨٠٠ - ١٨١١) ، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٥٨ ، ص ٤ . وأيضًا : شوقى الجمل : مرجع سابق ، ص ٥ .

٣ - عبد العزيز الشناوى ، جلال يحيى : مرجع سابق ، ص ص ٥٧١ - ٥٨٤ ، وثيقة رقم ٧ المجموعة الرابعة . انظر أيضًا : شوقى الجمل : مرجع سابق ، ص ١٠ . وأيضًا : محمد رفعت : مصر وحيدة قناة السويس ، مجلة الكاتب المصرى ، مجلد ١ ، ع ١ ، القاهرة ، فبراير ١٩٤٥ ، ص ١٥٢ .

٤ - جلال يحيى : مرجع سابق ، ص ١٠ . انظر أيضًا : شوقى الجمل : مرجع سابق ، ص ٩ .

٥ - عبد الرحمن الرافعى : مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٥٠ . انظر أيضًا : أحمد عبد الرحيم مصطفى : علاقات مصر بتركيا فى عهد الخديوى اسماعيل من ١٨٦٣ - ١٨٧٩م ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٧ . وأيضًا : مكى شبيكة : مرجع سابق ، ص ٥١٢ .

٦ - عبد العزيز الشناوى ، جلال يحيى : مرجع سابق ، ص ص ٦٤٣ - ٦٤٥ ، وثيقة رقم ١٣ ، مجموعة ٤ . انظر أيضًا : عبد الرحمن الرافعى : مرجع سابق ، ص ٩٥ .

وهكذا تم لانجلترا تحقيق أغراضهم السياسية كلها وهى السيطرة الفعلية على شركة قناة السويس وعلى مصر كلها ، وعلى موانيها المطلة على البحر الأبيض والأحمر[١] بجانب السودان ، وأصبح البحر الأحمر من شماله إلى جنوبه تحت السيطرة الإنجليزية الكاملة [٢].

وبعد أن اطمأنت انجلترا إلى ثبات موقفها فى مصر ، عملت على تنفيذ بقية الخطط الرامية إلى احتلال كل المراكز المهمة فى طريق التجارة الخاصة بالبحر الأحمر ، بادئة بجزيرة قبرص ، لتوفر لها مركزاً استراتيجيًا فى شرق البحر الأبيض على مقربة من المدخل الشمالى لقناة السويس يساعدها على تأمين المواصلات إلى الهند[٣] فضلاً عن جبل طارق ومالطة[٤].

ولما لم تجد الدول الأوربية فائدة من معارضة انجلترا ، فكانت القناة تمثل شريانًا حيويًا للتجارة الدولية ، طالبت بعقد مؤتمر دولى لتحديد وضع القناة بالنسبة للملاحة الدولية [٥].

وانتهى الأمر بعقد معاهدة الآستانة فى ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٨٨م ، والتى وقعت عليها كل من انجلترا وفرنسا وألمانيا والنمسا وإيطاليا وروسيا والدولة العثمانية وأسبانيا وهولندا [٦]، وإن كانت انجلترا قد وضعت شرطًا مؤداه ألا يقيد هذا الاتفاق حريتها فى العمل مادام الاحتلال باقيًا فى مصر [٧].

---

١ – حسين على حلاق : موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧ – ١٩٠٩ ، جامعة بيروت العربية ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ص ٣٤١ . انظر أيضًا : محمد رفعت : سياسة الدول فى الشرق الأوسط ، مجلة الكاتب المصرى ، مجلد ٨ العدد ٢٩ ، ١٩٤٨ ، ص ٣٤٩ .

٢ – Fisher, The Middle East in History, p. 452, London, 1961. Also : Hitti, op, cit., p. 335.

انظر أيضًا : حسن صبرى الخولى : سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين ، جـ ١ ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٠ ، ص ٢٢٩ . وأيضًا : عمر عبد العزيز : مرجع سابق ، ص ٥٥٠ .

٣ – حسن صبرى الخولى : مرجع سابق ، ص ٢٣٩ .

٤ – محمود زايد : من أحمد عرابى إلى جمال عبد الناصر ، الدار المتحدة للنشر ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٨٧ . انظر أيضًا : محمد رفعت : مرجع سابق ، ص ٣٤٩ .

٥ – محمد رفعت : مرجع سابق ، ص ١٥٥ .

٦ – عبد الرحمن الرافعى : مرجع سابق ، ص ٩٧ . انظر أيضًا : جوزيف سلامة : قناة السويس فى القانون الدولى ، مجلة الأبحاث ، جـ ٤ ، يناير ١٩٥٦ ، ص ٣٨٧ .

٧ – عبد العزيز الشناوى ، جلال يحيى : مرجع سابق ، ص ٦٦٠ ، وثيقة رقم ١٩ ، مجموعة ٤ . انظر أيضًا : Farnie, East and West of Suez, p. 317, London 1969

وانظر أيضًا عبد الرحمن برج : قناة السويس ، أهميتها السياسية والاستراتيجية وتأثيرها على العلاقات المصرية البريطانية من ١٩١٤ – ١٩٥٦ ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ٣٣ . وأيضًا : محمد رفعت : مرجع سابق ، ص ١٥٥ .

وثمة أحداث وقعت بعد ذلك كان لها أثرها فى تغير خريطة القوى المتصارعة على السيطرة على البحر الأحمر ، من ذلك قيام الثورة المهدية فى السودان التى انتهت بخروج مصر من السودان ومن شرق أفريقية (الصومال)(١) . وتطلعت إيطاليا لاحتلال تلك المناطق فدخلت فى صراع مع الحبشة(٢) ، ودخلت انجلترا وفرنسا فى مواجهة حادة فى سنة ١٨٩٨ فى قرية فاشودة فى جنوب السودان على النيل الأبيض(٣) ، انتهت بانسحاب الفرنسيين وكان الانسحاب يمثل تطوراً كبيراً بالنسبة للعلاقات السياسية الكبرى فى أوربا نفسها ، وكذلك بالنسبة لحركة الاستعمار عامة وفى أفريقيا خاصة (٤).

وهكذا ومع نهاية القرن التاسع عشر أصبح البحر الأحمر بشواطئه الممتدة على حدود مصر والسودان وموانئه ، والصومال وموانئه واليمن الجنوبى والجزر التى تقع فى مدخل البحر الأحمر من ناحية باب المندب كلها تحت السيطرة الإنجليزية الكاملة ، حتى ليمكن القول أنه أصبح بحراً إنجليزيًا وبذلك ضمنت طريق التجارة الدولية إلي مستعمراتها فى أفريقيا والهند والشرق الأقصى . ولم يشاركها فى السيطرة سوى الدولة العثمانية التى كانت قد احتلت اليمن مرة أخرىَ فى سنة ١٨٧٢م(٥) فضلاً عن نفوذها على الحجاز وعلى بلاد الشام ، لكن سيطرتها لم تكن مؤثرة فى موازين القوة الدولية آنذاك وهى الموازين التى كانت تجعل التفوق للقوة البحرية التى تمتعت بها بريطانيا(٦) .

١- زاهر رياض : استعمار أفريقيا ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ٢٩٥ .

٢ - على إبراهيم عبده : أزمة فاشودة عام ١٨٩٨ ، المجلة التاريخية المصرية ، جـ ٦ ، القاهرة ، ١٩٥٧، ص ٢٧ . انظر أيضًا : محمد عبد الله عنان : مصر والمستعمرات الإيطالية ، مجلة الكاتب المصرى ، م١ ، ع٤ ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٥١٨ .

٣ - على إبراهيم عبده : مرجع سابق ، ص ٣٧ . انظر أيضًا :

Cammerer, op. cit., p. 405 .

٤ - Fisher, op. cit., op. 158 . Also : Sachar, The emergence of the Middle Est, p. 152, London, 1975.

٥ - F.O. 371/2755, Memorandum by Frere, June, 1874.

٦ - فاروق عثمان : العلاقات البريطانية اليمنية ، مرجع سابق ، ص ٤٨ . انظر أيضًا : جورج أنطونيوس : يقظة العرب (تاريخ حركة العرب القومية) ترجمة ناصر الدين الأسد ، إحسان عباس ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ٢٣ . وأيضًا : جلال يحيى ، محمد نصر مهنا : مشكلة القرن الأفريقى وقضية شعب الصومال ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ ، ص ٤٣٠ .

الفصل الأول

القوى السياسية المسيطرة فى البحر الأحمر
عشية اندلاع الحرب العالمية الأولى

ذكرنا فى التمهيد أن انجلترا كانت تسيطر سيطرة بحرية وعسكرية وتجارية على البحر الأحمر فى أواخر القرن التاسع عشر بسبب احتلالها لعدد من المواقع المهمة المطلة على البحر الأحمر مثل مصر ، وعدن ، وجزء من الصومال والسودان ، أما تركيا فكان لها وجود قوى فى بلاد الشام والحجاز واليمن ، وإن لم يتساو وجودها مع الوجود الإنجليزى .

ولما كان الصراع بين تركيا والدول الأوربية بشأن الاحتلال ، يدعونا هذا إلى الحديث عنه بقدر من التفصيل عن القوى المتصارعة فى البحر الأحمر فى مطلع القرن العشرين حتى يتسنى لنا معرفة دور كل منها بعد ذلك فى الحرب العالمية الأولى ودور البحر الأحمر وموقعه فى تلك الحروب ، وعند استعراضنا لهذه القوى الواحد وراء الأخرى ، نبدأ بتركيا التى كانت أول قوة تحتل البلاد المطلة على البحر الأحمر ، حتى تسبب ضعفها فى قيام الدول الأوربية باحتلال هذه البلاد ، وإذا عدنا إلى الوراء قليلاً نجد أن لهذا الصراع جذوراً تاريخية بين الدول الأوربية والإمبراطورية العثمانية ، وبين الدول الأوربية نفسها ، وأهمها انجلترا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا .

وجدت فرنسا فى الدولة العثمانية عند قيامها حليفًا قويًا ضد الإمبراطورية الرومانية المقدسة ، وحصلت من الدولة على امتيازات فى عام ١٥٣٥م ، فانفتح الباب لهذا النظام أمام سائر الدول الأوربية ، ومن هنا أخذت المصالح الأوربية تزداد وتنمو فى الولايات المختلفة ، ولم تصبح هذه الامتيازات خطراً على الدولة العثمانية نفسها وعلى الولايات التابعة لها إلا بعد أن ظهر ضعفها أما الدول الأوربية(١) .

١- عبد العزيز نوار : تاريخ العراق الحديث ، جامعة بيروت العربية ، بيروت ، ١٩٧٥، ص ٢٨٣ . انظر أيضًا : ياسر عباس الزيدى : القوى الاستعمارية والخليج العربى ، مجلة المؤرخ العربى ، العدد ١٢ ، جامعة بغداد ، ١٩٨٠ .

واستمر الحال على ذلك حتى جاءت حروب نابليون فى أوربا فقلبت كل المقاييس والموازين داخل أوربا وفى البلاد المطلة على حوض البحر الأبيض المتوسط ، وعندما انتهت هذه الحروب بهزيمة نابليون ونفيه ، ومع كل ماحدث من التغيير والتبديل فى فرنسا وألمانيا والنمسا ، فقد ظلت الدول الأوربية في سكون لاسبيل إلى التخاصم والتزاحم ، حتى جاءت حرب السبعين ، فانقسمت أوربا إلى حزبين مختلفين فى المصلحة والسياسة (١).

وبعد هذه الحرب بدأت تظهر قوة ألمانيا فى سياستها ، التى اتبعها بسمارك مستشارها وصانع سياستها فى تلك الفترة ، إذ أنه اجتهد فى التقرب من روسيا فنجح فى ذلك وعقد معها معاهدة ودية أدخل بها النمسا معهما ، وكانت تلك البذرة الأولى لشجرة التحالف الثلاثى ، وشعر بسمارك أن دوام الاتفاق مع حليفتيه النمسا وروسيا مستحيل لتناقض المصالح بينهما ، لاسيما أن الرأى العام فى روسيا كان كارهًا النمسا لدخولها فى حرب القرم، لذلك لم يعضدها فى القيام مع فرنسا ضد بروسيا حين إعلان الحرب ، وكانت سياسة بسمارك ترمى إلى جعل دولته حكمًا بين النمسا وبروسيا ليعودان إليها فى حل مشاكلهما ، وما يقع بينهما من سوء التفاهم حول أملاك الدولة العثمانية ، وجددت المحالفة الثلاثية بعد ثلاث سنوات وفاز بسمارك بتحويل أنظار روسيا عن فرنسا (٢).

وبدأ الصراع الأوربى يخرج من حدود بلاد أوربا نفسها إلى الدولة العثمانية ، والتى كانت فى ذلك الوقت فى حالة من الضعف أطمعت فيها الدول الأوربية ، التى رأت فى الامتيازات التى منحت لها فى الولايات الخاضعة لتركيا غير كافية وبدأت الأطماع تتركز فى الاستيلاء على هذه الولايات نفسها (٣).

١- توفيق مفرج : أوربا اليوم ، مجلة الهلال ، السنة ٢٢ ، جـ ٧ ، أبريل ١٩١٤، ص ٥٤٠ ، انظر أيضًا: فارس نمر : المباراة فى الاستعداد للحرب ، مجلة المقتطف ، مجلد ٤٦ ، جـ٦ ، نوفمبر ١٩١٤ ، ص ٥٤١ . وأيضًا : محمد رفعت : الحركة الوطنية فى ليبيا ، مجلة الكاتب المصرى ، مجلد ٥ ، عدد ١٧ فبراير ١٩٤٧ ، ص ٢١٩ . وأيضًا :

Yale, W. The Near East, A modern hisory, p. 205, N.Y, 1968.

٢ - توفيق مفرج : مرجع سابق ، ص ٤٩١ . انظر أيضًا : لويس شيخو ، حوادث العام المدبر ، مجلة المشرق ، ع ١ ، ١٩٢٠ ، ص ١١٩ ؛

Polk, United States and the Arabs World, p. 106, London, 1968.

وأيضًا عبد الحميد البطريق : التيارات السياسية المعاصرة من ١٨١٥ - ١٩٦٠ ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٤ ، ص ص ٥٠ - ٥٢ .

٣ - Dearborn, The All-Highest Goes to Jerusalem, p. 15, N.Y. 1918. Also : The (London) times, November 23, 1898, p. 8 .

واستمراراً لهذه السياسة واكتساباً لمواقع جديدة داخل الإمبراطورية العثمانية ، زار القيصر الألماني وليم الثاني تركيا في سنة ١٨٩٨[١] ، وكانت الزيارة الثانية له ، واكتسبت أهمية خاصة حيث عقد عليها كل العاهلين التركي والألماني الآمال الكثيرة . ولقد تناولت الزيارة كلا من القسطنطينية وبيت المقدس ودمشق على التوالي حيث قوبلت بحفاوة بالغة [٢].

ولقد نجحت الزيارة وحصل الإمبراطور الألماني على امتيازات اقتصادية واسعة ، وكان لمشروع سكة حديد بغداد نصيب الأسد من هذه الامتازات ، أما الصداقة التي نشأت حينذاك بين الطرفين فقد استمرت بعد ذلك دون ضعف أيام السلم والحرب ، وكان لثبوتها هذا أخطر العواقب بعد ذلك كما سنرى في الحوادث المقبلة [٣].

إذن فألمانيا عندما أصبحت دولة رأسمالية صناعية متقدمة ، كان عليها أن تبني قوة عسكرية لكي تكون أداتها في الدفاع عن النفس من جهة ، ولشق طريقها الاستعماري من جهة أخرى ، ولقد بنت ألمانيا قوتها العسكرية ، وكان ذلك أمراً طبيعياً ، ولكن المشكلة بالنسبة لها بقيت قائمة وتتمثل في أن لديها فائضاً في إنتاجها الصناعي[٤] ، ومثل هذا الفائض مالم يجد الأسواق التي تستوعبه وتستهلكه فإنه يكون علامة خطر كبير ، لأنه إذا لم تكن هناك أسواق ، فإن هذا الفائض المتكدس يؤدي بالتالي أحد احتمالين لاثالث لهما : إما أن ينخفض الإنتاج . الأمر الذي يؤدي إلى تسريح وتشريد أعداد كبيرة من العمال مما يعرض النظام الرأسمالي كله إلي الخطر الشديد ، وإما أن تنفتح أسواق جديدة وكبيرة تستوعب وتستهلك هذا الفائض ، ومن طبيعة الرأسمالية أن تأخذ بذلك ، وهذا يؤدي إلى التنافس الدولي وهذا مادفع ألمانيا إلى صداقة تركيا [٥].

١- Levin, E., The German road to the East, p.p. 100 - 101., London, 1916.
Treleor, Sir, with the Kaiser in the East, p. 20, London , 1898 .

٢ - زكي صالح : بريطانيا والعراق ، جامعة بغداد ، ١٩٦٨ ، ص ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .
انظر أيضاً : Kedourie, Saad Zaghlul and British, p. 138, London, 1961.
وأيضاً : عبد الحميد البطريق : مرجع سابق ، ص ٥٧ .

٣ - Bülow, Prince Von, Memoris, 1897 - 1903, on the Kiasers visit to Turkey, chapter VI, p. 20, London, 1931 .
انظر أيضاً : زكي صالح : مرجع سابق ، ص ٢٣٢ .

٤ - عودة بطرس عودة : القضية الفلسطينية في الواقع العربي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ٢٣٥ . انظر أيضاً : فارس نمر : مرجع سابق ، ص ٥٤١ .

٥ - لويس شيخو : مرجع سابق ، ص ١٢١ . وأيضاً : عودة بطرس : مرجع سابق ، ص ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

ولم يكن أمام ألمانيا إلا أن تأخذ بالاحتمال الثانى ، أى أن تعمل على شق طريقها بالقوة . كما لم يكن أمامها إلا أن تبدأ من داخل الإمبراطورية العثمانية ، وكان طبيعيًا أن يكون ذلك علامة خطر بالنسبة للدول الأوربية الأخرى ، لأن القوة العسكرية الألمانية المتعاظمة إلى جانب القوة الاقتصادية الصناعية الألمانية المتزايدة ، جعلت الدول الاستعمارية الأخرى لاتنظر إلى التغلغل الألمانى فى الإمبراطورية العثمانية على أنه يستهدف فقط ضمان سوق استهلاكية للفائض الصناعى وإنما تهديداً للمستعمرات التابعة لهذه الدول [١].

. إذن وقع تطور هام فى العلاقات الدولية بعد حدوث التقارب بين ألمانيا والدولة العثمانية ، حين رأت الأخيرة أن بريطانيا وفرنسا تتسابقان فى الاستيلاء على ممتلكاتها ، فرحبت الدولة العثمانية بهذا التقارب ، وعملت ألمانيا على الاستفادة من موقع الدولة العثمانية الاستراتيجى ، إذ أنها ملتقى آسيا وأوربا ، وهى قريبة أيضًا من ألمانيا ، وغنية بمواردها اللازمة للصناعة الألمانية المتزايدة وفى الاستطاعة اتخاذها سوقًا رائجة للمنتجات الألمانية[٢].

وهكذا أصبح من مخططات السياسة العليا لألمانيا دعم هذا النفوذ فى شتى صوره وأشكاله فى الدولة العثمانية وهو ما أطلق عليه (سياسة الاتجاه نحو الشرق) Drang Nach osten وكان من مظاهر دعم النفوذ الألمانى فى الدولة العثمانية ، إيفاد البعثات العسكرية لتدريب الجيش العثمانى وفق الأساليب الحديثة ، وجعل أسلحته وذخائره من إنتاج المصانع الألمانية . وكان يرأس هذه البعثات العسكرية فون درجولتس (Van der Goltz) الذى كان على حظ موفور من الكفاءة الممتازة والإخلاص فى العمل ، ولم يدخر جهداً طوال ثلاث عشرة عامًا فى النهوض بالجيش التركى تدريبًا وتسليحًا وتطويراً لخطط التعليم فى المعاهد العسكرية التركية ، وشجعت الحكومة الألمانية تدفق رؤوس الأموال الألمانية وزيادة حجم التبادل التجارى بين البلدين ، وتنفيذ العديد من المشروعات الكبرى ، وكان على رأسها سكة حديد بغداد [٣].

١- حسن صبرى الخولى : مرجع سابق ، ص ١١٠ . انظر أيضًا : عودة بطرس : مرجع سابق ، ص ٢٣٦.

٢ - حسن صبرى الخولى : مرجع سابق ، ص ١١٠ . انظر أيضًا : عودة بطرس : مرجع سابق ، ص ٢٣٦. وانظر أيضًا :

Kedourie, England and the Middle East, the distruction of the Ottaman empire , 1914, 1921, London, 1976 .

٣ - ياسر عباس : مرجع سابق ، ص ٤٣٤ . انظر أيضًا : حسن صبرى الخولى : مرجع سابق ، ص ١١٠، وأيضًا : عودة بطرس : مرجع سابق ، ص ٢٣٦ .

وكان معنى أن تكون ألمانيا هى الوريث للإمبراطورية العثمانية ، أن المشرق العربى كله سوف يقع فى قبضتها ، وبذلك تصبح لدى هذه القوة النامية قاعدة رئيسية للانطلاق نحو الشرق تهدد المصالح البريطانية والفرنسية بشكل خاص فى الشرق الأوسط وأفريقيا وآسيا[١].

ولقد زاد الإحساس بهذا الخطر الألمانى بعد المشروعات التى أعدتها ألمانيا لإقامة شبكة واسعة من خطوط السكك الحديدية تربط بينها وبين أرجاء المشرق العربى عبر اسطنبول والأراضى التركية ، وكانت هذه المشروعات ترمى إلى تحقيق هدفين رئيسيين : الهدف الأول أن تصبح لديها مواصلات سهلة تستفيد منها فى نقل منتجاتها الصناعية أو المواد الخام اللازمة لها ، وكذلك توفير المرونة والسرعة لتحرك قواتها المسلحة عندما يستدعى الأمر ذلك.

والهدف الثانى من أجل إقامة طريق تجارى عالمى إلى الهند عبر الخليج العربى تنافس به قناة السويس ، وكان من المؤكد أن ألمانيا بهذه الشبكة من المواصلات الحديدية وبما لها من نفوذ متزايد لدى الحكومة التركية سوف تحقق لنفسها مزايا هامة فى جميع المجالات[٢].

ولكن هذه الخطوات كلها التى تمت لم تكن لتسعد انجلترا وفرنسا بعد أن وجدتا أن ألمانيا قد فازت بنصيب الأسد فى الإمبراطورية التركية ، وأن ذلك النفوذ الألمانى الاقتصادى والعسكرى سيقف بكل صلابة أمام أطماع هاتين الدولتين فيما بقى من أملاك الدولة العثمانية التى لم تحتل من قبل انجلترا وفرنسا إذ كانتا تنتظران الفرصة الدولية المناسبة لذلك[٣] .

ومما زاد فى انزعاج انجلترا وفرنسا أن ألمانيا عملت على تقوية أسطولها البحرى حتى ينافس الأسطول الإنجليزى ، ومعنى ذلك أن حياة انجلترا نفسها ومستعمراتها ستصبح فى خطر كبير إذا نفذت ألمانيا سياستها البحرية ، وهكذا أصبحت انجلترا وفرنسا فى صف وألمانيا وتركيا فى صف آخر [٤].

١- زكى صالح : مرجع سابق ، ص ٢٣٢ . انظر أيضًا : عودة بطرس : مرجع سابق ، ص ٢٣٥.

٢ – عودة بطرس : مرجع سابق ، ص ٢٣٦ . انظر أيضًا : ياسر عباس : مرجع سابق ، ص ٤٣٤ ؛

٣ – عبد الرحمن البزاز : العراق من الاحتلال حتى الاستقلال ، جامعة بغداد ، ١٩٦٧ ، ص ٥٦ . انظر أيضًا : عمر عبد العزيز : دراسات فى تاريخ العرب الحديث ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٥ ، ص ٥٥٠ .

٤ – توفيق مفرج : مرجع سابق ، ص ٤٩٣ . انظر أيضًا : عودة بطرس : مرجع سابق ، ص ٢٢٢ .

وإزاء هذا الوضع الجديد رأت انجلترا أن تتخلى عن سياسة الدفاع عن تكامل أراضى الإمبراطورية العثمانية بعد أن أخذت بهذه السياسة من قبل ، ولكن من ناحية أخرى تجنبت الدخول فى مشروعات دولية لتصفية أملاك الدولة العثمانية خوفًا من سقوطها أو سقوط أجزائها الهامة فى يد روسيا ، وكان من مظاهر السياسة البريطانية الجديدة ، أن أصبحت انجلترا بدورها تحتل أجزاء من الدولة العثمانية مثل مصر [١].

إذن توطدت الصداقة بين ألمانيا وتركيا بفعل الزيارة الشهيرة التى قام بها القيصر للسلطان، وتأييد ألمانيا لقيام تركيا برعاية الجامعة الإسلامية ، والتى كانت تضم الشعوب الإسلامية الخاضعة للحكم التركى ، وكذلك بفضل إنشاء سكة حديد بغداد ، وسكة حديد الحجاز ، يضاف إلي ذلك ماكانت عليه سياسة ألمانيا الخارجية من ملائمة لوحدة الإمبراطورية العمانية ، خلافًا لما كانت عليه سياسة بريطانيا الخارجية[٢] .

هذا فضلاً عن اتصلات الألمان المستمرة بتركيا من خلال البعثات المختلفة مثل بعثتى مولتكه (Moltke) وجولتز (Goltz) ، كل هذا كان عاملا ملحوظًا فى تقوية أواصر الصداقة الألمانية والتركية من جهة ، وفى إضعاف مركز بريطانيا من جهة أخرى فى الدولة العثمانية[٣] .

ورأت انجلترا أنها أصبحت وحيدة في أوربا وأن الرأى العام فى فرنسا وروسيا غير ميال للشعب الإنجليزى ، وخافت من علو مكان ألمانيا أكثر فأكثر ، وجاءت الأخبار بهزيمة روسيا على يد اليابان فى الحرب التى نشبت بينهما ، وكانت فرنسا فى نفس الوقت تستعد لاسترجاع إقليمى الألزاس واللورين من ألمانيا ، فجاءت أخبار هزيمة روسيا حليفتها فى أوربا ضربة موجعة لها ، وشعرت فرنسا أن خطراً هائلاً يهددها فى أوربا ، ورأت أنه من الضرورة البحث عن قوة غير روسيا تقف بجانبها إذا هاجمتها ألمانيا [٤].

١- محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربى من ١٥١٤ - ١٩١٤ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٢٧٦ . انظر أيضًا : محمد رشيد رضا : اليابان والروسيا ، مجلة المنار ، م ٦ ، ج ٢٢ ، فبراير ١٩٠٤ ، ص ٩٥٣ . وأيضًا : على حسون : تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية ، المكتب الإسلامى ، دمشق ، ١٩٨٠ ، ص ٢٣٦ .

٢ - زكى صالح : مرجع سابق ، ص ٢٢٨ . انظر أيضًا :
Desmond, Stewart, The Middle East temple of Janus, p., 188, London, 1927 .

٣ - توفيق مفرج : مرجع سابق ، ص ٤٩٣ .

٤ - Gabriel, F., The Arab revival, p. 57, London, 1961.
انظر أيضًا : محمد رشيد رضا : مرجع سابق ، ص ص ٩٤٨ - ٩٥٠ .

وكان لابد لفرنسا إزاء هذه التطورات الجديدة التى لم تكن فى حسابها من التضحية بشئ ما فى سبيل تحقيق مصلحتها ، إما بالتقرب إلي ألمانيا ونسيان الألزاس واللورين أو إلى بريطانيا فإقرار سيادتها على مصر . ونجحت سياسة فرنسا فاختارت جانب بريطانيا وعقدت معها الاتفاق الودى فى سنة ١٩٠٤ وبمقتضاه أطلقت يد انجلترا فى مصر وفرنسا فى المغرب العربى ، وكان هذا الاتفاق تفاهمًا حقيقيًا قضت به مصالح الطرفين الاستراتيجية (١).

وترتب على هذا الاتفاق أن اتضحت المواقف أكثر بالنسبة للدولة العثمانية وبالنسبة للدول الأوربية عمومًا ، فروسيا أصبحت مشغولة بأزمتها فى الشرق الأقصى بعد هزيمتها أمام اليابان ، ولكن هذا لم يمنع حقدها على تركيا لوقوفها على المضايق وعلى منفذ البحر الأسود ، وبذلك تغلق فى وجهها طريق الوصول إلى مياه البحر الأبيض الدافئة(٢) ، وفرنسا التى انسحبت من معركة الصراع مع بريطانيا فى منطقة الشرق العربى بعد أن تم الاتفاق معها ، وغدت مهتمة فقط بتوطيد احتلالها للمغرب العربى . أما بريطانيا فقد عملت على تثبيت وجودها فى مصر والسودان وعدن وباقى محميات الخليج ، وتتطلع بأنظارها إلى بقية بلاد الشرق العربى - التى لم تقع بعد تحت سيطرتها - وتمنع أحداً من الدول من الاقتراب منها(٣).

أما ألمانيا فى هذه المرحلة فقد كانت تستغل هذه الظروف الدولية للاستفادة من صداقتها مع تركيا فى الحصول على المزيد من الامتيازات والاستثمارات فى مختلف أرجاء الإمبراطورية التى كانت تعتبرها المجال الرئيسى لتوسعها الاستثمارى ، وبفعل هذه السياسة فإن الحكومة الألمانية لم تكن على استعداد لأن تتخذ أية مواقف من شأنها أن تثير الشكوك لدى السلطان العثمانى عبد الحميد ، الذى اشتهر باسم السلطان المتشكك ، كما أنها فى نفس الوقت صارت هى الأخرى ترتاب من التحالف بين انجلترا وفرنسا وروسيا(٤) .

١- عبد العزيز الشناوى ، جلال يحيى : مرجع سابق ، ص ٦٧ . انظر أيضًا : محمد رشيد رضا : مرجع سابق ، ص ١٥٢ . وأيضًا : توفيق مفرج : مرجع سابق ، ص ٤٩٣ . وأيضًا : عودة بطرس : مرجع سابق ، ص ٢١٢ .

٢ - محمد رفعت : بين تركيا وروسيا : مجلة الكاتب المصرى ، م٢ ، ع ٦ ، مارس ١٩٤٦ ، ص ٢١٤.

٣ - عودة بطرس : مرجع سابق ، ص ٢٢٩ . انظر أيضًا :

Sahar, M., The emergence of the Middle East 1914-1924, p. 152. London, 1975 .

وأيضًا : جرجى زيدان : الدولة العثمانية وإيطاليا ، مجلة الهلال ، السنة ٢٠ جـ ١ ، أكتوبر سنة ١٩١٢، ص ٨٦ . وأيضا : عبد الحميد البطريق : مرجع سابق ، ص ٦٤ .

٤ - عودة بطرس : مرجع سابق ، ص ٢١٢ . انظر أيضًا :

Yale: op. cit., p. 205 .

وهناك مشكلة المضايق بين تركيا وروسيا وهى مشكلة قديمة قامت بسببها الحروب بينهما . ولقد ظل أمر المضايق من شئون تركيا وحدها ، بيدها مفاتيحها إن شاءت يسّرت لحفائها المرور فيها ، وإن شاءت أغلقتها فى وجه جميع الدول فلا تبالى من تعاند ، ولم يكن هذا بمستغرب مادامت تركيا متفوقة فى أوربا ، وكانت لها الكلمة العليا على الأقاليم المتاخمة للمضايق(١).

ولكن عندما بدأت تركيا فى الضعف وظهرت بجانبها دولة روسيا الحديثة ، تحدوها مبادئ مؤسسها " بطرس الأكبر " والتى أصبحت توجه سياسة روسيا الخارجية وهى تخليص روسيا من عزلتها الجليدية بين بحار مغلقة وأخرى متجمدة طوال العام ، والأخذ بيدها نحو الغرب والجنوب ، حيث الثروة والمياه الدافئة فى البحر الأسود والبسفور وبحر مرمرة والدردنيل والبحر الأبيض (٢).

نتيجة لتلك الرغبات تطورت فكرة المرور فى المضايق . واتخذت المضائق مظهراً دوليًا كان محوره فى أول الأمر النزاع بين تركيا وروسيا ، ثم توالت هزائم تركيا على يد روسيا فى حروب مشتركة في أوائل القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ، وظهرت للعالم نيات روسيا الحقيقية بشأن توزيع تراث " الرجل المريض " فى أوربا واعتزامها الاستيلاء على القسطنطينية والمضايق معها كنصيب لها من الغنيمة ، ووضح بذلك للدول وضوحًا لاشك فيه أن روسيا تعمل بكل جهدها على تمزيق تركيا لهذا الغرض(٣) .

وهكذا اختلفت الدول الأوربية فيما بينها طبقًا لتضارب مصالحها وأهدافها مع مصالح وأهداف الدول الأخرى ، بل لقد وصل العداء بينها إلى درجة الحروب ، ولكنها كانت دائمًا ضد الدولة العثمانية وتتوحد آراؤهم إذا ما تعرضت مصالحهم فى بلاد الإمبراطورية للخطر وإن تظاهروا بالاختلاف كما مر معنا من الحوادث السابقة (٤).

١- Mansfield, p., The British in Egypt, p. 205, U.S.A, 1972 .

٢ - محمد رفعت : مشكلة المضايق ، مجلة الكاتب المصرى ، م١ ، ع ١ ، أكتوبر ١٩٤٥ ، انظر أيضًا : سليمان حزين : الشرق الأوسط والحرب ، مجلة الكاتب المصرى ، م٢ ، ع ٧ ، أبريل ١٩٤٦ . وأيضًا :

Ahamad,F., The Young Turkish, p. 63, London, 1939 .

٣ - عودة بطرس : مرجع سابق ، ص ٢٣٥ . انظر أيضًا : محمد رفعت : مشكلة المضايق ، مرجع سابق، ص ٢٣٥ . وأيضًا : ياسر عباس ، مرجع سابق ، ص ٤٣٤ .

٤- على حسون : مرجع سابق ، ص ٢٣٤ . انظر أيضًا :

Richmond, J, Egypt 1798 - 1952, her Advance Toward modern identity, p. 161, London. 1979 .

هذا عن الأحوال الخارجية للدولة العثمانية وصراعها مع الدول الأوربية ، أما عن الأحوال الداخلية والولايات التابعة لها فيجب علينا لكى نعرف تلك الظروف أكثر أن نلقى الضوء على مايحدث من الأمور السياسية والاقتصادية فى هذه البلاد حتى تكون الصورة واضحة ومكتملة.

لقد تعرضت الإمبراطورية منذ استيلاء جماعة حزب الاتحاد والترقى على الحكم سنة ١٩٠٨م إلى هزات داخلية وخارجية خطيرة ، إذ استولت الإمبراطورية النمساوية على إقليمى البوسنة والهرسك ، واستقلت بلغاريا بمساعدة روسيا ، مما أدى بحكام تركيا إلى إعادة التفكير فى الأمور التى جدت على ساحة السياسة الدولية وعلى الساحة الداخلية بالنسبة لها وبالنسبة لبقية البلاد التابعة لها(١) .

وكانت حرب البلقان حافزاً للأتراك على أن يلتفتوا إلى أنفسهم بالنقد ، فقد أثبتت هذه الحروب أن السياسة التى تسير عليها تركيا ليست هى السياسة السليمة ، إذ كانت سببًا فى خسرانهم المعارك والبلاد التى كانت تابعة لهم فى أوربا ، وكانت نتيجة ذلك النقد العودة إلى القومية التركية ، علاوة على تشديد قبضتهم على باقى الولايات التابعة لهم خوفًا من سقوطها هى الأخرى فى أيدى الدول الأجنبية ، مثلما حدث لليبيا عندما احتلتها إيطاليا ولم تستطع الدولة العثمانية أن تقف ضدها وتمنع هذا الاحتلال (٢) .

وكان من مظاهر السياسة الجديدة للدولة التركية فى الحقل الداخلى والخارجى العمل على إقامة قواعد حكومية قوية ، وتجديد شباب الدولة مستفيدة من تجاربها وأخطائها الماضية ، فأرادت من الوجهة الخارجية حل مشاكلها المعلقة مع الدول العظمى لتفادى التداخل فى

١- جمال زكريا : موقف مصر من الحرب الطرابلسية ١٩١١ - ١٩١٤ ، المجلة التاريخية المصرية ، مجلد ١٧ ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ٣٠٩ . انظر أيضًا : فاروق عثمان : العلاقات البريطانية اليمنية ، مرجع سابق، ص ٥٦ . وأيضًا : عمر بن عبد العزيز : مرجع سابق ، ص ٥٥٥ . وأيضًا : Randolf : The changing patterness of the middle East, p.77, London, 1961.

٢- Gabriel, op. cit., p. 53. Also : Price, M., A History of Turkey from empire to republic, p.85, London, 1961 .

وأيضًا : جمال زكريا : مرجع سابق ، ص ٣٠٩ . وأيضًا : فاروق عثمان : مرجع سابق . وأيضًا : عبد الحميد البطريق : مرجع سابق ، ص ١٥٠ .

أمورها الداخلية ، بعد أن كثر ضغط هذه الدول عليها لفوز الألمان بنصيب وافر من الامتيازات فى أنحاء الإمبراطورية (١).

لذلك عمل الاتحاديون على إرضاء انجلترا فمنحوا الشركات الإنجليزية امتيازات التنقيب عن البترول فى العراق وامتياز سكة حديد آبردين - أزمير ، وإنشاء عدة خطوط جديدة وتحسين ميناثى حمصون وطرابزون ، واستعانت بمدير عام إنجليزى ومجموعة من المفتشين لإصلاح وزارة الداخلية ، وآخرين لإصلاح النظام الجمركى ، كما قررت تعيين عدد من المفتشين الإنجليز فى الجمارك ، وزاد نفوذ البعثة البحرية الإنجليزية التى دعتها إلى تنظيم الأسطول ، وعهدت بتنظيم الصناعة إلى شركتين إنجليزيتين ، كما قدمت ترضيات أخرى كثيرة ، وكل ذلك كان سعيًا لإزالة ماعلق بنفوس الإنجليز من سوء التفاهم حيال الأتراك ، وكان غرض رجال الحكومة التركية من كل تلك الامتيازات أن تعيد انجلترا سياستها السابقة التى كانت ميالة إلى مساعدة تركيا وتقويتها فى وجه الدول الأوربية المتكالبة عليها(٢) .

ورغم كل هذا فقد ظلت ألمانيا المنافس الأول لبريطانيا فى الدولة العثمانية إذ أصبحت تتمتع بالمكانة الأولى بين الدول الأجنبية لدى الباب العالى ، وكان مثلاً احتكار جميع طلبات الجيش التركى ، والمركز الممتاز فى جميع الامتيازات الصناعية والتجارية(٣).

ولقد ساعدت حرب البلقان ١٩١٢ - ١٩١٣ واستيلاء إيطاليا على ليبيا فى سنة ١٩١١ على تدعيم النفوذ الألمانى لدى الباب العالى وتقويته ، كما أن الأتراك الشباب الذين استولوا

١- توفيق على برد : العرب والترك فى العهد الدستورى العثمانى ١٩٠٨ - ١٩١٤ (رسالة ماجستير منشورة) ، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٥٧٦ . انظر أيضًا : زكى صالح : مرجع سابق ، ص ص ٢٤٠ - ٢٤١ . وأيضًا :

Gooch, G., History of modern Europe, p. 505, N.Y. 1924, Also : Sir, Chirol, V., The Turkish empire from 1914 - 1924, p. 169 Lahor, Pakistan, 1958 .

وأيضًا : عبد الرحمن البزاز : مرجع سابق ، ص ٦٦ .

٢ - توفيق على برد : مرجع سابق ، ص ٥٧٣ . انظر أيضًا : زكى صالح : مرجع سابق ، ص ص ٢٤٠ - ٢٤١ . وأيضًا :

British Documents, X., p. T.1, 444-5, an Balkan, pp. 504, 510 Polk, W., op. cit. p. 107 .

٣ - Desmond, S., op. cit., p. 180 .

انظر أيضًا : فاروق عثمان : مرجع سابق ، ص ٥٦ . وأيضًا : زكى صالح : مرجع سابق ، ص ٢٤١ .

على السلطة بعد انقلاب يناير سنة ١٩١٣ كان معظمهم من مؤيدى ألمانيا[١] ، أمثال أنور باشا وعزت باشا وزير الحربية . وفى يناير ١٩١٣ ، طلبت الحكومة التركية من ألمانيا إرسال بعثة عسكرية لتساعد على إعادة تنظيم الجيش التركى ، فجرى توقيع اتفاق بهذا الشأن فى نوفمبر من العام نفسه ، وتقرر تشكيل البعثة من أربعين ضابطًا بقيادة الجنرال ليمان فون ساندرس ، فسارعت روسيا إلى إبداء مخاوفها من سيطرة ألمانيا على مضايق البوسفور والدردنيل ، كما أنها أخذت تتقرب أكثر فأكثر من بريطانيا وفرنسا بواسطة المساعى الدبلوماسية للوقوف ضد ألمانيا[٢] .

وبذلت كل من انجلترا وفرنسا وإيطاليا جهداً مستميتًا لاستبقاء تركيا على الحياد أو حتى تخفف انحيازها القوى لألمانيا وذلك بإغرائها ببعض العروض ، مثل إلغاء الامتيازات الأجنبية وتقديم القروض لها وطلبوا منها تسريح البعثة الألمانية ، ولكن تركيا رفضت كل تلك الإغراءات وظلت متمسكة بصداقتها مع ألمانيا [٣].

وتطورت الأمور متلاحقة بعد ذلك ، إذ أخذت نذر الحرب تخيم على أوربا وحاولت بريطانيا وفرنسا وإيطاليا الأخذ بالوسائل الدبلوماسية ، وعدم الانزلاق فى الحرب ، وكان من الخطوات التى اتخذتها تلك الدول محاولة احتواء الأزمة الشديدة التى بدأت بوصول عدد من البوارج الحربية الألمانية إلى مياه الدردنيل للتدريب مع قطع الأسطول التركى ، وتخوف روسيا وبقية دول أوربا من هذه الخطوة المفاجئة من جانب تركيا وألمانيا[٤] .

بالإضافة إلى عوامل أخرى زادت من حدة الأزمة وذلك أن حكومة الاتحاديين اكتشفت أطماع ونوايا الفرنسيين فى الممتلكات التركية ، إذ أنه حينما زار جمال باشا فرنسا لحضور

١- لويس شيخو : وقائع العام المنصرم ، مجلة المشرق ، ع١ ، ١٩١٢ ، ص ١١٧ . انظر أيضًا : جرجى زيدان : شذرات عن الحرب الحاضرة ، مجلة الهلال ، جـ١ ، السنة ٢٣ ، أكتوبر ١٩١٤ ، ص ٤٩ . وأيضًا : جمال زِكريا : مرجع سابق ، ص ٣٣٨ . وأيضًا : توفيق على برو ، مرجع سابق ، ص ٥٦٦ . وأيضًا:
Sir Chirol, V., op. cit., p. 169 .

٢- أسعد زروق : إسرائيل الكبرى (دراسة الفكر التوسعى الصهيونى) ، إصدار مركز الأبحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٢١٥ . انظر أيضًا : لويس شيخو : مرجع سابق ، ص ٧ .

٣ - على حسون : مرجع سابق ، ص ٢٣٦ . انظر أيضًا : عمر عبد العزيز : مرجع سابق . وأيضًا : توفيق مفرج : مرجع سابق ، ص ٤٩٤ . وأيضًا :

Dansion, R., Turkey, p. 109 - 110 , New Gircy, U.S.A., 1968 .

٤- على حسون : مرجع سابق ، ص ٢٣٦ . انظر أيضًا : عمر عبد العزيز : مرجع سابق ، ص ٥٥٥ .

المناورات العسكرية الفرمسية، تباحث مع المسئولين الفرنسيين بشأن عقد معاهدة لتقوية العلاقات بين البلدين ، وكانت أن اقترحت فرنسا شروطًا لإعطاء سوريا استقلالا داخليًا وإطلاق يد فرنسا فيها ، مما أدى إلى فشل المباحثات ، وكذلك عوة جمال باشا من فرنسا وتقوية مركزه وأنصاره على أثر هذا الموضوع والوقوف بجانب ألمانيا[1] .

كل هذه العوامل التى ذكرناها كان لها دور كبير فى ترجيح كفة الانحياز إلى جانب الألمان، يضاف إليها الإحساس التركى بالخطر الروسى المحدق ، ومحاولة رد الجميل للألمان الذين ساعدوا الأتراك فى أزماتهم وحروبهم المختلفة .

بعد أن استعرضت أحوال الإمبراطورية العثمانية فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين حتى سنة ١٩١٣ فى الداخل والخارج ، وعلاقتها بالدول الأوربية وما تطورت إليه العلاقة من صداقة أو عداوة ، وبعد أن استعرضنا فى سياق هذه الأحداث الصداقة التى نشأت بين ألمانيا وتركيا والمدى الذى وصلت إليه هذه العلاقة ، نبدأ بسرد سريع لسياسة ألمانيا الخارجية بعد توحدها وتطلعها إلى الاستعمار أسوة بباقى الدول الأوربية التي سبقتها فى هذا المجال ودور ألمانيا فى شرق أفريقيا والبحر الأحمر حتى نشوب الحرب العالمية الأولى .

إن أطماع الأوربيين فى بلاد الشرق يعود إلى مئات السنين ، لكننا لانرى اشتداد هذا الطمع وتزايده والتواطئ عليه وتزاحم الدول فيما بينها إلا خلال النصف الثانى من القرن الماضى ، فالروسيا ظهر طمعها فى المضايق واضحًا ، وفرنسا كانت تود الاستيلاء على سوريا ولبنان بعد المغرب العربى ، وانجلترا كان هدفها فلسطين والعراق بعد مصر والسودان وعدن وساحل الخليج ، وذلك للمحافظة على طريق الهند ، وألمانيا جاءت فى أواخر العصر الحميدى وهدفها نيل نصيبها من تركة الرجل المريض[2].

وقبل الاتحاد الألمانى كان للألمان نصيبًا فى الاستعمار الخارجى منذ منتصف القرن التاسع عشر ، وخاصة بين رعايا بروسيا وتجار برلين وهامبورج ، وبعض موانى اتحاد الهانسا ، حتى

١- فاروق عثمان : مرجع سابق ، ص ٥٦ . انظر أيضًا : على حسون : مرجع سابق ، ٢٣٦ . وأيضًا : توفيق مفرج : مرجع سابق ، ص ٤٩٤ .

٢ - وحيد علم الدين : العهود المتعلقة بالوطن العربى (١٩٠٨ - ١٩٢٢) ، منشورات العصر الحديث، بيروت ، ١٩٦١ ، ص ٢٧ . وأيضًا : .Yale, op. cit., p. 203 . وأيضً : فاروق عثمان : مرجع سابق ، ص ٥٦ . وأيضًا : جلال يحيى : العالم العربى الحديث - الفترة الواقعة بين الحربين ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٥١٥ .

إذا تألفت الإمبراطورية الألمانية فى سنة ١٨٧١ ، تأيدت هذه النزعة بقوة ، برغم عزوف المستشار بسمارك عن كل أطماع استعمارية ، من أجل المحافظة على ماكسبته ألمانيا من مكاسب الوحدة ، ولتجنب دفع فرنسا إلى الأخذ بالثأر منها (١).

ولكن كل ذلك لم يحل دون اتجاه الجمعيات العلمية إلى إرسال البعوث الكشفية إلى أجزاء كثيرة من أفريقيا مثل بعثة فردريك هوفمان ، وشناينفورت وناختيجال وفون دروكن ، وسرعان ما تألفت الجمعيات الاستعمارية يرأسها بعض الغلاة وذلك بغرض الحصول على مستعمرات فى أفريقيا ، كى يضعوا الحكومة الألمانية ، العازفة عن الاستعمار أمام الأمر الواقع ، فاتجه كارل بيترز إلى شرق أفريقيا ، وحصل على مئات التوقيعات على معاهدات يرضى فيها الموقعون بوضع أنفسهم تحت الحماية الألمانية(٢) .

أما ظروف ألمانيا فى أوربا فكانت تعالج مشاكلها الناجمة عن حرب السبعين وانتصارها على فرنسا وضمها إقليمى الألزاس واللورين ، وتصميم فرنسا رغم هزيمتها على استرداد ذلك الجزء من أرضها فى وقت من الأوقات ، وترتب على ذلك تحرك الدول الأوربية إلى تنظيم المحالفات فيما بينها ، وأصبحت كل من انجلترا وفرنسا وروسيا وإيطاليا فى جانب وألمانيا والنمسا فى جانب آخر (٣).

وتطور الأمر بعد ذلك إذ أن الصناعة الألمانية تقدمت بفضل الغرامة الحربية التى حصلت عليها ألمانيا من فرنسا بعد هزيمتها فى حرب السبعين ، وبفضل تعلم الألمان من الدول التى تقدمت فى هذا المجال ، وبفضل حسن التنظيم والإدارة اللذين اشتهر بهما الألمان ، ولكن صاحب ذلك عدم القدرة على تصريف المنتجات ، وقد بلغت ثلاثة أضعاف المنتجات الفرنسية من الصلب فى سنة ١٨٨٠ (٤).

١- على إبراهيم عبده : مرجع سابق ، ص ١١١ . انظر أيضًا : زاهر رياض : مرجع سابق ، ص ٢٣٠ . وأيضًا : Yale, op. cit., p. 205 .

٢- زاهر رياض : مرجع سابق ، ص ٢٣٠ . انظر أيضًا : على إبراهيم عبده : مرجع سابق ، ص ١١١ . وأيضًا : توفيق مفرج : مرجع سابق ، ص ٤٩١ . وأيضًا :
Cornevin, R. Colonialism in Africa 1870 - 1926, Vol.2, p. 408, London, 1959.

٣ - على إبراهيم عبده : مرجع سابق ، ص ١١١ . انظر أيضًا : فارس نمر : المباراة فى الاستعداد للحرب، مجلة المقتطف ، جـ ٦ ، نوفمبر ١٩١٤ ، ص ٥٤١ . وأيضًا : عبد العظيم رمضان : الجيش المصرى فى ظل الاحتلال البريطانى ، مجلة السياسة الدولية ، يوليو ١٩٧٢ ، ص ٧ .

٤ - جلال يحيى : مرجع سابق ، ٥١٥ . انظر أيضًا : عمر عبد العزيز : مرجع سابق ، ص ٥٥٤ .

كل ذلك أدى إلى تراكم المصنوعات ورخصها ، بل إلى تعطل العمال وانخفاض الأجور ، وتخوفت ألمانيا من انتشار الآراء الاشتراكية فيها ، هذا عدا الرغبة فى الحصول على منتجات البلاد الحارة ، من أجل لزومها للصناعة ، وكان تقدم صناعة السفن أيضًا داعيًا إلى مزيد من المنتجات التى تحملها هذه السفن إلى الخارج ، لاسيما أن انجلترا وفرنسا فرضت كل منها أن تنقل تجارتها على سفنها ، فبقاء ألمانيا بدون مستعمرات يعرض صناعتها للخطر وللرسوم الجمركية المرتفعة ، ويصيب مصانعها بالعطل وعمالها بالتعطل ، ومن ثم اتجه التفكير إلي ضرورة الحصول على المستعمرات لحل أزمة الصناعة [١].

لذلك لم يكن أمام ألمانيا إلا أن تبدأ فى شق طريقها الاستعمارى من داخل الإمبراطورية العثمانية لأنه ماعدا هذه الإمبراطورية المريضة المتخلفة ، كان العالم كله على وجه التقريب مغلقًا فى وجه الصناعة الألمانية ، فقد كانت بريطانيا وفرنسا وغيرها من الدول الاستعمارية الأوربية القديمة تفرض احتلالها وسيطرتها التامة على أفريقيا كلها وجميع الأقطا الآسيوية باستثناء اليابان ، وكان معنى ذلك أن كل دولة اِستعمارية تتخذ من مستعمراتها سوقًا لمنتجاتها الصناعية ومصدراً أساسيًا لاحتياجاتها من المواد الخام ، إلى جانب ذلك فقد كانت تتخذ من أبناء هذه المستعمرات وقوداً لحروبها الاستعمارية وللدفاع عن مصالحها ، أو لتحقيق مكاسب توسعية استعمارية جديدة ، وكانت كل دولة استعمارية حريصة على أن تكون أسواقها احتكاراً خالصًا لها ، وبذلك فإن أفريقيا وآسيا كانتا مغلقتين فى وجه الصناعة والأطماع الاستعمارية الألمانية [٢].

ولذلك شهدت السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر حلول ألمانيا محل بريطانيا وتوثيق علاقاتها مع تركيا ، وأخذ النفوذ الألمانى أشكالاً متعددة عسكرية واقتصادية وثقافية ونفسية[٣] .

ومن ناحية أخرى خافت انجلترا من المشروعات الألمانية التى بدأت فى الظهور والتى كانت قد أيدتها فى أول الأمر ، كخط سكة حديد بغداد ، وتوسع الرأسمالية الألمانية بتقوية

١- عودة بطرس : مرجع سابق ، ص ٢٣٧ . انظر أيضًا : زاهر رياض : مرجع سابق ، ص ٢٣٠ .
٢ - عودة بطرس : مرجع سابق ، ص ٢٣٤ . انظر أيضًا : عمر عبد العزيز : مرجع سابق ، ص ٥٥٤ .
٣ - عمر عبد العزيز : مرجع سابق ، ص ٥٥٤ . انظر أيضًا : فاروق عثمان : سياسة بريطانيا فى عسير أثناء الحرب العالمية الأولى ، مرجع سابق ، ص ١٩ . وأيضًا : توفيق مفرج ، مجلة الهلال ، جـ ٧ ، أبريل ١٩١٤ ، مرجع سابق ، ص ٤٩٣ .

أسطولها البحرى التجارى والحربى ، حتى أصبحت انجلترا تخاف على سيادتها البحرية العالمية ، وأثارت سياسة ألمانيا فى الشرق مخاوف بريطانيا وفرنسا وروسيا ، فأدى ذلك إلى التوفيق بين المصالح المتضاربة والمنافسات الشديدة بالتحالفات المضادة (١).

ونتيجة لتلك التحالفات بدأت أنظار فرنسا تتطلع إلى مراكش بعد عقد اتفاقها الودى مع انجلترا فى سنة ١٩٠٤ ، ولكن ظلت ألمانيا رافضة لوجود فرنسا فى مراكش وتحذرها من احتلالها ، لذلك أرسل الإمبراطور أسطوله الحربى إلى ميناء أغادير حماية لسلطان مراكش ، واستطاعت بعد ذلك الدولتان الوصول إلى اتفاق يضمن مصلحة كل منهما ، وذلك بإطلاق يد فرنسا فى مراكش وألمانيا فى منطقتى توجو والكمرون بعد أن تنازلت عنهما فرنسا (٢).

ومن ناحية أخرى أدى الوفاق بين انجلترا وفرنسا إلى تعزيز موقف الأولى فى مصر والسودان والصومال وعدن ، وأصبحت لها السيطرة البحرية الكاملة فى البحر الأحمر ، خاصة أن هناك عوامل دولية ساعدت على ذلك ، وهى اختفاء الخطر الروسى الذى كان يشغل انجلترا ، بعد انهزام روسيا أمام اليابان فى الشرق الأقصى مما أدى بروسيا إلى التحالف مع انجلترا ، ومن هنا بدأت ألمانيا تتحدى انجلترا وتحل محل روسيا فى مناهضتها للسيادة الإنجليزية فى أفريقيا والبحر الأحمر ، ولما فشلت هذه السياسة ، ركزت ألمانيا كل جهدها فى إنجاح مشروع الزحف نحو الشرق من برلين إلى بغداد إلى الخليج الفارسى(٣) .

واستمر الاختلاف بعد ذلك بين السياستين الألمانية والإنجليزية فى موقف كل منها من القضايا العثمانية . ففى سنة ١٩٠٨ أشار خبير بريطانى متخصص فى الأمور التركية إلي موقف بلاده قائلاً : " إن سياستنا فى تركيا ، لو جاز لنا أن ندعوها سياسة ، كانت خلال السنوات القليلة الماضية ، وستبقى بعض الوقت تطلب المستحيل ، فهى ترمى إلى تنمية

١- فاروق عثمان : سياسة بريطانيا فى عسير : مرجع سابق ، ص ١٩ . انظر أيضًا : عمر عبد العزيز : مرجع سابق ، ص ٥٥٤ . وأيضًا : زاهر رياض : مرجع سابق ، ص ٢٣٥ .

٢ - زاهر رياض : مرجع سابق ، ص ٢٣٥ . انظر أيضًا : فارس نمر : مرجع سابق ، ص ٥٤٢ . وأيضًا : محمد رفعت : بريطانيا وحوض البحر المتوسط : مرجع سابق ، ص ١٧ .

٣ - Farnie, East and West of Suez, p. 516, London, 1969. Also : Yale, op. cit., p. 209 .
وأيضًا : محمد رفعت : بريطانيا وحوض البحر المتوسط ، مرجع سابق ، ص ١٧ .

مصالحنا التجارية بينما تسلك فى مقدونيا وأرمينيا والحدود التركية الفارسية وغير ذلك سبيلاً يعتبره السلطان بالغ العداوة(١) .

ولذلك استمر التنافر بين السياسة الألمانية والإنجليزية ، لتعارض المصالح بينهما ، وقد تجسدت تلك القضايا فى مسألة سكة حديد بغداد ، وكانت انجلترا فى ذلك الوقت تطالب بامتياز مد وصلة حديدية من بغداد إلي البصرة ، والتى كان لها فى نفس الوقت تشابك مصالح مع كل من روسيا وفرنسا وألمانيا ، فبينما كان اهتمام انجلترا مركزاً فى مد هذه الوصلة ، وكان رأى الدول الأخرى حل القضية على أساس المساهمة المتساوية للجميع فى رأسمال الشركة وإدارة المشروع(٢) .

وقد حسمت القضية بين ألمانيا وروسيا فى اجتماع بوتسدام فى ١٩ أغسطس ١٩١١ ، تضمنت تخلى روسيا عن أى معارضة للألمان فى إتمام خط سكة حديد بغداد ، مقابل اعتراف ألمانيا بتخليها عن طلب أى امتياز يتعلق بمد خطوط حديدية أو أية منافع بحرية فى شمال إيران التى تكون منطقة نفوذ روسيا ، ولها حق الامتياز فيها لإنشاء الخطوط الجديدة ، كما اتفقَ كذلك على قبول روسيا بوصل شبكة حديد الألمان الأناضولية المستقبلة بشبكة حديد روسيا المقبلة ، على أن تمتد وصلة خانقين طهران المتفرعة من خط بغداد برأسمال روسى ألمانى معًا (٣).

وعندما انتهت أزمة امتيازات سكة حديد بغداد بالاتفاق بين ألمانيا وروسيا وانجلترا وتركيا ، ظهرت فى أوربا مشكلة جديدة أثارت الدول فى أوربا كلها وتشابكت فيها مصالحها وأهدافها ، وجاءت بالخسارة على تركيا وألمانيا والنمسا ، واستفادت كل من انجلترا وفرنسا وروسيا ، وهى الحروب البلقانية التى هزمت فيها تركيا أمام ثورة شعوب هذه المنطقة ، وانتهت هذه الأزمة باستقلال هذه البلاد (٤).

١- British Documents, V., p. 247.
رسالة خاصة بتاريخ ١٢ أبريل ١٩٠٨ من فيتزوموريس G . A. Fitzmoris المترجم الأول فى السفارة البريطانية بالقسطنطينية إلى تايرل W.G. Tyerell سكرتير وزير الخارجية السير إدوارد جراى . انظر أيضًا : زكى صالح : مرجع سابق ، ص ٢٣٩ .

٢ - توفيق على برو : مرجع سابق ، ص٥٧١ .

٣ - Fisher, The Middle East in history, p. 362, London, 1961. Also : Hurwnitz, Diplomacy in the near and middle East, Vol . 1, 1535 - 1914, p. 106. New York, 1941 .

٤ - لويس شنجو : مرجع سابق ، ص ١١٩ . انظر أيضًا : توفيق مفرج : مرجع سابق ، ص ٤٩٤ . وأيضًا : Yale, op. cit., p. 208 .

ونتيجة لحروب البلقان وضعف تركيا بعد خروجها من هناك ، قررت ألمانيا الاعتماد على نفسها وذلك بزيادة جيشها وأسطولها البحرى التجارى والعسكرى[١] ، وكذلك زيادة نفوذها داخل الدولة العثمانية حتى تصبح الدولة الأولى بالرعاية بين الدول الأوربية ، علاوة على اعتمادها على مستعمراتها فى غرب أفريقيا وشرقها ، والوصول من خلال الإمبراطورية العثمانية إلى الوقوف فى وجه انجلترا فى الشرق العربى خاصة فى البحر الأحمر والمحيط الهندى [٢].

والخلاصة من كل ذلك أن ألمانيا قصدت التفوق البحرى والبرى لاستخدامه فى توسيع الأملاك والمستعمرات ولو بأخذها من أيدى الدول الأخرى ، ويترتب على هذا التفوق ، إما أن ترضخ الدول الأوربية لذلك ، أو أن تحاربها وتوقفها عند حدودها ، وكان هذا من أسباب الحرب العالمية الأولى[٣] .

بعد أن استعرضت فى الجزء الأول الظروف السياسية - الداخلية والخارجية - التى كانت تمر بها تركيا فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين حتى سنة ١٩١٣م ، وبعد أن استعرضت كذلك الظروف السياسية الداخلية والخارجية لألمانيا والتى جعلتها تخرج للاستعمار، وتلتقى أهدافها مع أهداف الإمبراطورية المتداعية فى ذلك الوقت ، نأتى إلى الجزء الثالث وهى مصر ، الحلقة الهامة فى هذا الفصل ، إذ أنها القطر الذى يطل على البحر الأحمر ويتحكم فى منفذه الشمالى أى قناة السويس ، وعند دراستنا للتطورات الخارجية فى مصر فى أوائل القرن العشرين ، نجد أن ذلك التاريخ مرتبط بانجلترا الدولة الاستعمارية الكبرى التى احتلت مصر ، فمن خلال التطورات السياسية لمصر البلد المحتل من قبل انجلترا نستطيع أن نتكلم عنها وعن البحر الأحمر .

ولكننا قبل أن نعالج تلك التطورات ، لابد لنا من أن نلم بأطراف كثيرة مما يتصل بالقيمة الاستراتيجية التاريخية لبعض مناطق هذا الإقليم الهامة ومداخله الأساسية ، وهذا كله يعيننا على تفهم أهداف انجلترا وخططها فى هذا القسم من العالم وخاصة البحر الأحمر[٤] .

١- Chirol, op. cit., p. 173. Also: Ahmad. F., op. cit., p. 155 .

٢- فارس نمر : مرجع سابق ، ص ٥٤٤ . وأيضًا : توفيق مفرج : مرجع سابق ، ص ٤٩٣ . وأيضًا : Yale, op. cit., p. 208 .

٣ - نفس المرجع السابق .

٤ - سليمان حزين : مرجع سابق ، ص ٥٨٨ .

كان وادى النيل ودلتاه على الدوام قاعدة عسكرية هامة يمكن الاستناد إليها والتوسع منها نحو قلب الشرق ، وقد تكرر ذلك فى التاريخ أكر من مرة ، فمن مصر توسع الفراعنة أيام إمبراطورية الدولة الحديثة ، ومنها توسع البطالمة بعد الإسكندر ، وإليها ارتكز جانب هام من قوة الرومان فى توسعهم إلى شمال بلاد العرب ، والخليج الفارسى فى أوائل القرن الثانى الميلادى (١).

وكذلك فقد قامت فى مصر الدول الإسلامية ، ومنها اتسع سلطان صلاح الدين الأيوبى وأمثاله من القواد الذين عرفوا كيف يستغلون موقع مصر وموارد ثروتها ، وفيها تحدد الملك لمحمد على وامتد نفوذه إلى جهات عديدة فى الشرق مثل فلسطين والشام وجزيرة العرب ، لولا ماكان من تألب الدول الكبرى عليه وعلى خلفائه (٢).

وحيث أن مصر تطل على البحر الأحمر من خلال شواطئها الشرقية ومن خلال وجودها فى السودان ، فقد لعب هذا البحر دوراً خطيراً كطريق ملاحى بين الشرق والغرب فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر(٣) ، وفى النصف الثانى من القرن العشرين ، ولقد تأثر تاريخ مصر الحديث بموقعها على هذا البحر ، إذ أنه كان فى عهد الإمبراطورية العثمانية بحيرة راكدة فأصبح فى مستهل القرن التاسع عشر شرياناً من أهم شرايين المواصلات فى العالم بين الشرق والغرب ، خاصة بعد اكتشاف البخار واستخدامه فى السفن ، وبالطبع تضاعفت هذه الأهمية بعد اتصال البحر الأحمر بالبحر المتوسط بافتتاح قناة السويس للملاحة فى عام ١٨٦٩م (٤).

وإذا كان الهدوء النسبى قد ساد مجال التنافس الدولى فى الدولة العثمانية منذ سنة ١٨٦٩م ، فقد وقعت أحداث تاريخية كان لها أثر عميق فى عملية تقرير المصير للعالم العربى بالنسبة للاستعمار الأوربى عامة وبالنسبة لمصر والبحر الأحمر خاصة ، ففى سنة ١٨٦٩م افتتحت قناة السويس وأدركت انجلترا ، رغم ما أبدته من معارضة للمشروع فى أول الأمر ، أهمية هذا الطريق المائى لمواصلاتها مع الهند(٥) ، وأصبح من الضرورى بالنسبة لها فى ذلك

١- جواد على : مرجع سابق ، ص ٤٣ . انظر أيضًا : الفصل التمهيدى .

٢ - Fisher, op. cit., p. 350 . وأيضًا : عبد العظيم رمضان : مرجع سابق ، ص ٨ . انظر أيضًا : الفصل التمهيدى .

٣ - جلال يحيى : مرجع سابق ، ص ٢٧٨ . وأيضًا : شوقى الجمل : مصر والبحر الأحمر ، مرجع سابق ، ص ٧٨ . وأيضًا : محمد عبد الله عنان : مصر ومصير المستعمرات الإيطالية ، مرجع سابق ، ص ٥٧ .

٤ - شوقى الجمل : مرجع سابق ، ص ٧٧ . أنظر أيضًا :

Farnis, op. cit., 543 .

٥ - عمر عبد العزيز : مرجع سابق ، ص ٢٣٨ .

الوقت وأكثر من أى وقت آخر ، ألا تقع الأجزاء الآسيوية من الإمبراطورية العثمانية وخاصة التى تطل على البحر الأحمر فى قبضة دول معادية لانجلترا . كما أنه أصبح من الضرورى أيضًا ألا تتحدى دولة قوية وبصفة خاصة روسيا وألمانيا قوة بريطانيا البحرية وسيطرتها الكاملة على البحر المتوسط والأحمر [١].

وبدأت أنظار انجلترا تتجه إلى مصر لأنها مفتاح البحر الأحمر من الشمال ، وشعرت بالخطر بسبب النفوذ الفرنسى القوى فى مصر بعد افتتاح قناة السويس ، وعملت بكل الوسائل على الوصول إلى مصر ومساواة نفوذها بالنفوذ الفرنسى ، وزاد نفوذها بعد أن تورطت مصر فى الديون ، واستطاعت فى النهاية شراء حصة مصر فى قناة السويس ، وأصبح لها موضع قدم ثابت ، وانتظرت الفرصة المناسبة لاحتلال مصر ، وتم لها ذلك فى سنة ١٨٨٢م بعد قيام الثورة العرابية ، والتدخل ضدها بحجة حماية الأجانب وأمتيازاتهم[٢].

استقر الاحتلال الإنجليزى فى مصر واطمأنت انجلترا على مستعمراتها فى الشرق وأصبحت قناة السويس والبحر الأحمر فى قبضتها ، ولذلك يعتبر المؤرخون ، الاحتلال الإنجليزى لمصر والثورة المهدية ، وفشل جوردون ومقتله فى السودان ، وإخلائه سنة ١٨٨٥م حوادث مهمة جداً لسببين مهمين ، أولهما بالنسبة للعلاقات السياسية الكبرى فى أوربا نفسها ، وثانيهما بالنسبة لحركة الاستعمار عامة وفى أفريقيا بصفة خاصة ، إذ أن هذه الحوادث كانت علامات فارقة بالنسبة للسياسة الإنجليزية الخاصة بمصر والسودان وتأثير ذلك مستقبلاً على سياسة الإنجليز فى البحر الأحمر وهو ماحدث فعلاً . ونتيجة لذلك أصبح البحر الأحمر بحراً إنجليزيًا[٣].

ولم تحدث منذ سنة ١٩٠٠م حتى سنة ١٩٠٦م أزمات تهدد الاحتلال الإنجليزى بمصر والسودان بعد توقيع الاتفاق الودى سنة ١٩٠٤م بين انجلترا وفرنسا ، إلا أزمة سنة ١٩٠٦ ،

١- عبد العظيم رمضان : مرجع سابق ، ص ٩ .

٢ - أحمد عبد الرحيم مصطفى : علاقات مصر بتركيا فى عهد الخديوى إسماعيل ١٨٦٢ - ١٨٧٩م ، مرجع سابق ، ص ٢١١ . انظر أيضًا : عبد العظيم رمضان : مرجع سابق ، ص ٦ . وأيضًا :
Richmand, op., cit., p. 158 .

٣ - على إبراهيم عبده : مرجع سابق ، ص ١١١ . انظر أيضًا : عبد العظيم رمضان : مرجع سابق ، ص٢٧ . وأيضًا : يونان لبيب رزق : مصر والسودان ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ١٤ . وأيضًا : زاهر رياض : مرجع سابق ، ص ٢٠٨ .

والمعروفة بحادثة طابا بين مصر وتركيا ووقفت فيها انجلترا بجانب مصر وتم إنهاء النزاع على هذه المنطقة من سيناء لصالح مصر بتنازل تركيا عن مزاعمها فيها[١] .

واستمر الوضع على ذلك فى هدوء نسبى بعد أن أحكم الإنجليز قبضتهم على قناة السويس ومصر والسودان حتى جاءت سنة ١٩١١ وشهدت تطوراً أدى إلى الحرب بين الدولة العثمانية وإحدى الدول الأوربية وهى إيطاليا .

وكانت إيطاليا بعد أن استولت على جزء من الصومال ازدادت شهيتها للاستعمار فعملت على خلق المشاكل فى اليمن تمهيداً لاحتلاله ، ولكن انجلترا كانت لها بالمرصاد فنبهتها إلي خطورة ذلك على مصالحها فى جنوب الجزيرة العربية ، أى فى عدن ووقفت فى وجهها مما اضطرها إلي التفكير جديًا فى غزو ليبيا لأنها كانت تطمع فيها منذ فترة طويلة[٢] .

وفى نفس الوقت بدأت الاتصالات الدبلوماسية تظهر نتائجها بين الإنجليز والإيطاليين حينما رحب اللورد كرومر المندوب السامى البريطانى فى مصر ، باحتلال إيطاليا لليبيا ، على اعتبار أن ذلك يساعد على إيجاد قوة عازلة Buffer state فى ليبيا وتمثلها إيطاليا لتعزل بين الإنجليز فى مصر والفرنسيين فى تونس وبقية المغرب العربى [٣].

وكان هناك سبب آخر قوى لتفضيل ليبيا عن اليمن ، وهو قربها من الساحل الإيطالى ، والقوة العثمانية المدافعة عن ليبيا ضعيفة العدة والعتاد ، أما فى اليمن فالأتراك لهم قوة عسكرية كبيرة كانت تقدر بفرقتين كاملتين مجهزتين بالسلاح للوقوف فى وجه القبائل ، مما يؤدى بإيطاليا إلى خوض غمار حرب حقيقية قد لا تستطيع كسبها بسهولة ، ولهذا فضلت ليبيا فى النهاية [٤].

١- Fo. 371/58, From the earl of Cromer to sir Edward Crey, Cairo, January, 1906 .

٢ – محمد رشيد رضا : سياسة إيطاليا ومطامعها فى بلاد المسلمين ، مجلة المنار ، م١٠ ، جـ ٨ ، أكتوبر ١٩٠٧ .

٣ – جمال زكريا : مرجع سابق ص ٣١٦ . انظر أيضًا :

Richmond, op. cit., p. 166

٤ – فاروق عثمان : سياسة بريطانيا فى عسير : مرجع سابق ، ص ٢٢ . وأيضًا : حسن عويلى : اغتيال بريطانيا لعدن والجنوب العربى ، ص ١٨ . وأيضًا : جرجى زيدان : الدولة العثمانية وإيطاليا ، مجلة الهلال ، جـ ١ ، السنة ٢٠ ، أكتوبر سنة ١٩١٢ ، ص ٨٦ .

وهكذا نجد أن الإنجليز بسيطرتهم على مصر والسودان وقناة السويس أصبحت الأجزاء الشمالية المهمة من البحر الأحمر تحت سيطرتهم السيطرة الكاملة التى لاينازعهم فيها منازع ، وأصبحوا أصحاب السيادة البحرية فى البحر الأحمر فى مطلع القرن العشرين حتى نشوب الحرب العالمية الأولى .

بعد أن استعرضت فى الأجزاء السابقة التطورات الدولية والصراعات بين الدول الأوربية ، وطمعها فى الاستيلاء على ممتلكات الدولة العثمانية ، أتناول أقاليم الحجاز المطلة على البحر الأحمر من الساحل الشرقى ودورها فى الصراع المحلى بين القوى المحلية فى الحجاز وعسير واليمن ونجد وبين الصراع الدولى على البحر الأحمر .

كانت الجزيرة العربية التى تطل على البحر الأحمر من الناحية الغربية ، وعلى الخليج الفارسى من الناحية الشرقية وعلى البحر المتوسط من الناحية الشمالية والغربية وعلى المحيط الهندى من الجنوب مسرحًا كبيراً للصراع بين القوى المحلية فيما بينها وبين الدول الأجنبية للسيطرة عليها (١).

ولمعرفة الأحوال الداخلية أولاً لشبه الجزيرة العربية في أوائل القرن العشرين حتى نشوب الحرب العالمية الأولى ، يجب إلقاء الضوء على تطورات الحوادث التى نشبت بين عبد العزيز آل سعود وبين الشريف حسين شريف مكة وبين الأدارسة فى عسير وآل الرشيد فى حائل ، وكان كل هؤلاء يخضعون بدرجات متفاوتة للدولة العثمانية (٢).

أما عن الشريف حسين أمير مكة فكان قد تولى منصبه فى سنة ١٩٠٨ ، وكان يتحرق شوقًا إلى تحقيق أكبر قدر من النفوذ والقوة فى شبه الجزيرة العربية ، وفى نفس الوقت كانت له مشكلة فى علاقاته مع الدولة العثمانية خاصة بالنسبة لنظام الشرافة ، إذ أن هذا النظام كان أصلاً وراثيًا أبقاه العثمانيون بعد امتداد نفوذهم على الحجاز كنتيجة لوقوع مصر فى قبضتهم فى القرن السادس عشر ، ولكن سياسة الاتحاديين الأتراك حين وصولهم إلى الحكم فى سنة ١٩٠٨ فى تركيا ، كانت تقوم على المركزية ، بمعنى ربط الولايات العثمانية شبه المستقلة ربطًا محكمًا بالدولة وعاصمتها القسطنطينية(٣) .

١- زكى صالح : مرجع سابق ، ص ٢٣٧ .

٢ - محمد رشيد رضا : انطفاء فتنة نجد ، مجلة المنار ، جـ ٨ ، ١٩ يونيو ١٩٠٥م ، ص ٣٠٣ . انظر أيضًا : حافظ وهبه : جزيرة العرب ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ٢٥٥.

٣ - محمد أنيس : مرجع سابق ، ص ٢٧٧ . انظر أيضًا : Polk, op. cit., p. 106.

ومما ساعد على الاعتقاد فى صحة هذا الاتجاه فى ذلك الوقت ، تصادف الانتهاء من إنشاء سكة حديد بغداد - الحجاز ، ذلك المشروع المهم الذى استغرق تنفيذه مايقرب من ثمانية أعوام (١٩٠١ - ١٩٠٨) ، وكان فى الاعتقاد أن هذا المشروع سيقوى سلطة الخلافة على الأماكن المقدسة في مكة والمدينة ، وفعلاً تم افتتاح هذا الخط مابين دمشق والمدينة المنورة فى أول سبتمبر سنة ١٩٠٨م [١].

وكان لابد أن تؤدى هذه التطورات عند الاتحاديين الأتراك إلي وجود فكرة السيطرة على الأماكن المقدسة سيطرة كاملة ، مما أدى إلى قلق الشريف حسين على وجوده . فازدادت العلاقة سوءاً بينه وبين حكومة الاتحاديين فى القسطنطينية ، وخاصة أن ذلك يتعارض مع طموحاته المقبلة ، بتكوين شأن كبير له فى شبه الجزيرة وليس فى الحجاز فقط .

وتنفيذاً لمخطط الاتحاديين قامت القسطنطينية بتعيين وهيب باشا واليًا على الحجاز ، على أن يجمع السلطة المدنية والعسكرية فى يده ويحاول القضاء على نظام الشرافة ، وكان من مشروعاتهم أيضًا مد سكة حديد بغداد - الحجاز إلي مكة المكرمة ليسهل عليهم ربط الحجاز كله باتصال سريع بين السلطات العثمانية فى سوريا والحجاز[٢] ، فأدرك الشريف حسين أن اصطدامه بالأتراك وشيك الوقوع فأخذ يتطلع إلى دولة كبرى تهب لمساعدته فى حالة وقوع هذا الصدام ، ولم يكن أمامه من قوى عظمى إلا إنجلترا ، فقام الأمير عبد الله بن الشريف حسين بزيارة مصر فى العام نفسه وقابل كتشنر المعتمد البريطانى فى مصر ، وعرض عليه الموقف فى الحجاز ، وسأله عن موقف انجلترا إذا نشبت الحرب بين والده والأتراك ، ثم توالت المقابلات بينهما عندما وجد أن الإنجليز لديهم استعداد كامل لسماعه والاستجابة لطلباته ، وكانت هذه المقابلات تتم بينه وبين رونالد ستورز Ronald Storrs السكرتير الشرقى فى دار المعتمد البريطانى [٣].

١- تقرير المستر هارى لام المترجم الأول للسفارة البريطانية فى القسطنطينية .

British Documents on Origins of the War 1898 - 1914, Vol. V, p. 8 .

٢ - British Documents, Ibid, p. 283. Also : Encyclopedia Britanica, 11th ed, under, He-gaz Railway .

٣ - محمد أنيس : مرجع سابق ، ص ٢٧٧ . انظر أيضًا :

Sachar, op. cit., p. 123 .

ولكن الإنجليز فى نهاية الأمر رفضوا الاتفاق على خطة معينة ومحددة لمساعدة الشريف حسين ، رغم أنهم كانوا يرفضون سياسة تركيا تجاه الولايات العربية الخاضعة لهم ، لأن انجلترا كانت ترغب فى أن تحسن علاقاتها مع تركيا ، حتى لاتقف تركيا مستقبلا مع ألمانيا إذا نشبت الحرب بينهما ، وكذلك حتى لاتشدد تركيا قبضتها على الولايات العربية مما يتيح للإنجليز فرصة الامتيازات ، والانقضاض على هذه الولايات عندما تسمح الظروف الدولية بذلك [١].

وفى مطلع القرن العشرين كان الأدراسة يحكمون منطقة عسير فى الجنوب من الحجاز وحتى حدود اليمن تقريبًا ، وكانوا فى نفس الوقت خاضعين للدولة العثمانية وكانت بينهم وبين جيرانهم اليمنيين علاقات غير مستقرة .

وفى نفس الوقت كان لحكام عسير تطلعاتهم القوية للاتصال بالخارج حتى يضمنوا لإمارتهم الصغيرة البقاء وسط اليمن فى الجنوب ، والحجاز فى الشمال ، وابن سعود فى الشرق ، ذلك عملوا على الاتصال بالإيطاليين ابتداء من سنة ١٩٠٥ بغرض إقامة علاقات صداقة بينهما والحصول على السلاح والأموال لكى يتمكنوا من مقاومة أطماع جيرانهم أو أى قوة أخرى تفرض عليهم السيطرة مثل تركيا ، ورحب الإيطاليون بهذه الفرصة التى تجعل الأتراك فى شغل عن تطلع إيطاليا للسيطرة على ليبيا[٢] .

وعندما تم لحاكم عسير محمد الإدريسى التخلص من منافسيه على السلطة ، أصبح شخصية قوية ابتداء من سنة ١٩٠٧ ، وهذه الشخصية التى كانت تتمتع فى نفس الوقت بطموح قوى وشديد أصبحت لها خطورتها فى عسير نفسها وعلى ما حولها من مناطق ، أى اليمن فى الجنوب وإمارة الحجاز فى الشمال وإمارة ابن سعود فى الشرق ، إذ استطاع هذا الحاكم أن يستغل ثقافته الواسعة ومقدرته الإدارية والسياسية فى اجتذاب القبائل فى المنطقة مما زاد من قوته وخطورته [٣].

أما بالنسبة للدولة العثمانية وهى صاحبة السيادة فى عسير فإنها لم تهتم بأمره عند بداية ظهوره ، إذ اعتبروه أحد رجال الدين العديدين المتصوفين الذين سرعان ماينطفئ نجمهم ، بينما

١- محمد أنيس : مرجع سابق ، ص ٢٧٧ .

٢ - فاروق عثمان : سياسة بريطانيا فى عسير ، مرجع سابق ، ص ٣١ .

٣ - نفس المرجع السابق ، ص ٣٠ .

تجاهله الشريف حسين أمير مكة واعتبره طفرة وسينتهي أمره قريبًا نظرًا لتمتعه ببعض النفوذ على قبائل عسير [١].

ولكن تطورات الأحداث العالمية هي التي ساعدت الإدريسي على الظهور أكثر وأكثر بسبب مساندة إيطاليا له ضد الدولة العثمانية ، إذ أن الصراع الدبلوماسي بين الدول الأوربية وبين الدولة العثمانية من ناحية وبين ألمانيا صديقة الأتراك من ناحية أخرى ، أدي إلى تفجر المشاكل بينهما بشكل كبير ، وذلك للحصول على أكبر قدر من الامتيازات داخل الأقطار التابعة للدولة العثمانية ، والدول الأوربية التي كانت قد حصلت على امتيازات كانت تريد الاستزادة منها وتأكيد مصالحها الدبلوماسية والاقتصادية والعسكرية ، واستمر الوضع على ذلك من الصراع حتى جاءت سنة ١٩١١ لتشهد تطوراً في النزاع أدى إلى الحرب بين الدولة العثمانية وإيطاليا بسبب طرابلس[٢] .

كانت إيطاليا بعد أن استولت على جزء من الصومال تتطلع لمزيد من الاستعمار فعملت علي خلق المشاكل تمهيداً لاحتلاله ، ولكن انجلترا كانت تراقب تصرفاتها . وعندما وصلت الأمور إلى ذروتها ، نبهتها إلى خطورة ذلك ووقفت انجلترا في وجهها ، مما اضطر إيطاليا إلى التخلي عن مشاريعها وأطماعها في اليمن وغزو ليبيا تعويضًا لها من اليمن الذى حرمتها منه انجلترا[٣] .

ومن ناحية أخرى وجدت إيطاليا فرصتها في عسير ووجدت عسير فرصتها في إيطاليا ، وقد التقت رغبة إيطاليا في تحريض الإدريسي على محاربة الأتراك ، مع رغبته الشخصية في بناء ملك عريض في عسير ، مستفيداً من مكانة أسرته ، وبروز شخصيته وما تحلى به من العلم والخبرة بأحوال مسقط رأسه وبطبائع القبائل العسيرية ، فضلاً عن اضطلاعه على مجريات الأمور السياسية العالمية في ذلك الوقت [٤].

١- فاروق عثمان : المرجع السابق ، ص ٣١ .

٢ - جرجي زيدان : الدولة العثمانية وإيطاليا ، مرجع سابق ، ص ٨٦ .

٣ - محمد رشيد رضا : سياسة إيطليا ومطامعها في بلاد المسلمين ، مرجع سابق ، ص ٦٢٧ . انظر أيضًا : فاروق عثمان : سياسة بريطانيا في عسير ، مرجع سابق ، ص ٢٢ . وأيضًا : حسن عويلى : مرجع سابق ، ص ١٨ .

٤ - فاروق عثمان : سياسة بريطانيا في عسير ، مرجع سابق ، ص ٣٢ . انظر أيضًا : جمال زكريا : مرجع سابق ، ص ٣١٨ . وأيضًا :

Stewart, op. cit., p. 188 , Also : Richmond, op. cit., p. 166 .

ولاشك أن الإدريسى استفاد الخبرة من مشاهداته فى السودان ، وما خلقته ثورة المهدى من شهرة مدوية ، ومشاهداته فى مصر ، وما أبقاه محمد على لأسرته من ملك موروث ، بعد أن كادت جيوشه تسيطر على الآستانة لولا وقوف الدول الكبرى فى وجهه حفاظًا على مصالحها الاستعمارية فى أراضى الدولة العثمانية ، فقد ألهمته هذه المشاهدات بأن يدعم مركزه فى عسير ، وقد ساعده على ذلك إهمال الدولة العثمانية للشئون الداخلية فى عسير حتى شاعت الفتن بين القبائل وعمت الفوضى أرجاء البلاد[١].

وإلى جانب الدعم المادى والحربى الذى قدمته إيطاليا للأدريسى أثناء هجومها على طرابلس الغرب فى عامى ١٩١١ - ١٩١٢م ، فقد قام الأسطول الإيطالى بضرب الموانى اليمنية والتى بها قوات عسكرية تركية ، وكانت هذه المدن مواجهة لمواقعهم فى مستعمرة إريتريا ، وكان العتاد والأسلحة الذى قدمته إيطاليا لقوات الإدريس لايساعده على هزيمة القوات التركية فى عسير ، وفى مهاجمة ميناء القنفذة المحصن بتحصينات تركية قوية ، وفى الوقت نفسه أنزل الأسطول الإيطالى خسائر فادحة بهذا الميناء من جهة البحر ، كما حاصر بقية الأسطول الإيطالى الموانى اليمنية حتى لاترسل تركيا تعزيزات منها إلى ميناء القنفذة . فقصفها بمدافعه ماعدا الموانئ الصغيرة التى كانت فى قبضة الإدريسى نفسه[٢] .

وتوالت الكوارث على تركيا حين انتهزت النمسا الفرصة وأعلنت الحرب عليها بعد أن ضمت إليها ولايتى البوسنة والهرسك إثر احتلال عسكرى لهما ، واستقلت بلغاريا والجبل الأسود استقلالاً تامًا ، وكان من نتائج هذه الكوارث أن أملاك تركيا أخذت تتقلص الواحدة وراء الأخرى ، حتى أن الراية العثمانية أخذت ترتد نحو القسطنطينية[٣].

وعندما شعر الإدريسى أن إيطاليا استنفذت أغراضها من التحالف معه بعد احتلالها لليبيا ، فإنه بحث عن حليف جديد ، لأنه عرف بخبرته السياسية أن تركيا لن تغفر له تحالفه مع الإيطاليين ومهاجمته القوات التركية فى عسير وهزيمتها ، فداوم على سياسة العداء

١- فاروق عثمان : سياسة بريطانيا فى عسير ، مرجع سابق ، ص ٣٢ . انظر أيضًا : Lewis, G. Turkey, p. 140. Also : Mansfield, op. cit., p. 144 .

٢ - فاروق عثمان : سياسة بريطانيا فى عسير ، مرجع سابق ، ص ٣٢ . انظر أيضًا : رجب حراز : التوسع الإيطالى فى شرق أفريقيا ، وتأسيس مستعمرتى اريتريا والصومال ، مطبعة جامعة القاهرة ، القاهرة، ١٩٦٠ ، ص ٢٧٤ . وأيضًا : هانز أوليفر : اليمن من الباب الخلفى ، تعريب خيرى حماد ، بيروت ، الدار المتحدة للنشر ، ١٩٦١ ، ص ١٤٦ .

٣ - Lewis, op. cit., 47.

للأتراك ، وأسرع بتلبية نداء بريطانيا فى بداية الحرب العالمية الأولى ، فكان الإدريس أول من رفع السلاح في وجه الأتراك وأول حليف عربى للحلفاء[١] .

وهكذا نجد من تصرفات الإدريسى وموقفه ، أنه كان واضحًا كل الوضوح فى معاداته للأتراك ، وهذه المعاداة كانت صريحة منذ بداية ظهوره فى عسير ، وزاد حقده عليهم بعد أن فرقوا بينه وبين حليفه الجنوبى فى اليمن ، وهو الإمام يحيى الذى استرضاه الأتراك وعقدوا معه صلحًا سنة ١٩١١م ، وبذلك فصلوا بين قطبى المقاومة فى اليمن [٢].

كانت النتيجة العملية لذلك هى وقوف الإدريسى وحده فى مواجهة الجيش التركى المجهز بأحدث الأسلحة والعتاد الحربى ، فاضطرته الظروف الجديدة إلى الوقوف ضد حليفهم الجديد إمام اليمن ، وهذا ماجعل الإدريسى يتقبل بسرعة عروض الإيطاليين بالتحالف معه لمحاربة الأتراك فى عسير ، بينما وقف الإمام يحيى إلى جانب الأتراك فى محاربتهم للأدريسى ، وكان الإمام يرجو أن يتمكن الأتراك من القضاء على الإدريسى قبل خروجهم من اليمن ، حتى لايعكر صفو الجو فى المستقبل أو ينازعه منازع فى وراثة الحكم العثمانى فى عسير بأكملها[٣] .

على أن هذا التحالف بين الإمام يحيى وبين الأتراك لم يقض على الإدريسى ولم يقلل من مكانته بين أتباعه بسبب تحالفه السابق مع إيطاليا ونضاله المستمر ضد الأتراك المستعمرين لبلاده ، وهذا ما جعل بريطانيا بعد ذلك تثق به وأن أهدافها ستتحقق بواسطة الإدريسى لما له من سابقة مشهورة فى الاستعانة بالإيطاليين لضرب الأتراك فى عسير دون تعرضه للحرج من أتباعه المسلمين .

أما بخصوص اليمن وإمامها يحيى فقد نجت من الوقوع فى براثن الاحتلال الإيطالى نتيجة التنافس بين القوتين الإنجليزية والإيطالية ، وذلك لوقوف إنجلترا بالمرصاد لمحاولات

١- جورج انطونيوس : مرجع سابق ، ص ١٥٠ ، وأيضًا : محمد عبد الرحمن برج : قناة السويس ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ٣٠ .

٢ - فاروق عثمان : سياسة بريطانيا فى عسير : مرجع سابق ، ص ٢٨ . انظر أيضًا :

Stewart, op. cit., p. 188 .

٣ - فاروق عثمان : سياسة بريطانيا فى عسير : مرجع سابق ، ص ٢٨ . انظر أيضًا : فاروق عثمان : العلاقات البريطانية اليمنية : مرجع سابق ، ص ٦٤ .

٤ - فاروق عثمان : سياسة بريطانيا فى عسير ، مرجع سابق ، ص ٢٩ .

إيطاليا فرض سيطرتها على اليمن ، وكذلك قيام إيطاليا بنفس العمل ضد انجلترا ، وليس أدل على ذلك من قيام إيطاليا بمغامرة كبيرة حينما أرسلت أسطولها فى البحر الأحمر والمرابط فى مستعمرة إريتريا لاحتلال ميناء « المخا » اليمنى ، ولكن السلطات البريطانية فى عدن أمرت أسطولها الحربى المتمركز هناك بالأسراع لطرد الإيطاليين فوراً ، وتصدى الأسطول الإنجليزى للأسطول الإيطالى والذى كان أقل منه فى القوة والعدد ، فما كان من الأسطول الإيطالى إلا أن انسحب ولم تجرؤ إيطاليا بعد ذلك على احتلال أى جزء من بلاد اليمن ، ولكن منعًا للتداخلات الدولية اتفقت الدولتان فيما بينهما على أن لا تحاول كل منها احتلال اليمن ، ولذلك يدين اليمن بالمحافظة على استقلاله لتنافس الدولتين الاستعماريتين - بريطانيا وإيطاليا - على توازن القوى الدولية فى العالم (١).

ولهذه الأسباب فإن الإنجليز عبروا عن تأييدهم أكثر من مرة وارتياحهم لوجود العثمانيين فى اليمن ، عندما كانوا على وفاق مع الدولة العثمانية ، لأن الوجود العثمانى فى اليمن كان يشكل عامل استقرار فى المنطقة المتاخمة لعدن ، ويشكل قلقًا لهم فى المستقبل إذا ماخرج العثمانيون من اليمن (٢).

فى نفس الوقت كان الإمام يحيى قد أطمأن للأتراك بعد عقد صلح سنة ١٩١١م حيث اعترفت تركيا فيه للإمام بمكانته شمالى الهضبة اليمنية بين أتباعه الزيديين ، حتى تتفرغ تركيا للجهات الأخرى فى طرابلس الغرب وفى بلاد البلقان حيث تواجهها المشاكل ، وقنع الإمام بأن هذا الصلح مع الدولة العثمانية سيدعم مركزه تمهيداً لأن يرث حكم الأتراك إذا ماتم إخلائهم نهائيًا عن بلاده ، وقد استمر الإمام يحافظ على موقفه السلمى من الأتراك ، حتى أثناء الحرب العالمية الأولى حتى شارفت هذه الحرب على نهايتها ، فكسب مساعدة الأتراك ورضاهم ورضا الإنجليز فى الجنوب منه ، وعدم مقدرة الإدريس على مهاجمته من الشمال وتخوف إيطاليا من انجلترا عند ازدياد رغبتها فى اليمن (٣).

أما عدن فإن بريطانيا كانت تعتبر نفسها صاحبة حق فيها منذ احتلالها سنة ١٨٣٩م وفى النواحى التسع المتاخمة لها فى جنوب اليمن ، والتى ارتبطت معها بمعاهدات الحماية ، كما أن

١- محمد حسن عويلى : مرجع سابق ، ص ١٨ .

٢ - فاروق عثمان : العلاقات البريطانية اليمنية ، مرجع سابق ، ص ٦٥ .

٣ - نفس المرجع السابق ، ص ٦٤ .

بريطانيا تمسكت بخط الحدود الذى حددته الاتفاقية العثمانية البريطانية التى عقدت فى التاسع من مارس سنة ١٩١٤ ، وهى الاتفاقية التى اعترفت أيضًا بالوجود البريطانى فى جنوب اليمن [١].

أما بالنسبة لنجد وهى فى وسط شبه الجزيرة العربية ، فإنه منذ بداية القرن العشرين ظهر فيها عبد العزيز آل سعود بعد أن تغلب على آل الرشيد فى نجد ، وكان عبد العزيز فى سنواته الأولى فى عزلة تامة لكى ينظم أمور إمارته الصغيرة ، ولم يكن يهتم بشئ أكثر من اهتمامه بقتال ابن الرشيد فى حائل وتقوية مركزه فى الأماكن التى يسيطر عليها[٢] .

ولكن منذ سنة ١٩٠٤م وجد ابن سعود خصمًا قويًا يريد القضاء عليه وهو الأتراك ، إذ أن الأتراك عندما وجدوا أن نفوذ ابن سعود قد بدأ فى الازدياد ، ونجم حليفهم ابن الرشيد قد أخذ فى الأفول ، دخلوا ميدان النزاع مؤيدين ابن الرشيد على ابن سعود حيث كانت بينهما عداوة شديدة على النفوذ فى منطقة نجد التى كانت مستعمرة تركية رغم هدوء الأحوال بينهما فى أغلب الوقت ، بعد أن استقر الأمر لابن سعود فى نجد وابن الرشيد فى حائل [٣].

والخلاصة أن نفوذ العثمانيين على الساحل الشرقى للبحر الأحمر فى الحجاز واليمن بما فيها منطقة عسير ، ظل قائمًا حتى قيام الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ فى إطار من العلاقات مع القيادات المحلية فى كل من الحجاز وعسير واليمن ونجد من ناحية ، والقوى الأجنبية المسيطرة فى البحر الأحمر مثل الإنجليز والإيطاليين من ناحية أخرى .

أما بالنسبة لمركز الإنجليز فى البحر الأحمر عشية الحرب العالمية الأولى ، فإن الذى يشاهد خريطة الحكم البريطانى فى جنوب شبه الجزيرة العربية وشمال البحر الأحمر ، يرى أنهم قد احتلوا مصر والسودان ، وجزء من الصومال ، وامتدت بعد ذلك رقعة الأراضى تحت الحماية البريطانية من مضيق باب المندب وعدن فى الجنوب الغربى من الجزيرة العربية ، وكذلك المحميات العربية حتى عمان وقطر والبحرين ومشيخات الخليج حتى الكويت شمالاً .

---

١ - نفس المرجع السابق ، ص ٦٤ .

٢ - محمد رشيد رضا : انطفاء فتنة نجد ، مرجع سابق ، ص ٢٠٣ . انظر أيضًا : حافظ وهبه ، مرجع سابق ، ص ٢٥٢ .

٣ - حافظ وهبه : مرجع سابق ، ص ص ٢٥٢ - ٢٥٣ . انظر أيضًا : جورج أنطونيوس : مرجع سابق ، ص ١٢٢ . وأيضًا :

Hitti, op. cit., p. 463 .

ومن هنا نستطيع أن نقول إن القوى العالمية التى كانت مسيطرة فى البحر الأحمر فى مطلع القرن العشرين حتى نشوب الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ ، كان فى مقدمتها انجلترا بما لديها من قوة عسكرية برية وبحرية تسيطر بها على البحر الأحمر من قناة السويس شمالاً إلى عدن جنوبًا ، وتأتى فى المرتبة الثانية إيطاليا بقوة أسطولها البحرى وتمركز قواتها فى الصومال واريتريا ، ويأتى فى المرتبة الثالثة تركيا بما لها من قوات برية فى اليمن والحجاز وفلسطين ، ولكن فى نفس الوقت لم يكن لديها قوة بحرية تنافس بها انجلترا وإيطاليا ، ومن خلف تركيا تأتى ألمانيا فى المرتبة الرابعة بصداقتها لتركيا وامتيازاتها الاقتصادية والعسكرية فى العالم العربى ، وكذلك لوجود مستعمراتها فى شرق أفريقيا وغربها من البحر الأحمر ومرور تجارتها فيه عبر قناة السويس .

فلما أعلنت الحرب العالمية الأولى فى أغسطس ١٩١٤ ، نتيجة لإعلان النمسا الحرب على الصرب وذلك على أثر اغتيال الأرشيدوق فرنسوا فرديناند ولى عهد النمسا على يد أحد الصربيين ، ونتيجة لإعلان الحرب على الصرب ، دخلت روسيا الحرب بجانب الصرب ضد النمسا ، مما استتبع بالتالى دخول بريطانيا وفرنسا الحرب إلى جانب حليفتهم روسيا ضد النمسا فى أغسطس ١٩١٤ ، وكذلك دخول ألمانيا الحرب إلى جانب حليفتها النمسا وبالتالى انضمت تركيا إلى حليفتها ألمانيا ضد انجلترا وفرنسا وروسيا (١).

وإذا نظرنا إلى مجموعة الدول المتحاربة وغرض كل منها نجد أن لكل واحدة أسبابها الرسمية التى تذكرها فى بياناتها ، أما الأسباب الخفية التى لاتذكر فهى التى تحكم مواقفها الفعلية وتصرفاتها الدولية أثناء الحرب ، إذ أن الأسباب الرسمية هى صد الاعتداء الذى وقع من قبل العدو على الأصدقاء ولكن الأسباب الحقيقية لتلك الحرب المدمرة هى الصراع على مناطق الثروات الاقتصادية فى العالم وخاصة فى آسيا وأفريقيا(٢) .

---

١ - جلال يحيى : العالم العربى الحديث ، مرجع سابق ، ص ٥١٣ . انظر أيضًا : جلال يحيى : أصول ثورة ٢٣ يوليو ، مطبعة جامعة أسيوط ، ١٩٦٥ ، ص ٨٣ . Fisher, op. cit., p. 366 . وأيضًا : فارس نمر: الحرب الأوروبية الكبرى ، مرجع سابق ، ص ٢١

٢ - عبد الخالق لاشين : سعد زغلول ودوره فى السياسة المصرية ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٥ ، ص ١٧ . انظر أيضًا : محمد عوض محمد : الانتداب والوصاية والاستعمار ، مجلة الكاتب المصرى ، المجلد ٢ ، عدد ٦ ، مارس ، ١٩٤٦ وأيضًا : سلامة موسى : ذكريات الحرب العالمية الأولى ، مجلة الكاتب المصرى ، مجلد ٥ عدد ١٧ فبراير ، ١٩٤٧ ، ص ٢٤٩

وبدخول تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا أصبحت أراضى الإمبراطورية التركية فى أوربا وآسيا ميدانًا للصراع العسكرى والذى لم تكن تركيا بظروفها الاقتصادية والعسكرية قادرة على مواجهته ولكنها اعتمدت على ألمانيا فى سد حاجاتها العسكرية والاقتصادية اللازمة للحرب (١).

وبدخول تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا والنمسا أصبح الموقف واضحًا بالنسبة للعلاقات الدولية ، فما كان من السلطان العثمانى محمد رشاد إلا أن أصدر " الفرمان " الخاص بإعلان الجهاد المقدس ضد أعداء الإمبراطورية ويدعو فيه المؤمنين فى أنحاء العالم الإسلامى إلى النضال المشترك للدفاع عن الإسلام(٢) ، ويدعو الشريف حسين أمير مكة المكرمة بصفته حامى الحرمين الشريفين - الحرم المكى ، والحرم النبوى - إلى إعادة إعلان هذا الجهاد بصفته الدينية هذه (٣).

وفى نفس الوقت أرسل جمال باشا الحاكم العام العثمانى لسوريا ولبنان رسالة أرفقها بالفرمان السلطانى ، وفيها يدعو الشريف حسين بن على إلى إرسال الراية النبوية من المدينة المنورة إلى دمشق لتخفق أمام الزحف العام لجيوش المسلمين ، وتجنيد المجاهدين من قبائل الحجاز مساهمة منه فى هذه الحرب المقدسة (٤). -

وهكذا فإنه بمجرد صدور فرمان الجهاد من الخليفة العثمانى وطلبه من المسلمين فى جميع الأقطار الإسلامية التى تحتلها انجلترا وفرنسا الجهاد ضدهما ، اقتربت الحرب من البحر الأحمر والمناطق الواقعة على سواحله الشرقية والغربية ، وكانت النتيجة الطبيعية لذلك احتلال انجلترا

---

١ - جرجى زيدان : شذرات من الحرب الحاضرة : مرجع سابق ، ص ٤٨ . انظر أيضًا : Mansfield, The British in Egypt, p. 206, U.S.A. 1927.

٢ - عمر عبد العزيز : مرجع سابق ، ص ٥٥٥ . وأيضًا : جلال يحيى : مرجع سابق ، ص ٥١٤ . وأيضًا: محمد عبد الرحمن برج : مرجع سابق ، ص ٣٧ . وأيضًا : Fisher, op. cit., p. 366 . وأيضًا : جورج لتشونسكى : مرجع سابق ، ص ٦٣ .

٣ - وحيد علم الدين : مرجع سابق ، ص ٨ . انظر أيضًا : صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٠م ، ص ١٦٠ . وأيضًا : جورج انطونيوس : مرجع سابق ، ص ١٣٥ .

٤ - Fo. 371/1973/72433. No. 1562. from intelligence department waoffice, Cairo in November 26th 1914, about Sinia and Turkush Frontier.

لقناة السويس ، وتمركزت قواتها هناك ، وأعلنت منع سفن تركيا وألمانيا والنمسا المدنية والعسكرية من عبور القناة [١].

وكذلك تم لانجلترا ضم جزيرة قبرص ، التى احتلتها بناء على اتفاق سابق بينها وبين تركيا ، وضربت انجلترا وفرنسا الحصار على أملاك الدولة العثمانية فى آسيا الصغرى ، فتوقف التصدير والاستيراد وندرت الموارد الاقتصادية والزراعية [٢].

وأكثر من هذا فقد أصرت انجلترا على عدم تسليم الأسلحة المتعاقد عليها من قبل مع الحكومة التركية وفى مقدمتها حجز الباخرتين (السلطان عثمان) و (رشادية) اللتان كانت انجلترا قد أوصت بصنعهما ، ولم يكن قد مضى وقت طويل على الحرب ، وكانت حجة الشركات المتعاقدة معها أنها لا تستطيع تسليم البارجتين الحربيتين فى زمن الحرب ، وهكذا ضاعت على تركيا الأموال التى دفعتها فيها وفى الأسلحة الأخرى من قبل [٣].

كما فرض الحصار الاقتصادى والعسكرى علي تركيا نفسها وعلى الولايات العربية الخاضعة لها ، وبدأت المعاناة من نقص الأموال والعتاد العسكرى والمواد الغذائية علاوة على ذلك فإن تركيا قد خسرت خسائر فادحة جاوزت كل التنبوءات المتوقعة ، فالجيوش التركية المحاربة سرعان ما أفرغت المستودعات والمؤن المعبأة عند تركيا والدول المحاربة كلها ماعدا روسيا ، لاتساع أراضيها الزراعية وبعد مناطقها الصناعية عن التدمير من جراء المعارك العسكرية [٤].

ونتيجة لذلك كله اضطرت تركيا إلى تقديم مواعيد التجنيد المحددة لكل فئة من فئات الشعب ، وشعوب الولايات الخاضعة لها ، واستدعاء من تأجل تجنيدهم للخدمة العسكرية إلى

---

١ - Farnic, East and West of Suez, p. 538, Also : Monsfield, op. cit., p. 206 .

٢ - جرجى زيدان : ضم جزيرة قبرص ، مجلة الهلال جـ ٣ ، أول ديسمبر ١٩١٤ ، ص ٢٥٥ . انظر أيضًا : موريس كروازيه : تاريخ الحضارات العام ، ترجمة أسعد داغر ، الدار المتحدة للنشر ، بيروت ، ١٩٧٠، ص ٢٤ . وأيضًا : . Gabriel, The Arab revival, p. 66

٣ - توفيق على برو : مرجع سابق ، ص ٦٠ . وأيضًا :

Hurewitz: Diplomacy in the near East, Vol. 11, No. 1, p. 218, New York, 1941, Also :

Chirol, The Turkish empire 1914 - 1924, p. 191 , Lahor, Bakistan, 1958 .

٤ - مجلة المقتطف : خسائر الحرب ، م٤٦، يونيو ١٩١٥ ، ص ٧٥ . انظر أيضًا : موريس كروازيه : مرجع سابق ، ص ٢٤ .

وقت لاحق ، واستعادة المسرحين من الجنود القدامى ، والتوسع فى تعبئة الجيوش الجديدة المزودة بالأسلحة والعتاد لمواجهة جيوش الحلفاء فى الميادين المختلفة ، مما زاد العبء على ميزانية الدولة المتهالكة [١].

أما دول الحلفاء مثل انجلترا وفرنسا فقد حشدت الجيوش العديدة من مواطنيهم أولاً وعندما لم تكتفى بهذه الأعداد الهائلة لجأوا إلى مواطنى المستعمرات لتكوين الجيوش منهم ، والاعتماد على المواد الخام الزراعية والصناعية التى تنتجها هذه البلاد فى تموين وتجهيز هذه الجيوش مثلما حدث فى مصر ، عندما سخّرت سلطات الاحتلال الإنجليزى كل موارد مصر لخدمة قواتها العاملة فى قناة السويس ومصر والسودان وعدن [٢].

وإزاء هذا الحصار العسكرى والاقتصادى من قبل الحلفاء لتركيا ، أعلن السلطان العثمانى الجهاد فى البلاد الإسلامية والعربية للثورة ضد الاحتلال الإنجليزى والفرنسى ، واعتقد الأتراك وحلفائهم الألمان أن الشعوب الإسلامية والعربية ستثور ضدهم وبالتالى فإن ذلك سيساعدهم فى حربهم ضد الحلفاء ويسهل مهمة الجيوش التركية فى غزوها للبلاد العربية المحتلة مثل مصر والسودان وتونس والجزائر والمغرب وليبيا ، ولكن هذا التصور لم يحدث فى تلك البلاد إلا فى ليبيا لقيام ثورة وطنية أصلاً ضد الإيطاليين ، وكذلك قيام سلطان دارفور بالثورة على الإنجليز [٣].

ولكن هذا لايمنع من أن العرب فى الولايات التابعة لتركيا مثل العرب فى فلسطين والشام والعراق والحجاز كانوا يطالبون بإصلاحات دستورية تعطيهم حقوقًا أكبر فى إدارة شئون بلادهم، وحدثت خلافات نتيجة لذلك بينهم [٤] ، ولكن عندما اندلعت نيران الحرب أوقف

---

١ - Yale : The near East, A modern history, p. 213, N.Y. 1973 . وأيضًا : مجلة المقتطف : مرجع سابق ، ص ٧٦ .

٢ - Ibid K. Turkey faces west. p. 141, N.Y., 1924. Also : Manfeld, op. cit., p. 206, Also : Farnic, op. ct., p. 526 .

٣ - مجلة المقتطف : الجيوش المتحاربة ، م٤٦ ، فبراير ١٩١٥ ، ص ١٧٧ . انظر أيضًا : جورج انطونيوس ، مرجع سابق ، ص ص ١٤٥ - ١٤٦ . وأيضًا :

Halborn. A History of modern Germany, 1840- 1945, p. 439. London, 1934 .

٤ - محمد رشيد رضا : خطاب عام ، مجلة المنار ، م١٧ ، جـ ١٢ ، سبتمبر ١٩١٤ ، ص ٩٥٥ . وأيضًا: توفيق على برو : مرجع سابق ، ص ٦٠٩ .

العرب كل النشاط السياسى المعادى للأتراك وتعاطفوا مع إخوانهم المسلمين فى حربهم ضد الحلفاء [١].

وكانت تلك التطورات تعنى فى النهاية أن انجلترا قد أغلقت البحر الأحمر من الشمال ومن الجنوب ، ففى الشمال باحتلال القناة بل ومصر وجزيرة مالطة وقبرص وفى الجنوب بوجودها فى السودان ، وفى عدن وفى إمارة عسير حيث أصدقائها المعادين للأتراك ، واليمن الذى وقف أمامها على الحياد فى الحرب خوفًا من الإنجليز وطمعًا فى الأتراك[٢] .

ولم يكن لتركيا أسطولاً حربيًا فى البحر الأحمر ، غير وجود الجيوش التركية فى اليمن والحجاز وفلسطين ، حتى أنها أصبحت عارية من الحماية البحرية فى الموانى التى تطل على البحر الأحمر أمام الأسطول الإنجليزى [٣].

ومما زاد الأمر سوءاً بالنسبة لتركيا فى البحر الأحمر دخول إيطاليا فى الحرب بجانب الحلفاء انجلترا وفرنسا ، وبما أن إيطاليا تحتل جزءاً من الصومال ، فقد عملت منذ اللحظة الأولى للحرب على تعزيز وجودها فى البحر الأحمر من خلال أسطولها البحرى المرابط أمام الصومال واليمن ، وكان له دور كبير فى مساعدة الأدارسة فى حربهم ضد الأتراك أثناء غزو إيطاليا لطرابلس الغرب [٤].

---

١ - Fo. 371/81562. Intelligence department, War office, Cairo in November, 26, 1914, about proclamed " the Jehad" .

٢ - Arnakis, The near East in the modern times, p. 37, N.Y. 1977. Also : Farnie, op. cit., p. 538 .

٣ - Randolf, The changing patternes of the middle East, p. 71. وأيضًا : جورج أنطونيوس : مرجع سابق ، ص ١٤٣ . وأيضًا : Chmidt : A concise history of the middle East, p. 186, N.Y. 1970. Also : Dejemal Pasha : Memories of Turkish states man 1913 - 1919 , p. 234, N.Y., 1973 .

٤ - لويس شيخو : الشرق ومجرياته فى العام المنصرم ، مجلة المشرق ، ع ١ ، ١٩١٢ ، وأيضًا : Sachar, op. cit., p. 75 .

الفصل الثانى

التغيرات السياسية فى منطقة البحر الأحمر نتيجة لقيام الحرب

رأينا فى الفصل السابق كيف أن دخول تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا والنمسا أدخلها فى صراع لاقبل لها به من الناحية العسكرية والاقتصادية والسياسية ، ومن هنا يتعين إلقاء الضوء على النتائج التى ترتبت على دخول تركيا الحرب وخاصة على شعوب ودول منطقة البحر الأحمر .

دخلت تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا والنمسا أى إلى جانب دول الوسط فى نوفمبر سنة ١٩١٤م ، وأصبح على الحلفاء ضرورة معالجة مصير الدولة العثمانية فى حالة هزيمتها بقسميها الأوربى والآسيوى ، فاتفقوا على استمرار التحالف منعًا للخلاف حول الصلح وتقسيم الممتلكات[١] .

ومهما قيل فى أسباب هذه الحرب ، وما هو دافع المتحاربين إليها ، فإن الغرض الأول منها والمحرك الأساسى ، إنما هو السعى والسيطرة العالمية والتحكم فى مصائر الأمم وصلات أهل البلاد القوية والمستعمرة بأهل البلاد الضعيفة [٢]، ولذلك لم يكن بد من أن تمتد الحرب إلى الشرق الأوسط ، لأن الطبيعة قضت بأن يكون ذلك الإقليم بابًا ينفذ منه الغرب إلى الشرق ، وجسراً تعبر من فوقه القوات المتصارعة على أرضه[٣] ، فكان طبيعيًا أن تحاول ألمانيا النفوذ إلى الشرق عن طريق الدولة العثمانية ، فمهدت لنفسها الوصول إلى بغداد عبر السكك

---

١ - محمد أنيس : مرجع سابق ، ص ٢٧٥ . وأيضًا :

Ibid, Turkey faces West, p. 141 , Also : Votikiotez, The modern history of Egypt, p. 243, London, 1969.

٢ - محمد أنيس : مرجع سابق ، ص ٢٧٦ .

٣ - على حسون : مرجع سابق ، ص ٢٣٧ .

الحديدية ، وكذلك بلاد فارس ، وبعثت بعملائها ، ثم بجيوش حلفائها الأتراك إلى الشام وفلسطين وسيناء وقناة السويس باب مصر الشرقى فى عام ١٩١٥م(١) .

وكان الغرض من ذلك أن تقطع طريق الهند على بريطانيا وأن تمنع الحلفاء فى الوقت ذاته من أن يحاولوا تطويقها بالإلتفاف حول أراضى تركيا أو شق طريقهم والاتصال بالقوات الروسية فى بعض جهات آسيا الغربية ، وكانت بريطانيا قبل ذلك قد تفاهمت مع روسيا من ناحية المبدأ على أن تكون القسطنطينية من نصيب الروس بعد الحرب ، فكان من الطبيعى أن يعقد اتفاق سرى بينهما ، مقابل التحالف المشترك بين الأتراك والألمان (٢)، واستطاعت ألمانيا تثبيت أقدامها فى منطقة المضايق المهمة ، فأدى ذلك إلى دخول تركيا والولايات التابعة لها الحرب وما ترتب على ذلك من نتائج عسكرية واقتصادية وسياسية لها (٣).

وخلال تلك الفترة التى أعقبت دخول تركيا الحرب بجانب ألمانيا ، سعت بعض الزعامات العربية إلى التعاون مع حكومات دول الحلفاء ، وبوجه خاص مع فرنسا وبريطانيا ، ولكن الحكومة العثمانية اكتشفت ذلك الموضوع ووضعت يدها على بعض الوثائق التى تدين وتثبت هذا الاتصال بين تلك الزعامات فى لبنان والشام والقنصلية الفرنسية فى بيروت ودمشق ، الأمر الذى أدى إلى تكوين محكمة عسكرية عليا فى عالية بتوصية من جمال باشا الذى عرف بالسفاح بسبب أحكام الإعدام الكثيرة التى أصدرها ضد تلك الزعامات . وكذلك بسبب المجاعة القاتلة التى أصابت أهل لبنان ، وأماتت المئات منهم نتيجة للحصار الذى ضربته قطع الأسطول البريطانى على سواحل الشام (٥).

ورغم تلك الكوارث التى بدأت تحيق بالأتراك والولايات العربية التابعة لهم فعليًا واسميًا ، فإن المسئولين الأتراك نشروا بين الأتراك والعرب أن انتصار ألمانيا فى هذه الحرب أمر مفروغ

---

١ – سليمان حزين : مرجع سابق ، ص ٥٨٧ .

٢ – Djemal Pasha, Memories of a Turkish state man 1913 - 1919, p. 198 - 199 .

٣ – توفيق على برو : مرجع سابق ، ص ٦١٢ .

٤ – أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين ، المطبعة العلمية ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص ١٣٤ . وأيضًا : وحيد علم الدين : مرجع سابق ، ص ١٣ .

٥ – Djemal Pasha, op. cit., p. 235. Also : Chirol, The Turkish empire from 1914 - 1924, p. 190 وأيضًا : عبد العزيز نوار : وثائق أساسية من تاريخ لبنان الحديث ، مطبعة جامعة بيروت العربية ، بيروت ، ص ٥٠٦ .

منه ، وأن الضامن الوحيد لسلامة الدولة العثمانية هو أن تضع يدها فى يد ألمانيا والنمسا فتتقى بذلك خطر الروس على بلادها ، وأن انحياز الدولة إلى جانب دول الوسط فيه كل الخير لتركيا ، إذ يعيد إليها القطر المصرى ، ويجذب إليها الهند التى سرعان ما تنفض الاستعمار الإنجليزى عن عاتقها وتسير فى ركاب تركيا لتعزيز قوة الجامعة الإسلامية(١) .

ويترتب على ذلك أن تخرج تركيا من الحرب وهى أعظم دولة فى الشرق ، كما تخرج حليفتها ألمانيا وهى أعظم دولة فى أوربا ، وهكذا يتيسر للدولتين أن تفرضا إرادتهما على العالم ، وبذلك يتسنى لتركيا بعد ذلك أن تستعيد جميع ما سلخ منها من الأراضى وتخضع الشعوب غير التركية إلى سيطرتها بحيث لاتحرك ساكنًا بعد ذلك(٢) ، ولاتفتح فمها بطلب الإصلاح الذى يكون بإمكان الدولة أن تفرضه حسبما تشاء ، فيبقى الجيش التركى هو السيد المطاع فى جميع أنحاء السلطنة (٣).

وعلى هذا الأساس يجب أن نأخذ كل قطر من أقطار الشرق العربى ، وما صاحب ذلك من المتغيرات الجانبية سواء فى الأقطار التابعة لتركيا فعلاً أو الأقطار التابعة لها إسميًا ومحتلة بواسطة فرنسا وانجلترا .

وأول حلقة فى تلك الأقطار هى مصر لما لها من ثقل بشرى واقتصادى وعسكرى وفى نفس الوقت تحكمها فى مدخل البحر الأحمر من الشمال بواسطة قناة السويس وشواطئها الشرقية التى تطل على البحر الأحمر ، وامتداد تلك الشواطئ إلى السودان ، بإمكانياته البشرية والاقتصادية وموانيه التى تطل على البحر الأحمر وباب المندب .

اتخذت انجلترا من وجود قواتها فى مصر - ومن نذر الحرب العالمية الأولى فى صيف عام ١٩١٤م - سبيلاً إلى إصدار قرارات وإجراءات وتدابير ترتب عليها إخراج مصر عما ينبغى لها من الحياد ، إذ أن الدولة العثمانية صاحبة السيادة عليها لم تكن قد أعلنت موقفها بعد ، فضلاً عما يؤدى إليه ذلك من تعريض مصر لويلات الحرب ، بل أنها همت بضم مصر إلى الممتلكات البريطانية ، ثم اضطرت إلى العدول عن هذا القرار وقنعت بإعلان الحماية(٤) .

---

١ - Stewart : The middle Est temple of Janus, p. 143, University , Oxford press, London, 1960 .

٢ - جورج انطونيوس : مرجع سابق ، ص ١٤٢ .

٣ - Sahar the emergence of the middle East, 1914-1924, p. 158, University Campridge press, London, 1975.

٢ - عبد العزيز الشناوى ، جلال يحيى : وثيقة رقم ٢٥ ، مرجع سابق ، ص ٧١٥ .

ولكن بمجرد دخول انجلترا الحرب ضد ألمانيا ، انعقد مجلس النظار المصرى برئاسة حسين رشدى باشا - نائب الخديوى - وأصدر فى ١٥ أغسطس - أى بعد ٢٤ ساعة من إعلان الحرب - قراراً يقضى بمنع أى نوع من الاتصال أو الاتفاق مع الحكومات التى تقف فى الحرب ضد بريطانيا ، كذلك نصت مادة فى نفس القرار على أن القوات البحرية والحربية التابعة لبريطانيا لها الحق فى مباشرة حقوق الحرب فى الموانئ المصرية وفى أرض القطر المصرى كله[١] ، ولهم الحق كذلك فى مصادرة تجارة وسفن الأعداء وإحالتها إلى محكمة الغنائم البريطانية [٢].

كما أوضحت مادة أخرى فى نفس القرار على إنشاء محكمة الغنائم فى الأسكندرية فى ٣ سبتمبر سنة ١٩١٥ للنظر فى قضايا الغنائم التى تغنمها القوات البريطانية من العدو[٣] ، وقدمت لهذه المحكمة عدة قضايا خاصة بسفن تجارية ألمانية ونمساوية كانت ترابط ببورسعيد منذ بداية الحرب ورفضت مغادرة الميناء خشية القبض عليها من السفن البريطانية[٤] ، التى كانت تسيطر على البحر الأبيض المتوسط[٥] .

ولكن لما طالت إقامة هذه السفن أصدرت الحكومة المصرية أوامرها بإيعاز من انجلترا بضرورة مغادرة هذه السفن الميناء فوراً ودون إبطاء وعلى بعد ثلاثة أيام من ميناء بورسعيد قبضت عليها السفن الحربية البريطانية التى كانت واقفة لها بالمرصاد واقتادتها إلى الإسكندرية لتقديمها إلى محكمة الغنائم[٦] ، وكانت النتيجة باتباع هذه الإجراءات عدم محاولة السفن المعادية المرور فى القناة بعد ذلك[٧] .

---

١ - محمد حسنين هيكل : ٥٠ عام على ثورة ١٩١٩ ، إصدار مركز الوثائق والبحوث التاريخية لمصر المعاصرة ، مطابع جريدة الأهرام ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٤٣ .

٢ - حسن الخولى : مرجع سابق ، ص ١٢٩ . وأيضًا : عبد الرحمن برج : مرجع سابق ، ص ٣٥ . وأيضًا: كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة أمين نبيه فارس ، منير بعلبكى ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٧٢١ .

٣ - جلال يحيى : العالم العربى الحديث ، مرجع سابق ، ص ٥١٤ . انظر أيضًا : محمد حسنين هيكل : مرجع سابق ، ص ٤٣ .

٤ - الأهرام : قرار وزارى عظيم الشأن - رئاسة مجلس النظار ، ٧ أغسطس ١٩١٤ .

٥ - Votikiotes, The modern history of Egypt, p.244, Univ. Oxford press, London, 1069.

٦ - جلال يحيى : العالم العربى الحديث : مرجع سابق ، ص ٥١٤ . وأيضًا : عبد الرحمن برج : مرجع سابق ، ص ٣٦ .

٧ - الوقائع المصرية ، عدد غير اعتيادى بتاريخ ١٩ ديسمبر ١٩١٤ .

أما قناة السويس عصب المواصلات العالمية والإمبراطورية ، فقد فرضت بريطانيا رقابة دقيقة وصارمة عليها ، فمنعت الدخول إلى مناطقها المختلفة سواء للمصريين ، أو للأجانب المقيمين فى مصر ، إلا إذا كان يحمل تصريحًا خاصًا بذلك من السلطات العسكرية البريطانية[١] ، أما شركة قناة السويس فقد أعلنت منذ بداية الحرب وقبل دخول تركيا فيها ، أنها ستطبق مبدأ الحياد التام فى معاملة السفن التى تمر بها . وفى ٣ أغسطس ١٩١٤ ، أعلن رئيس الشركة فى جلسة لمجلس إدارتها أن واجب الشركة الأهم هو أن تعلن وتحمى بوسائلها المتاحة حرية العبور فى قناة السويس وهو واجب عليها ، وقد صدرت فعلاً تلك التعليمات إلى الإدارة فى مصر لتنفيذها[٢] .

كان هذا موقف شركة القناة قبل إعلان الحرب بين كل من انجلترا وتركيا ، ولكن منذ بداية الحرب بين الدولتين وضعت شركة القناة نفسها تحت تصرف القوات البريطانية ، وأصبح للقوات البريطانية الحق فى التصرف فى مخازن الشركة وفى خطوطها الهاتفية والبرقية ، وكذلك منشئات الشركة فى منطقة القناة ، ونتيجة لذلك تولت القوات البريطانية تفتيش السفن قبل دخولها القناة ووضعت حراسة على السفن غير المعروفة للشركة حتى يتم عبورها للقناة ، وألزمت بريطانيا الشركة بإعفاء كل السفن التابعة لها والقائمة بأعمال الدفاع فى منطقة القناة من رسوم المرور [٣] على الرغم من أن انجلترا تعهدت لتركيا فى أغسطس ١٩١٤ بعد إحداث أى تغيير فى نظام مصر السياسى طالما التزمت تركيا الحياد ، إلا أنها عادت بعد قليل - وتركيا لم تدخل الحرب بعد - تعد لإنهاء السيادة التركية على مصر ، ووضعت مصر تحت الحماية البريطانية[٤] ، ونرى ذلك فى برقية أرسلها إدوارد جراى وزير الخارجية البريطانية إلى القائم بأعمال المعتمد البريطانى فى ٢٧ سبتمبر ١٩١٤ تكشف أن بريطانيا قررت إنهاء السيادة التركية على مصر وخلع الخديوى عباس الثانى ، وتعيين الأمير حسين كامل ابن الخديوى اسماعيل سلطانًا على مصر [٥].

---

١ - Elgood, Egypt and the Army, p. 17, Edited by Hamphery milford University Oxford, London. 1924.

٢ - Farnie, East and West, p. 548 . وأيضًا : جلال يحيى : العالم العربى الحديث : مرجع سابق ، ص ٥١٤ . وأيضًا : عبد الرحمن برج : مرجع سابق ، ص ٤١ .

٣ - جمال زكريا : موقف مصر من الحرب الطرابلسية ١٩١١ - ١٩١٤ ، المجلة التاريخية المصرية ، مجلد ١٧ ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٣٢٣ . وأيضًا : عبد الرحمن برج : مرجع سابق ، ص ٤١ .

٤ - محمد حسنين هيكل : مرجع سابق ، ص ٤٦ .

٥ - محمود زايد : مرجع سابق ، ص ٩٢ .

وقد أرسلت بريطانيا إلى حلفائها فرنسا وروسيا بذلك ولم تمانع كل منهما فى اتخاذ بريطانيا لهذا الإجراء من جانبها ، ولكن فرنسا فى نفس الوقت انتهزت الفرصة وذكرت بريطانيا بأنها لم تعترف بعد بالحماية الفرنسية على مراكش [١].

وبعد ذلك بأيام ، أى فى ٢٨ أكتوبر ١٩١٤ ، بعث مستر ستينهام إلى لندن يقول إنه علم من مصدر ثقة أن الخديوى عباس ضالع فى نشاط معادى لهم ، ومع الألمان ، وأنه قد يرافق الحملة التركية القادمة لغزو مصر ، مما قد يؤثر على ولاء بعض الضباط المصريين وأن تعيين خديوى على مصر مما يكفل مواجهة الموقف ، وأن من الخير ألاّ يعود عباس إلى مصر ، وأنه يعتقد أن الوزراء المصريين يقرون هذا الرأى [٢].

وكان أن فاتح ستينهام الأمير حسين فى قبول المنصب ، ولكن الأمير ألح فى ضرورة منح مصر استقلالها كبديل لإنهاء السيادة العثمانية عليها ، وكذلك فإن قيام حالة الحرب ضد الخليفة العثمانى خليفة المسلمين سوف تثير المصريين إلى درجة كبيرة إذ هم يدينون بالولاء له، ثم قال الأمير إنه لايستطيع قبول المنصب إلا إذا اقترن بوعد من انجلترا بمنح مصر استقلالها ذاتيًا وتعويضًا عن قطع علاقاتها بتركيا [٣].

وفى أول نوفمبر ١٩١٤ قابل ستينهام رشدى باشا الذى أكد له أن إعلان الحماية قد يؤدى إلى قيام ثورة فى البلاد ، وأنه لايتحمل أية مسئولية قد تنجم عن هذا الأجراء ، وأمام تلويح الأمير حسين بعدم قبول المنصب وتهديد رشدى باشا بالاستقالة ، اقترح ستينهام على حكومته فى لندن التريث قليلاً فى إعلان الحماية والاكتفاء بإعلان الأحكام العرفية بدلاً منها ، ووافقه على ذلك القائد العام للقوات البريطانية فى مصر كما يتضح من البرقيات المرسلة من مستر ستينهام لسير إداورد جراى فى ١ نوفمبر ١٩١٤ والتى تتضمن أنه قد أجرى عدة مقابلات مع الأمير حسين الذى شرح وجهة نظره بأنه لايستطيع قبول منصب الخديوية بدون وعد مصر بمنح الاستقلال تحت السيادة البريطانية ، وأنه فى حالة الرفض لمقترحاته فإن مشاعر المصريين ستثور ضده وضدهم بدخول الحرب ضد تركيا والخليفة [٤].

---

١ - Fo. 371/1971/Telegram from Sir E. Graiy to Mr, Chectham Foreign office, Octobur 15th , No. 771, London .

٢ - محمد حسنين هيكل : مرجع سابق ، ص ٤٨ .

٣ - Votikiates, op. cit., p. 243 .

٤ - Fo. 371/1971/ Telegram from Mr. Cheetham, Cairo, Nov. 1st., No. 65228, 1914 .

وأيضًا : عبد الخالق لاشين : مرجع سابق ، ص ٥٧ .

كذلك ذكر شيتهام فى رسالته أيضًا أن الأمير حسين والوصى على العرش متأثران ولاشك بالخوف من الخطر الذى قد ينجم فيما لو لم تنتصر انجلترا فى الحرب ، وبالرغم من اعتقاده بأنهما لايتصرفان بتنسيق بينهما ، فإنهما متفقان بالنسبة لفكرة ضرورة إعطاء مصر نوعًا من الحكم (كتعويض) مقابل انفصالها عن تركيا ، وتحسبًا للنتائج فقد اتخذ من الإجراءات الخاصة بالأمن ما يمنع حدوث أعمال شغب سافرة من جانب الأتراك والوطنيين (١).

وفى نوفمبر ١٩١٤ صدر أمر قائد جيش الاحتلال بمراقبة الصحف فيما تكتبه عن الحرب قبل طبعها(٢) ، ولم تكن هذه المراقبة موجودة حتى ذلك التاريخ ، فأصبحت الصحف تصدر فى المقالة الواحدة منها سطر أو عدة أسطر محذوفة وكأنها أبيض أو يتخلل السطر كلمات محذوفة ومكانها فارغ (٣).

كما كانت تحذف مقالات بكاملها وتبقى الأنهر خالية من الكتابة ، وقد صدر الأمر من قائد جيش الاحتلال لا من الحكومة ولم تكن البلاد قد وضعت بعد تحت الأحكام العرفية ، وعقب عيد الأضحى مباشرة فى ٣ نوفمبر ١٩١٤ صدر الإعلان فى الجريدة الرسمية ونشر فى الجرائد اليومية ، وعلق على الجدران فى الجهات الظاهرة للعيان فى جميع أنحاء القطر المصرى(٤).

وقد جاء فى هذا الإعلان أن حكومة جلالة ملك بريطانيا قد أمرت بمراقبة القطر المصرى ، كما تضمن فى نفس الوقت حمايته ، ولذلك وضع القطر المصرى تحت الحماية والحكم العسكرى ابتداء من ٢ نوفمبر سنة ١٩١٤ ، علاوة على ذلك فقد صدر إعلان آخر من قائد الجيوش البريطانية فى مصر فى ٥ نوفمبر سنة ١٩١٤ بقطع العلاقات مع تركيا لأن بريطانيا وتركيا أصبحا فى حالة حرب (٥).

---

١ - Fo. 371/1971/ Telegram from Mr. Cheetham, Cairo, Nov. 1st., No. 65223, 1914 .

٢ - الوقائع المصرية ، عدد ٣ نوفمبر ١٩١٤ (عدد غير اعتيادى) ، وأيضًا : عبد العزيز الرفاعى : ثورة مصر ١٩١٩ ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٤١ . وأيضًا : عبد الخالق لاشين : مرجع سابق ، ص ٥٦ .

٣ - الوقائع المصرية ، عدد ٣ نوفمبر ١٩١٤ (إعلان بإعلان الأحكام العرفية فى مصر) وأيضًا : Lutsky, A modern history of the Arab Countries, p. 377, U.S.S.R Mosco, 1970 .

٤ - الوقائع المصرية ، عدد ٧ نوفمبر ١٩١٤ (إعلان بقطع العلاقات بين انجلترا والدولة العَليّة) .

٥ - Newman, Creat Britain in Egypt, p. 208, University Campridge press, London , 1928 .

وكان القائد العام للقوات الإنجليزية قد منح المستشار الإنجليزى فى وزارة الداخلية صلاحيات عسكرية كاملة وأعطى له حق القبض والاعتقال ، فأخذ فى القبض على طائفة من الأتراك والمصريين الوطنيين لمواجهة احتمال نشوب ثورة داخلية [١].

لم تكتفْ الحكومة البريطانية بهذه الإجراءات التى اتخذتها على الرغم أنها كانت تعلم بسعى الزعماء المصريين لإصدار وعد من الحكومة البريطانية باستقلال مصر إلى حد أنها فكرت فى ضم مصر نهائيًا إلى الإمبراطورية البريطانية[٢] ، فقبل مضى أسبوعين على النقاش الذى جرى بين ممثلها فى مصر من جانب والأمير حسين كامل وحسين رشدى من جانب آخر ثبتت فكرة فى مقر وزارة الخارجية بضم مصر إلى الممتلكات البريطانية ، وأرسلت برقية إلى القائم بالأعمال البريطانى فى القاهرة لاستطلاع رأيه فى هذا الموضوع[٣] .

وقد رد عليه القائم بالأعمال البريطانى ، بأنه قد أخذ رأى المستشارين فى فكرة الضم هذه وانتهى إلى طلب " هو أن تزوده وزارة الخارجية فى لندن بمزيد من المعلومات المحددة عن شكل الحكومة التى ستعقب عملية الضم ، فإذا كان ذلك يشمل كما افترض هو وزملاؤه ، إحلال حاكم بريطانى عام محل الإدارات المصرية القائمة التى يمثلها الخديوى ووزارة مصرية تتولى الحكم باسمه ، فإن ذلك التغيير سيكون أكبر بكثير من أى شئ قدرناه ، وستتطلب الآثار التى ستترتب على ذلك ، أن تكون موضع بحث واعتبار دقيق جداً " ، وفى الوقت نفسه اتصلت الحكومة البريطانية بحليفتيها فرنسا وروسيا تحاول إقناعهما بفكرة ضم مصر إلى الممتلكات البريطانية [٤].

وفى ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ أرسل القائم بالأعمال البريطانى تبليغًا للسلطان حسين كامل يعد بمثابة دستور أول لنظام الحماية ، جاء فيه (أن لدى حكومة جلالة الملك أدلة وافرة على أن سمو الأمير عباس حلمى خديوى مصر السابق قد انضم انضمامًا قطعيًا إلى أعداء جلالته

---

١ - محمد حسنين هيكل : مرجع سابق ، ص ٥٦ .

٢ - عبد الخالق لاشين : مرجع سابق ، ص ٤٦ .

٣ - F.O. 371/1971/71046, Telegram from Mr. Cheetham, Cairo, November 14, 1914, No. 266 .

٤ - F.O. 371/1971/71046, Telegram from Mr. Cheetham, ,Cairo, Foreing office, November 15, 1914, No. 344c60836 .

منذ نشوب الحرب بألمانيا ، وبذلك تكون الحقوق التى كانت لسلطان تركيا وللخديوى السابق على البلاد المصرية قد سقطت عنهما وآلت إلى جلالته) [١].

وكان السير إدوارد جراى قد أرسل فى ١٧ نوفمبر سنة ١٩١٤ إلى حكومتى فرنسا وروسيا بمذكرة تفصيلية عن الأسباب التى حدت بالحكومة البريطانية إلى التفكير فى الضم ، وفى ختام المذكرة الموجهة إلى فرنسا أضاف جراى أن انجلترا مستعدة للتنازل عما لها فى مراكش مقابل أن تتنازل فرنسا عما لها فى مصر ، ومضت الحكومة البريطانية فى تنفيذ فكرتها فلم يجئ يوم ١٩ نوفمبر إلا وكانت وزارة الخارجية البريطانية قد أعدت مشروع الضم[٢].

وقد جاء مشروع الضم هذا متضمنًا أن لنشوب الحرب بين بريطانيا وتركيا وبما أن تركيا صاحبة السيادة على مصر ، وأن انجلترا تحتل مصر منذ سنين وبما أنها مسئولة عن حماية وأمن الشعب المصرى ، فقد قامت بريطانيا بإلغاء السيادة العثمانية إلغاءً تامًا واعتبار مصر منذ ذلك التاريخ جزء من ممتلكات صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى [٣].

وتعاقبت الأحداث بعد ذلك حاملة ردود فعل الحلفاء - روسيا وفرنسا - على قرار ضم مصر لممتلكات انجلترا . وقد أرسل سفير انجلترا بروسيا من بتروجراد موافقة حكومة روسيا على هذا المشروع بدون معارضة مقابل موافقة انجلترا على طلبات روسيا فى مضايق البسفور والدردنيل بعد انتهاء الحرب [٤].

أما موقف فرنسا فقد كانت هى الدولة الوحيدة التى أبدت تحفظًا ، فقد ذكرت حكومتها أن الشعب الفرنسى يبدى عدم ارتياحه لضم مصر إلى الممتلكات البريطانية مقترحة أن تؤجل هذه المسألة والمسائل المشابهة إلى مابعد الحرب ، وإزاء هذا الموقف من الحليفتين اضطرت

---

١ - الوقائع المصرية ، عدد ١٨ ديسمبر ١٩١٤ . وأيضًا : ٥٠ عامًا على ثورة ١٩١٩ . وأيضًا : عبد الرحمن برج : مرجع سابق ، ص ٤٠ ، وأيضًا : .Mansfield, op. cir., p. 209 .

٢ - محمد حسنين هيكل : مرجع سابق ، ص ٦١ . وأيضًا : عبد الرحمن برج : مرجع سابق ، ص ٣٩ .

٣ - F.O. 371/72691. Order in the council at the court of Buckingham palace, 19 November, 1914 .

٤ - F.O. 371/662, Telegram from Petrograd to Foreign office, London, 18 November, 1914 .

انجلترا إلى أن تطوى مشروعاتها مؤقتًا مكتفية فى الوقت الحاضر بوضع مصر تحت الحماية البريطانية ، وجاء اعتراض فرنسا سببًا فى وقفه نهائيًا [١].

وكان أن صدر بلاغ من المندوب السامى البريطانى بتفاصيل إجراءات الحماية الريطانية على مصر [٢] ، وتضمن هذا البلاغ أن الحماية من قبل بريطانيا فرضت على جميع أنحاء القطر المصرى ، وأنه منذ الآن فصاعداً أصبحت البلاد جميعها مشمولة بالحماية البريطانية بسبب دخول تركيا الحرب ضد بريطانيا العظمى [٣].

وهكذا أعلت الحماية البريطانية على مصر وهو التغيير الخطير الذى أدخلته انجلترا على وضع مصر الدولى ، بفصل مصر عن السيادة العثمانية ووضعها تحت الحماية البريطانية ، انتهى دون أن يتمكن السلطان الجديد حسين كامل أو الوزارة المصرية من نيل أى وعد من جانب الحكومة البريطانية بشأن مستقبل مصر السياسى [٤]، وكل ما صرح به السلطان حسين كامل فى ظروف الحرب فى بيانه الذى أعلن فيه قبوله للعرش ويدور حول ثلاث مسائل رئيسية وهى حرصه على حفظ الملك فى أسرة محمد على ، وزيادة أعداد المصريين فى حكم بلادهم ، وأمله مستقبلاً فى تحديد مركز الحكومة البريطانية فى مصر تحديداً واضحًا [٥].

ووصفت الصحف الإنجليزية الصادرة فى تلك الفترة مثل المانشستر جارديان هذا الإجراء بأنه بمثابة ضم مصر إلى الممتلكات البريطانية[٦] ، أما جريدة التيمس اللندنية فقد نشرت الخبر يوم ١٩ ديسمبر ١٩١٤ بعنوان (مصر تحت العلم البريطانى) ثم راحت فى افتتاحية ذلك اليوم تقول (إن المطلوب الآن هو حماية مصر ضد أى اعتداء ، والمحافظة على حسن سير الإدارة الحكومية فيها ، وماعدا ذلك من الأمور يمكن بحثه فيما بعد) ، أى بعد إعادة السلام[٧].

---

١ – F.O. 371/73115, Telegram for Sir. F. Brtie (Bordeux) to Sir. E. Graiy, 20 Novembr, 1914. Also :

Lloyd, Egypt since Cromer, Vol.1. pp. 166. Edited by Macmillan press, London, 1933 .

٢ – عبد العزيز الشناوى ، جلال يحيى : مرجع سابق ، وثيقة رقم (٢٥) ، ص ٥١٧ .

٣ – F.O. 371/11973, Telegram from foreign office, London, Cairo, 17th December, 1914, No. 84145.

٤ – محمد حسنين هيكل : مرجع سابق ، ص ٧٧ . وأيضًا : عبد الخالف لاشين : مرجع سابق ، ص ٣٠.

٥ – عبد العزيز الرفاعى : مرجع سابق ، ص ٤٣ .

٦ – Newman, Great Britain in Egypt, p. 205 .

٧ – F.O. 371/1973, Telegram from foreign office, London to Cairo, 17 December, 1914

هذا ماذكره اللورد كرومر فى خطابه المنشور بالجريدة فى ذلك اليوم . ثم قالت الجريدة إن إعلان الحماية خطوة إدارية من الناحية العملية ، قضى بها دخول تركيا الحرب [١].

مع هذا التغيير اضطرت بريطانيا إلى بذل مجهود خاص فى مصر ظهر فى ناحيتين ، الناحية الأولى تدعيم نفوذ السلطان المصرى الجديد ، والثانية القضاء على كل نشاط للعناصر الوطنية المخلصة [٢]، كما كان تغيير لقب الخديوى إلى لقب سلطان أول ترقية حصل عليها أمير البلاد ، ويلى ذلك تغيير ألقاب رئيس الوزاره والوزراء وإنشاء عدد جديد من الرتب والنياشين، وتلك كانت محاولة لإعطاء هالة حول تلك المجموعة الجديدة من الرجال التى بدأت تحكم مصر لحساب بريطانيا [٣].

أما العناصر الوطنية فقد ذاقت الأمرين فى هذا الموضوع ، وعند كل حركة من حركتها سواء كان ذلك بدعوى احتجاجها على إعلان الحماية على البلاد أو بدعوى إقدامها على محاولات فاشلة لاغتيال السلطان حسين كامل ، وحتى الطلبة الذين تغيبوا عن الحضور لمدرسة الحقوق يوم حضور السلطان إليها ، حكم عليهم بالفصل والحرمان من دخول الامتحان لمدة عامين متواليين[٤] .

وكان هذا الجو بما يحمله من هالة وهّاجة كاذبة حول السلطان ووزرائه ، ومن صرامة وتعنت مع العناصر الوطنية ، يدل على أن الوضعية الدولية لمصر قد تغيرت ، وبالتالى تغيرت معها الوضعية القانونية [٥]، وتغيرت كذلك صلة الفرد بالحاكم ، أما الجمعية التشريعية فقد أجل اجتماعها من دور إلى دور آخر ومن سنة إلى أخرى ، ثم إلى أجل غير مسمى حتى تنتهى الحرب ، وهكذا استفادت بريطانيا من هذه التغيرات واستغلتها فى عملياتها السياسية والحربية فى منطقة الشرق [٦].

---

١ - London Gazette, Declaration of a protector ate over Egypt in 18 December, 1914.

٢ - جرجى زيدان : القوميسيرية العثمانية فى مصر ، مجلة الهلال ، جـ ٣ ، ديسمبر سنة ١٩١٤ . وأيضًا : فؤاد كرم : النظارات والوزارات المصرية ، جـ ١ ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ١٩٦٩ ، ص ٢٢ .

٣ - جلال يحيى : العالم العربى الحديث : مرجع سابق ، ص ٥١٦ . وأيضًا : Newman, op. cit.,p. 207. Also : Mansfield, op. cit., p. 214 .

٤ - F.O. 407/183, No. 56, Cheetham to Graiy, November 23, 1914, Tel. No. 283 .

٥ - عبد الخالق لاشين : مرجع سابق ، ص ٣٤ .

٦ - جلال يحيى : العالم العربى الحديث ، مرجع سابق ، ص ٥١٦ .

وتحت وطأة الحرب وبسبب غموض تحديد الحماية ، أصبح المستشارون البريطانيون فى الواقع يمثلون هيئة الوزارة ، كما أصبح المستشار المالى الذى كان يتمتع طيلة فترة الاحتلال بنفوذ خاص ، رئيسًا للوزراء(١) . ومع هذه الأحداث وتلك التغييرات فرضت انجلترا على مصر أن تواجه أحداث الحرب الكبرى وهى متجردة من كل سلطة أو مؤسسة حقيقية خشى خطرها على الاحتلال (٢).

وبعد عزل الخديوى المناوئ لبريطانيا ، وإحلال السلطان مكانه أصبح الوضع الجديد لايشعر إلا بقوة الحراب البريطانية ، وتحول مجلس الوزراء إلى مجرد هيئة استشارية بل ربما إلى دمى فى أيدى المستشارين البريطانيين ، وقد تم ترحيل الجيش إلى السودان خشية اندلاع ثورة هناك بفعل الدعاية والنشاطات الألمانية التركية ، وكممت الأفواه والأقلام نتيجة لفرض الأحكام العرفية ومراقبة الصحف (٣).

وفى ١٩ أكتوبر سنة ١٩١٧ ، توفى السلطان حسين كامل بعد أن ساءت صحته منذ زمن طويل ، وشعرت بريطانيا أنها خسرت بوفاته سندها الرئيسى فى البلاط ، فبدا لها أن تضم مصر إلى إمبراطوريتها ، وخاصة بعد أن تخلى ابن السلطان تخليًا صريحًا عن حقه فى العرش(٤) ، ولكن الإنجليز قرروا فى آخر الأمر أن يختاروا سبيلاً أكثر حصانة فداروا حول عواطف المصريين وأسندوا الأمر إلى الأمير أحمد فؤاد شقيق السلطان على الرغم من أنه كان يعيش فى إيطاليا معظم الوقت وكان قد أصبح غريبًا عن البلاد أو يكاد(٥) .

---

١ - F.O. 407/183, No. 16,From Cheetham to Graiy, Oct.12, 1914, Tel. No. 147, secret, Also :
Wingate, Wingateof the Sudan, p. 207, Also :
Newman, op. cit., p. 206 .

٢ - عبد الخالق لاشين : مرجع سابق ، ص ٣٤ . وأيضًا :
Lutsky, op. cit., p. 382 .

٣ - جرجى زيدان : مصر والحرب ، مجلة الهلال السنة ٢٣ ، جـ ١ ، أكتوبر ١٩١٤ .

٤ - Holt. Egypt and th Fertile Crecsent 1516 - 1922, p. 353. University Oxford press, Londson, 1965. Also :
Lord Lloyd, op. cit., p. 101, Also : Newman, op. cit., p. 206, 207 .

٥ - Lord Lloyd, op. cit., p. 244. Also :Wingate, opp. cit., p. 220 . Also : Lutsky, op. cit., p. 378 .
وأيضًا : كارل بروكلمان : مرجع سابق ، ص ٧٢٢ .

وكان السلطان حسين قبل وفاته ومعه الوزراء قد أخذوا يلحون في تحديد معنى الحماية والعودة إلى حكم الاستقلال الذاتي الذى وعدت انجلترا به مصر منذ عام ١٨٨٣م[١]، ووضح لبريطانيا أن مجرى الحرب أضفى الكثير من الأهمية على مصر كحلقة اتصال هامة فى النظام الإمبراطورى ، وأن التصفية المتوقعة للدولة العثمانية سوف تفتح المجال أمام الدول الكبرى للحصول على حطام الإمبراطورية العثمانية فى آسيا على الرغم من سلسلة الاتفاقيات وهى المعاهدات السرية التى وقعتها خلال هذه الفترة [٢].

كل هذه الأحداث المتلاحقة كان لها تأثير كبير على قرارات بريطانيا بالنسبة إلى مصر ، وكذلك بالنسبة إلى الجبهة الداخلية فى مصر إذ أن فشل حملة الحلفاء فى الدردنيل والتهديد التركى بغزو مصر من جديد سواء من الشرق عبر قناة السويس أو من الغرب بواسطة السنوسى المتحالف مع الأتراك ، كل ذلك وغيره شجع المصريين على التعبير عن سخطهم على انجلترا وعلى السلطات المصرية المتعاونة معها وهى وزارة رشدى باشا [٣].

وهذا الاحتجاج لم يقتصر على الكلمات فقط وإنما تعداه إلى الفعل ، إذ دبرت العناصر الوطنية محاولة لقلب قطار الصعيد عند إحدى قرى المنيا ، وأكثر من هذا فقد تم ضبط مؤامرة قام بها فريق من أهالى المنصورة ، كانوا قد عقدوا النية على مساعدة الأتراك عند دخولهم إلى مصر بإحداث شغب فيها سواء عند دخولهم من الشرق أو الغرب ، وذلك بتحريض الناس على الثورة وتحطيم الطرق والكبارى لإعاقة تحركات القوات البريطانية وتعطيلها عن العمل[٤] .

ويبدو أن انجلترا واجهت الكثير من الظروف الصعبة سواء الداخلية فى مصر أو الخارجية فى ميادين القتال . مثل مرض السلطان قبل وفاته أو مطالب المصريين ، أو الظروف الحربية ذاتها مما جعل بريطانيا تعود إلى التفكير فى تثبيت مركزها فى مصر بشكل أو بآخر ، كما

---

١ - عبد الخالق لاشين ، مرجع سابق ، ص ٣١ .

٢ - نفس المرجع السابق ، ص ٨٥ . وأيضًا جورج أنطونيوس : مرجع سابق ، ص ٢٦٣ ، وأيضًا : Holt, op. cit,. p. 341 .

٣ - عبد الرحمن الرافعى : ثورة ١٩١٩ ، جـ ١ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٦ ، ص ص ٣٦ - ٣٨ . وأيضًا : عبد الخالق لاشين : مرجع سابق ، ص ٦٩ . وأيضًا : Votikiotis, op. cit., p. 246 .

٤ - مذكرات سعد زغلول ، كراس رقم ٢٥ ، ص ص ١٢٠٥ - ١٣٣٤ . وأيضًا : جريدة المقطم : عدد ١٦ سبتمبر ١٩١٥ ، وأيضًا عبد الخالق لاشين : مرجع سابق ، ص ٦٩ .

يتبين لنا من الوثائق البريطانية [١]، غير أنها اتجهت هذه المرة إلى تدعيم الأجهزة الخاصة بالداخلية التى تجعل سيطرة الإنجليز على مقدرات البلاد الاقتصادية والعسكرية كاملة[٢] .

لذلك كان موقف سلطات الاحتلال إزاء اندفاع الوطنيين ضد الاحتلال لخدمة دولة الخلافة الإسلامية كان ينطوى على الكثير من الحرص ، فالإنجليز كانوا يعملون على عدم التعرض للمسألة الدينية ، لما يؤدى ذلك من مساس بوضع بريطانيا ليس لدى مصر فحسب ، وإنما فى بقية مستعمراتها الإسلامية الأخرى ، ولكن السياسة البريطانية مع ذلك لم تذهب فى التأييد إلى أبعد من ذلك ، فهى تقاوم الحركات الفعلية التى قد تؤثر على مركزها مقاومة مستترة حتى لايثور الشعب عليها [٣].

ولقد أثر إعلان الحماية على الوضعية الدولية والقانونية لمصر ، كما أثر على سير العمليات الحربية فى الشرق الأدنى والذى ساعد بريطانيا على استغلال قواعدها فى المنطقة واستغلال إمكانيات مصر حتى وصلت إلى النصر مع حلفائها . لقد كان عمل بريطانيا فى مصر وموقفها فى كل العالم العربى يحمل معنى التناقض مما دفع العناصر الوطنية عند نهاية الحرب إلى أن تنزل إلى المعركة من جديد بثورة عارمة [٤].

وهكذا نرى من الصفحات السابقة أن انجلترا استفادت من موقفها فى مصر ومن احتلالها لهذا البلد صاحب الموقع الجغرافى الممتاز ، بأن ضمنت سلامة مواصلاتها الإمبراطورية . وكما أن غلق قناة السويس والتحكم فيها أثناء مرور السفن ، من المدخل الشمالى للبحر الأحمر واستغلال موارد مصر البشرية والاقتصادية والعسكرية فى الحرب ، أدى إلى تحقيق أغراضها وكان لفصل مصر عن تركيا وقطع كل العلاقات بينهما ، أن أصبحت لها اليد الطولى فى مصر بلا منازع فى السيادة عليها بعد أن ضمنت موافقة روسيا وفرنسا على تلك الحماية .

---

١ - F.O.407/183, No. 110 & 111 in 23/7/1917, See Also : Lloyd, op. cit., 284 .

٢ - F.O.407/183, No. 4, from Cheetham to Graiy, Sept. 10, 1914, No. 140 .

٣ - F.O.407/183, No. 29, Cheetham to Graiy, Oct. 30, 1914, No. 232 .

٤ - جلال يحيى : العالم العربى الحديث : مرجع سابق ، ص ٥١٣ . وأيضًا :

Elgood, op. cit., pp. 86 - 87 . Also : Lutsky, op. cit., p. 379. Also : REichmond, Egypt 1798 - 1952, p. 173. Also : Votikiotis, op. cit:, p. 245 .

سبقت الإشارة إلى أن تركيا دخلت الحرب إلى جانب دولتى الوسط ألمانيا ، والنمسا فى ٣١ أكتوبر سنة ١٩١٤ ، وكان اشتراكها فى الحرب يشكل أخطاراً كثيرة أحاطت ببريطانيا بوجه خاص ، بحيث القول إن أكثر الدول تأثراً بهذا التطور الحربى فى الشرق الأوسط كانت هى انجلترا ، بحكم مالها من مصالح فى البلاد العربية ، سواء مصالح اقتصادية أو غير اقتصادية فى البلاد التى لا تحتلها أو الأقطار التى تحتلها فعلاً .

لذلك فإن سيطرة دولة تركيا على بلاد الشام بما فيها فلسطين وهى التى تعتبر من الناحية العسكرية الممّر الذى يمكن الدخول منه إلى مصر ، جعلتها تهدد بريطانيا تهديداً مباشراً فى منطقة السويس أولاً ومصر والسودان ثانيًا ، كما أن سيطرة تركيا على العراق يتيح لها أن تهدد منطقة الخليج الفارسى حيث تقع على مقربة منها آبار البترول فى غرب إيران والتى كانت تستغلها الشركة الإنجليزية[١] .

وكان هناك مكمن خطر آخر فى شبه الجزيرة العربية التى تطل على البحر الأحمر غربًا والذى تكثر فيه الشُعَب المرجانية التى تفرض على السفن السير فى منطقة معينة من هذا البحر لاتستطيع الانحراف يمينًا أو شمالاً خشية ارتطامها بهذه الشعب ، وكذلك فإن وجود الصخور البركانية بكثرة يؤدى إلى تضييق المنطقة الصالحة للملاحة فى البحر الأحمر مما يساعد الأتراك على إنشاء الكثير من القواعد العسكرية على الشاطئ الغربى لشبه الجزيرة والعمل على بث الألغام وتهديد السفن الإنجليزية والحليفة لها فى البحر الأحمر [٢].

إزاء هذه الأخطار كلها التى تواجه العسكرية الإنجليزية فى الشرق الأوسط قررت انجلترا العمل من داخل البلاد العربية نفسها لمقاومة الأتراك ومساعدتها فى حربها المقبلة معهم ، لذلك اتجهت أنظار بريطانيا أول ما اتجهت إلى الشريف حسين بن على شريف مكة لتفاوضه على ماتريده من العرب ، وقد رشحه لذلك أنه أمير هاشمى من الأشراف له من الحسب والنسب ما يمكن استغلاله فى مقاومة الخلافة التركية واجتذاب المسلمين فى ذلك الوقت [٣].

---

١ - حسن صبرى الخولى : مرجع سابق ، ص ١٢٣ .

٢ - فاروق عثمان : سياسة بريطانيا فى عسير ، مرجع سابق ، ص ٦١ . وأيضًا : حسن الخولى : مرجع سابق ، ص ١٢٣ . وأيضًا جورج أنطونيوس : مرجع سابق ، ص ١٣١ .

٣ - حسين فوزى النجار : الساسية والاستراتيجية فى الشرق الأوسط ، مكتبة النهضة بيروت ، ١٩٧٠، ص ٥٢٣ . وأيضًا : عادل الجادر : أثر قوانين الانتداب فى إقامة الوطن اليهودى فى إسرائيل ، إصدار مركز الدراسات الفلسطينية ، جامعة بغداد ، ١٩٧٦ ، ص ٢١ .

وبدأت الاتصالات الاستطلاعية بين الشريف حسين والإنجليز قبل الحرب العالمية الأولى عن طريق الأمير عبد الله ، وهو الابن الثانى للشريف حسين ، وكان هذا الابن فى القاهرة فى الأسبوع الأول من فبراير سنة ١٩١٢ ، فى طريقة من مكة إلى الآستانة ، فرأى أن يسعى لمقابلة اللورد كتشنر المعتمد البريطانى فى القاهرة ، وتظاهر بأن زيارته للمعتمد البريطانى لاتعدو أن تكون زيارة مجاملة ، وحضر المقابلة رونالد ستورز (Ronald Storss) السكرتير الشرقى فى دار المعتمد البريطانى فى القاهرة ، وكان هذا الأخير ملمًا باللغة العربية بعض الإلمام [١].

وفى هذا اللقاء أفاض الأمير عبد الله فى الكلام عن سخط العرب على السياسة التى يتبعها رجال الحكم فى تركيا ، وأن العرب يتوقون إلى التخلص من الحكم المركزى الباغى الذى فرضه رجال الاتحاد والترقى ، ثم انتقل عبد الله إلى شرح العلاقة السيئة القائمة بين رجال الاتحاد وبين والده الشريف حسين بسبب إصرارهم على عزل والده من منصبه[٢] .

وحاول عبد الله أن يستشف من كتشنر موقف الحكومة البريطانية ، إذا نشب صراع سافر بين الشريف حسين وبين الأتراك ، ثم أشار تلميحًا إلى أن والده على استعداد لإعلان الثورة ضد الأتراك ، إذا ظفر بتشجيع من الخارج ، غير أن عبد الله لم يظفر من كتشنر المعتمد البريطانى برد واضح إذ كان متحفظًا مع الأمير عبد الله لأنه لم يكن لديه معلومات من حكومته بهذا الخصوص [٣].

ومن ناحية أخرى بعث كتشنر فى اليوم التالى إلى حكومته فى لندنم بتفاصيل هذه المقابلة، وفى نهاية أبريل سنة ١٩١٤ وكان عبد الله فى القاهرة مرة أخري وهو فى طريق عودته من الآستانة إلى الحجاز ، ولم يقابل هذه المرة اللورد كتشنر ، ولكنه قابل رونالد ستورز

---

١ - F.O. 371/72433, Tel, from Sir Graiy Part, British Agency, Cairo to London, Dec. 13, 1914, (87396), No. 204, p. 1 .

٢ - F.O. 371/72433, op. cit., No. 204, p.2.

٣ - حسن الخولى : مرجع سابق ، ص ١٢٨ . وأيضًا : جلال يحيى : أصول ثورة يوليو : مرجع سابق ، ص ٧٨ . وأيضًا : جورج أنطونيوس : مرجع سابق ، ص ١٢٨ ، وأيضًا : Mause, S. Lowrence Arab View, p. 13, Unviersity Oxford press, London, 1966 .

السكرتير الشرقى وتحدث إليه مرة أخرى فى نفس الموضوع السابق ، ولكن الأخير لم يعط الأمير عبد الله رداً كافياً ، كما تم فى المقابلة الأولى [١].

وكانت هذه الاتصالات الأولية مهمة بالنسبة لخطط بريطانيا فى هذه المنطقة الحساسة من العالم وخاصة فى مصر ، إذ عملت السلطات البريطانية منذ إعلان الحرب ، على الاتصال بالشريف حسين وحده ، بل زعماء الحركة الوطنية فى كل من سوريا والعراق والحجاز ، وكانت هذه الأقاليم فى منتهى الأهمية بالنسبة للإمبراطورية البريطانية ، ذلك أنها كانت تمثل دائرة تحيط بمصر وتشتمل على قلب الدولة العثمانية والعالم الإسلامى[٢] .

وأرادت بريطانيا أن تكسب هذه الدائرة الإسلامية وعملت على أن تضع كل من الدائرتين فى مواجهة الأخرى ، أى أنها عملت على أن تساعد الدائرة العربية على أن تخرج بحركة انفصالية عن الدولة العثمانية ، فتعمل بذلك على معادلة القوة العثمانية التى حاولت توحيد منطقة الشرق الأدنى [٣].

هذا عن الاتصالات الأولى بين الشريف حسين والإنجليز ولكن ذلك لم يمنع الشريف حسين فى نفس الوقت من المحاولة مع الأتراك ، إذ كان الشريف حسين غير راضٍ عن دخول تركيا الحرب ضد انجلترا وفرنسا لمصلحة ألمانيا ، فما هى مصلحة تركيا فى تلك الحرب ، وعندما عاد الأمير عبد الله من الآستانة وذكر له ما سمعه هناك من رجال الحكم ، استغرب ذلك وأرسل على إثر ذلك برقية إلى السلطان تتضمن رأيه فى الحرب وقد استند رأيه إلى وجهة نظر عسكرية ، إذ أن دخول تركيا الحرب خطر عليها وعلى الولايات العربية ، وذلك لعدم وجود حدود مشتركة بين ألمانيا وتركيا فلا تستطيع ألمانيا إمداد الجيوش التركية بالأسلحة والمعدات اللازمة[٤] .

---

١ – محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربى ١٥١٤ – ١٩١٤ ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٢٧٨ . وأيضًا : جلال يحيى : أصول ثورة يوليو مرجع سابق ، ص ٨٧ .

٢ – على جودت : ذكريات على جودت ١٩٠٠ – ١٩٥٨ ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص ٣٩ .

٣ – جلال يحيى : أصول ثورة يوليو ، مرجع سابق ، ص ٨٦ . وأيضًا : محمد أنيس : مرجع سابق ، ص ٨٦ . وأيضًا : عودة بطرس : مرجع سابق ، ص ٢٤٣ .

٤ – Hurewitz, Diplomacy in the near and middle East, vol. 7, p. 219. Also : Mausa, S., op. cit., p. 14 .

وأيضًا : فاروق عثمان : سياسة بريطانيا فى عسير ، مرجع سابق ، ص ٢٤ .

وعبّر أيضًا عن مخاوفه بالنسبة للأقطار العربية البعيدة عن تركيا كاليمن والبصرة والحجاز وهى محاطة بقوات بحرية لدولة الحلفاء ، لا يستطيع الأهالى الدفاع عن أنفسهم حيالها بأسلحتهم البدائية وعدم وجود جيوش منظمة لديهم ، تواجه جيوش أوربا الحديثة ، ثم استحلفه بالله فى نهاية برقيته أن يحول دون هذا المصير [١].

ولكن السلطات الحاكمة كانت قد مضت قدمًا وأعلنت الحرب ، فما كان من الشريف حسين إلا أن طالب ببعض الحقوق نظير معاونة العرب للأتراك فى الحرب ، ومن تلك المطالب الإعفاء من المحكوم عليهم بالإعدام خلال محاكمات عالية المشهورة ، والتى قبضت عليهم السلطات التركية بحجة تخابرهم مع أعداء الدولة ضدها [٢].

وكذلك طالب الشريف حسين بتطبيق نظام اللامركزية فى سوريا واستبقاء إمارة مكة فى شخصه وفى أولاده من بعده ، واعتقد الشريف حسين أن هذه المطالب مطالب عادلة ولن تضر الأتراك فى شئ ، ولكن الأتراك بدلا من إجابة الشريف إلى طلبه - لأنهم فى حالة حرب ، وفى حاجة ماسة إلى مساعدته ومساعدة بقية البلاد العربية - رفضوا تلك المطالب قلبًا وقالبًا ، واعتبروا تلك المطالب خارجه عن اختصاصه وليس له الحق فى التحدث عنها[٣] .

إن الشريف حسين اعتقد أن هذه المطالب التى أرسلها إلى الترك عادلة ومقبولة فى نظره ، كما هى فى مصلحتهم ، ولكنه بعد أن تلقى الرد القاسى من الأتراك وجد أن ذمته قد برأت منهم، وأنه صار فى حل من عهده لهم ، وخلص من ذلك إلى أنه صار فى إمكانه أن يعمل بكامل حريته بما يصون مصلحته ومصلحة قومه العرب معه [٤].

وفى إطار هذه الفتوى التى أفتى بها لنفسه ، وأراح ضميره ، أرسل نجله الثالث فيصل إلى دمشق وإلى الآستانة ، وكانت له فى العاصمتين ، عاصمة العرب وعاصمة الترك مهمة

---

١ - أمين سعيد : مرجع سابق ، ص ٤٩ . وأيضًا :

Djemal Pasha, op. cit., p. 237 .

٢ - عبد العزيز نوار : وثائق أساسية من تاريخ لبنان الحديث : مرجع سابق ، ص ٥٠٨ . وأيضًا : أمين سعيد : مرجع سابق ، ص ٦٢ .

٣ - عبد العزيز نوار : وثائق من تاريخ لبنان الحديث : مرجع سابق ، ص ٥١٠ . وأيضًا :

Djemal Pasha, op. cit., p. 233 .

٤ - عبد العزيز نوار : وثائق من تاريخ لبنان الحديث : مرجع سابق ، ص ٥١١ . وأيضًا : جورج أنطونيوس : مرجع سابق ، ص ١٤٥ .

محددة تدور حول هذا الموضوع ولا تتجاوزه ، وهو الاتصال برجال الحركة العربية ومعرفة ماالديهم فى دمشق والمدى الذى قد يسيرون فيه ، وكذلك دراسة الحالة العامة فى الآستانة والاتصال بمن يمكن الاتصال بهم من رجالاتها والتحدث إليهم وسماع آرائهم العامة ، والاتصال بالصدر الأعظم سعيد حليم باشا(١) ، وتسليمه الأوراق السرية التى عثر عليها فى محفظة وهيب باشا أثناء زيارته للحجاز ، فقد سرقت منه بواسطة رجال الشريف وفيها ما يثبت سوء نية الحكومة التركية ضده ، ونحو بيته وترديد هذه الشكوى على أسماعه (٢).

وعلاوة على ذلك فإن الشريف حسين من جانبه أرسل إلى الأمراء العرب فى شبه الجزيرة العربية وأخذ يتحسس بكل وضوح موقفهم ، فالقيام بأى حركة فى الحجاز ضد الأتراك لاتكون ناجحة إلا بمعرفة اتجاهات جيرانه العرب (٣)، فأرسل إلى الأدارسة فى عسير ، وآل الرشيد فى حائل ، وآل سعود فى الرياض ، والإمام يحيى حميد الدين فى اليمن ، أما بخصوص اليمن فإنها كانت واضحة منذ البداية ، فقد أعلنت ولاءها للعثمانيين ، ولكن اليمن فى نظر الشريفَ حسين لايخشى من جانبها ، إذ أن عليها أن تركزَ اهتمامها على احتمالات هجوم بريطانى على القوة التركية الموجودة بها من المحمية البريطانية فى عدن أو من مستعمرة إريتريا بواسطة إيطاليا أو من انجلترا وفرنسا من الصومال (٤).

وفى هذه الأثناء جاء الرد من جمال باشا والى الشام بضرورة أن ينال المعتقلون من رجال الحركة العربية عقابهم على اتصالهم بالجهات الأجنبية ، كما أن حقوق الشرافة فى الحجاز ستبقى على ماهى عليه ، وطلب منه فى نفس الوقت إرسال متطوعين بقيادة ابنه على والأمير فيصل إلى دمشق للالتحاق بالجيش الرابع التركى (٥).

---

١ – أمين سعيد : مرجع سابق ، ص ٥٤ .

٢ – نفس المرجع السابق : ص ٤٩ .

٣ – فاروق عثمان : سياسة بريطانيا فى عسير : مرجع سابق ، ص ٢٥ . وأيضًا : خير الدين زركلى : شبه الجزيرة العربية فى عهد الملك عبد العزيز ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ١٩٨ .

٤ – محمد أنيس : مرجع سابق ، ص ٢٧٨ . وأيضًا : حافظ وهبه : مرجع سابق ، ص ٢٠٨ . وأيضًا : أحمد حسين شرف الدين : اليمن عبر التاريخ من القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى القرن العشرين ، مطبعة البادية ، الرياض ، ١٩٨٠ ، ص ١٨١ .

٥ – عبد العزيز نوار : وثائق أساسية من تاريخ لبنان : مرجع سابق ، ص ٥١١ .

وقد رد الشريف حسين على خطاب جمال باشا ، أنه لايستطيع الاشتراك هو وأولاده مع المتطوعين العرب فى حملة القناة قبل أن تجاب كل المطالب التى طلبها فى مراسلاته الرسمية من قبل ، وقبل أن تكف الحكومة التركية فى الآستانة عن توجيه الاتهام له ، ولذلك فإنه سيضطر آسفًا إلى قطع العلاقات مؤقتًا مع الحكومة حتى تلبى كل طلباته التى طلبها من قبل[١].

وعندما وصلت المكاتبات بين الشريف حسين ورجال الحكومة التركية إلى طريق مسدود ، أرسل الشريف حسين سنة ١٩١٥ ابنه الأمير فيصل إلى دمشق ، وهناك اتصل بأعضاء جمعيتى العربية الفتاة والعهد ، وعرض عليهما الموقف واتصالات الإنجليز بوالده[٢] ، ولقد وضع فيصل الموقف أمامهم بوضوح وصراحة ، فشرح الخلاف بين وجهة نظره هو ، ووجهة نظر أخيه عبد الله ، ففيصل كان يرى أن يؤيد العرب تركيا فى محنتها ، مما سيجعل الأتراك يعطفون على العرب لمساعدتهم ولايترددون فى منحهم الاستقلال بعد الحرب ، وقد بنى فيصل رأيه هذا على اعتبارات كثيرة ، منها أن انجلترا تطمع فى الاستيلاء على المناطق الجنوبية من العراق ، وأن فرنسا تطمع فى سوريا ، هذا فى الوقت الذى لم تشتمل عروض انجلترا حتى ذلك الوقت أية ضمانات لتبديد مخاوف العرب ، كذلك كان فيصل يرى أن العرب غير مستعدين استعداداً تامًا لإشعال ثورة ناجحة ضد الأتراك[٣] .

وكان أن تجاوب رجال الحركة العربية مع الأمير فيصل وأبلغوه أنه فى حالة موافقة الأتراك على مطالب العرب فإن العرب سيقفون معهم ، وإذا رفض الأتراك تلك المطالب فلابد من الثورة عليهم ، على أن يجيب الإنجليز مطالب الشريف حسين المطلوبة منهم ثمنًا للثورة على الأتراك وأن يعترفوا باستقلال البلاد العربية ، وأن يؤيدوا هذا الاستقلال عسكريا ودوليا نظير الثورة[٤] .

---

١ – حسين محمد نصيف : ماضى الحجاز وحاضره ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ٤٠ . وانظر أيضًا : أمين سعيد : مرجع سابق ، ص ٦٢ .

٢ – جلال يحيى : أصول ثورة يوليو ، مرجع سابق ، ص ٨٤ . وأيضًا : جورج أنطونيوس ، مرجع سابق، ص ١٥٢ .

٣ – محمد أنيس : مرجع سابق ، ص ٢٨٠ . وأيضًا : جورج أنطونيوس : مرجع سابق ، ص ١٢٦ .

٤ – جلال يحيى : أصول ثورة يوليو ، مرجع سابق ، ص ٨٧ .

وعندما وصل الأمير فيصل إلى المدينة قادمًا من سوريا ووجد فيها أخوه الأمير على ، أخبره بما حدث معه فى دمشق ، وقد أرسل لوالده فى مكة بتلك الأخبار ، وهنا أخذ الأميران ينتظران تعليمات والدهما من مكة بشأن التصرف مع وهيب باشا فى المدينة ، وعندما عرف الشريف حسين بتفاصيل محادثات ابنه فى دمشق وصل إلى قرار نهائى بقطع العلاقات مع الحكومة التركية ، إذ أنه لا أمل فى الاستجابة للمطالب التى نادى بها من قبل [١].

وكان أن أرسل إلى ولديه في المدينة سراً بالخروج منها إلى الحجاز دون إخبار أحد ، وعندما استطاع الأميران الخروج من المدينة أرسلا إلى وهيب باشا رسالة يخبراه فيها أنه نظراً للظروف الحاضرة والتى جدت على مشروعهما بالتوجه بالمتطوعين العرب إلى درعا ، فإنهما يوقفان ذلك مؤقتًا ، وأنهما سيعودان إلى مكة بناء على تعليمات صدرت لهما بذلك من والدهما ، ويأسفان أشد الأسف لعدم استطاعة اللقاء به وتوديعه قبل سفرهما ، وبذلك استطاع الأميران الهروب من المصيدة التى كانت ستحكم عليهما فيما لوعرف الأتراك بنية والدهما فى الثورة عليهم [٢].

وكان هذا آخر اتصال بين الأشراف والترك الاتحاديين ، وقال القائلون فى ذلك الوقت ، أن الذكاء العربى تغلب على الذكاء التركى ، فقد استطاع الأميران بذكائهما ، الإفلات من قبضة الترك الحديدية بسهولة مع أنهما لم يكونا سوى رهينة لمنع وقوع الثورة ، وعند وصول الأميران فيصل وعلى إلى مكة وجدا والدهما فى استقبالهما ومعه أخوهما الثالث الأمير عبد الله ، وبعد أن تدارس الجميع الموقف ، أظهر الأمير عبد الله رأيه وكان على عكس رأى أخيه فيصل على طول الخط ، فقد كان يرى أن من واجب العرب الثورة ضد الأتراك بالاعتماد على انجلترا ووعودها [٣].

وكان أن اتفقت كلمة جميع من اتصل بهم فيصل فى سورية على قبول عروض الإنجليز ، فسياسة الاضطهاد التعسفية التى اتبعها جمال باشا قائد الجيش العثمانى فى بلاد الشام ، وتعذيبه وشنقه للوطنين هناك ، من العوامل التى دفعتهم إلى الأخذ برأى التحالف مع انجلترا [٤].

---

١ - أمين سعيد : مرجع سابق ، ص ٦٢ . وأيضًا : على جودت : مرجع سابق ، ص ٣٩ .

٢ - أمين سعيد : مرجع سابق ، ص ٦٣ .

٣ - محمد أنيس : مرجع سابق ، ص ٢٨١ . وأيضًا : جورج أنطونيوس ، مرجع سابق ، ص ١٢٧ .

٤ - على حسون : مرجع سابق ، ص ٢٤١ . وأيضًا : Sachar, The emergence of the middle East 1914 - 1924,p. 126 .

لهذه العوامل كلها انعقد رأى القوميين العرب على زعامة الشريف حسين للثورة . وسلم زعماء جمعيتى العهد والفتاة الأمير فيصل المصور الذى يعين حدود البلاد العربية الجغرافية فى آسيا وطالبوه بأن يدور سعى الشريف حسين على أساسها لنيل الاستقلال ، كما وضعوا مخططًا للمطالب التى يريدون من الشريف حسين أن يتفاوض بشأنها مع الإنجلز ، وأهم ماجاء فى هذا المخطط الذى عرف فيما بعد باسم بروتوكول دمشق : أن تعترف بريطانيا باستقلال البلاد العربية الواقعة ضمن الحدود التى تبدأ شمالاً بخط مرسين - أطنة والممتد إلى أرفه وماروبين وجزيرة ابن عمر فحدود فارس شرقًا حتى الخليج ، وجنوبًا المحيط الهندى ، (ماعدا عدن التى تحافظ على وضعها الراهن) وغربًا البحر الأحمر والبحر المتوسط حتى مرسين . علاوة على إلغاء الامتيازات الأجنبية ، وكذلك عقد تحالف دفاعى بين انجلترا والدولة العربية الجديد ، ومنح بريطانيا الأفضلية فى الشئون العربية [١].

وهكذا انتهت هذه المرحلة المهمة من العلاقات بين العرب والأتراك فى بداية الحرب العالمية الأولى حتى سنة ١٩١٦ ، عندما أعلن الشريف حسين الثورة ضد الأتراك فى الحجاز ، ولكن كما ذكرت سابقًا أن الاتصالات بين الشريف حسين والإنجليز استمرت فى تزايد مضطرد يقابلها تشدد من الأتراك فى إجابة مطالب العرب سواء فى الحجاز أو الشام على اعتبار أن هذه البلاد جزء من أرض الخلافة ويجب أن تقف مع الأتراك فى الحرب بدون أية شروط مسبقة، وكانت النتيجة استغلال الإنجليز لتلك الفرصة أحسن استغلال ، سنعرض على الصفحات التالية لهذه الاتصالات العربية الإنجليزية بقدر من التفصيل لأن إلقاء الضوء عليها سيبين لنا سياسة انجلترا فى تلك الفترة .

ولأهمية تلك الاتصالات فإن اللورد كتشنر المندوب السامى البريطانى فى مصر فى ذلك الوقت ، قام بلفت نظر حكومته فى لندن إلى خطورة الموقف فى خريف ١٩١٤، وربط بين ذلك وبين قوة حركة الجامعة الإسلامية التى تركزت فى القسطنطنية ، وعملت على تكتل قوات الجهاد الإسلامى فى العالم لطرد القوات الاستعمارية من بلادها ، ولخلق المشكلات أمام قوات الاحتلال الأجنبية فى عقر دارها [٢].

---

١ - محمد أنيس : مرجع سابق ، ص ٢٧٩ . وأيضًا : عمر عبد العزيز : مرجع سابق ، ص ٥١٦ . وأيضًا : . Fisher, The Middle East in history. p. 365

٢ - جلال يحيى : العالم العربى الحديث ، مرجع سابق ، ص ٢٨٢ .

وخرج اللورد كتشنر من هذا التحليل بضرورة قيام انجلترا بعمليات فى هذا الجزء الداخلى من الدائرة الإسلامية أى فى المنطقة العربية ، وذلك لفصل الدائرة العربية الغربية من الدائرة الإسلامية المحيطة بها ، وضرب الإسلام بالعروبة ، وكل ذلك فى صالح الحلفاء جميعًا (١).

وكان هذا التقرير الذى كتبه كتشنر هو الأساس الذى بنت عليه بريطانيا سياستها فى الشرق العربى فى أثناء الحرب الأولى وجولاتها المتقدمة بعد ذلك ، وذلك بدخولها فى مراسلات ومفاوضات مع الشريف حسين بن على فى الحجاز (٢).

وفى نفس الوقت كانت بريطانيا تركز أنظارها لا على الشريف حسين فحسب بل على فلسطين أيضًا التى كانت مهمة استراتيجيًا أكثر من غيرها من الأقاليم العربية ، إذ كانت هى المركز لالتقاء الأطماع الاستعمارية فى العالم العربى كله لأن فيها الأماكن المقدسة وكانت القاعدة التى سوف تسمح للقوات الإنجليزية بعد السيطرة عليها بالتحكم فى العالم العربى والتسلط عليه باستمرار ، واستمرار عملية الاستغلال العسكرى والسياسى ، والامتصاص ، والضغط على نطاق كبير ، وبطريقة أكثر خطورة ، كما سيبين لنا فى الصفحات المقبلة .

من ناحية أخرى عملت بريطانيا على أن تهاجم الدولة العثمانية بواسطة رعاياها العرب ، ففى سبتمبر سنة ١٩١٤ وقبل دخول الدولة العثمانية الحرب كتب السفير البريطانى فى إستانبول معلنًا موافقته على خطة تؤيد وتنظم حركة عربية ضد تركيا ، إذا ما اتخذت الأخيرة موقفًا عدائيًا واضحًا وأصبح واقع الحرب أمرًا لا مفر منه سواء كان هذا التأييد للعرب مباشر أو غير مباشر (٣).

وكان شيخ الإسلام فى استانبول (خيرى بن عونى الأركوبى) قد أصدر فى ١٧ نوفمبر ١٩١٤ فتوى أعلن أن الواجب المفروض على جميع المسلمين ومنهم الخاضعين لحكم بريطانيا وفرنسا وروسيا ، هو الاتحاد ضد هذه الدول أعداء الإسلام ورفض مساعدة الحلفاء فى هجومهم

---

١ – F.O. 371/1973, Telegram from Sir Graiy part, British A Gency, Cairo, Des. 13/ 1914, to foreign 0ffice , No. 204 .

٢ – F.O. 371/72433, Tel, from Sir Humble, Cairo, 29 Des. 1914 to foreign office, London, p. 1 .

٣ – عمر عبد العزيز : مرجع سابق ، ص ٥٥٦ . وأيضًا :

Randolf, op. cit., 71. Also : Palk,W. The United States and the Arab World, p. 111 .

على الدولة العثمانية [١]، كما صدرت كتيبات صغيرة بشأن الدعوة إلى الجهاد وحثت المسلمين على الاتحاد ضد أعداء الدين والامتناع عن تقديم أية مساعدة لهم ، وكان هدف العثمانيين من ذلك أن يتأثر العالم العربى بدعوة الجهاد فينحاز أمير مكة والعرب مختارين إلى صفوفهم ضد الحلفاء ، وإزاء ذلك أيقن الحلفاء عامة وانجلترا بوجه خاص ضرورة البحث عن رئيس صورى للمسلمين لمقاومة نفوذ السلطان العثمانى[٢] .

وكان الشخص المرشح للقيام بهذا الدور هو الشريف حسين بن على الهاشمى أمير مكة ، وأخذ الإنجليز فى اتصالاتهم المتعاقبة معه يمنونه بمستقبل باهر ويلوحون له بمنصب الخلافة ، وتوقع الحسين نتيجة لتلك الاتصالات أن يؤسس دولة موحدة تشمل معظم الولايات العربية التابعة لتركيا [٣].

اتصلت بريطانيا أول ما اتصلت بالأمير عبد الله بن الشريف حسين بن على حين مروره بالقاهرة قبل إعلان الحرب فى طريقه إلى استانبول للاشتراك فى جلسة المبعوثين ، وعلمت منه طبيعة الفكرة التى تختمر فى رأس والده للعمل على الاستقلال عن الدولة العثمانية وحاجته إلى الاعتراف الدولى بهذا الاستقلال ، بل وإلى المساعدات المالية والحربية[٤]، فسأل اللورد كتشنر ماذا سيكون عليه موقف بريطانيا من إعلان مثل هذا الاستقلال ، وعما إذا كانت ترضى وتقبل بتزويد والده الأسلحة ؟ وحقيقة فإن ممثل بريطانيا فى القاهرة اللورد كتشنر لم يعط فى ذلك الوقت وعداً ولاعهداً ، ولكن بريطانيا علمت بخطورة الموقف وطبيعة ما تتمخض عنه الأحداث [٥].

---

١ - F.O. 371/1973, Tel, from Intelligence, department war office, Cairo, Nov. 26th, 1914, No. 81562.

٢ - عمر عبد العزيز : مرجع سابق ، ص ٥٥٦ . وأيضًا : محمد أنيس : مرجع سابق ، ص ٢٧٥ . وأيضًا : كارل بروكلمان : مرجع سابق ، ص ٧٤٤ .

٣ - عبد العزيز الشناوى ، جلال يحيى : مرجع سابق ، ص ٨٠ ، وثيقة رقم ٢١ - المجموعة الثانية .

٤ - عمر عبد العزيز : مرجع سابق ، ص ٥٥٦ . وانظر أيضًا : جورج أنطونيوس : مرجع سابق ، ص ١٤٠ ، ١٤١ . وأيضًا : صابر طعيمة : التاريخ اليهودى العام ، جـ ٢ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٥، ص ٢٢٧ .

٥ - F.O. 371/1973, Tel., from Sir Graiy Part, British Agency, Cairo, Dec. 13, 1914, to London, No. 87396 .

وعندما وصل الشريف حسين إلى طريق مسدود مع تركيا وتأكد أنه لافائدة ترجى من الأتراك زادت هذه الاتصالات بين المندوب السامى البريطانى فى مصر والشريف حسين من ١٤ يوليو ١٩١٥ حتى ١٠ مارس سنة ١٩١٦ ، وأصبحت تعرف هذه المراسلات بمراسلات الحسين - مكماهون ، وبلغ مجموع الرسائل المتبادلة عشر منها خمس كتبها مكماهون وخمس كتبها حسين [١].

وكان قد قر فى رأى الشريف حسين أنه قبل الانضمام للحلفاء أن يتصل بزعماء العرب فى سورية ولبنان ، لكى يعرف منهم سراً ماكانوا يطلبونه من شروط لقيامهم ، فأرسل ابنه فيصل بدعوى الذهاب إلى استانبول ، ولكنه توقف فى دمشق واتصل بزعماء الحركة القومية العربية فى الشام ، ووضع الزعماء العرب أمام الأمير فيصل مخططًا يتضمن المطالب التى أرادوا أن تكون أساسًا لمفاوضات الشريف حسين مع الإنجليز[٢] .

وكثمن لهذا الدور الذى يقوم به الشريف حسين فى المساعدة على تفتيت كيان الدولة العثمانية فإن بريطانيا قد صنعت له الدور الثانى الذى يلائمه ، وهو أن بريطانيا ترحب من جانبها باسترداد " الخلافة على يد عربى صميم من الدوحة النبوية المباركة " ، ومن عجب أنه حين ظهرت بعد ذلك الاتجاهات العربية لتسأل عن حدود هذه الأرض فإن الإنجليز واجهوا هذا السؤال ، بأن هذا تفكير سابق لأوانه ، مادامت الحرب لم تضع أوزارها بعد ولم تتضح ملامحها ، فإنه من الأفضل الانتظار خاصة وأن ملك بريطانيا حريص على مصلحة العرب ، ويرجو أن يكون هذا الشعور هو نفس الشعور العربى [٣].

---

١ - F.O. 371/12486, British documents ; وأيضًا : عبد العزيز الشناوى ، جلال يحيى : مرجع سابق ، وثيقة رقم ٢ ، المجموعة الثانية ، ص ٨٤ .

٢ - Zeine, N., Zeine, The Struggle for Arab independce Edited by G. Harress press, London, 1960, pp. 5-6.

وأيضًا : عمر عبد العزيز : مرجع سابق ، ص ٥٥٩ . وأيضًا : محمد أنيس : مرجع سابق ، ص ٢٨١ . وأيضًا : جلال يحيى : العالم العربي الحديث ، مرجع سابق ، ص ٥١٨ .

٣ - عبد العزيز الشناوى ، جلال يحيى : مرجع سابق ، وثيقة رقم ٣ - المجموعة الثانية ، ص ٨٦ . وانظر أيضًا : حسن الخولى : مرجع سابق ، ص ١٣٢ . وأيضًا : أمين سعيد : مرجع سابق ، ص ٢٩ . وأيضًا: صابر طعيمه : مرجع سابق ، ص ٢٢٨ .

وتكشف الوثائق البريطانية إلى أن تلك الإجراءات قد اقتضتها ظروف الحرب وأملتها الضرورة القصوى لمواجهة العثمانيين ، وهو أمر لابد منه لتحقيق النصر البريطانى ، وتعد التقصيرات التى نجمت عنها فيما بعد ثمنًا للنصر [١].

وفى ١٤ يوليو سنة ١٩١٥ كتب الشريف حسين إلى السير هنرى مكماهون رسالة تحمل أول مقترحات محددة للاتفاق مع الإنجليز بشأن إعلان الثورة من العرب على الأتراك ، لذلك طلب الشريف حسين ، أن تعترف انجلترا باستقلال البلاد العربية من مرسين ، أطنة شمالاً حتى الخليج الفارسى ، ومن بلاد فارس حتى خليج البصرة شرقًا ، ومن المحيط الهندى للجزيرة العربية جنوبيًا ، يستثنى من ذلك عدن التى تبقى كما هى ، ومن البحر المتوسط حتى سيناء غربًا ، على أن توافق انجلترا على إعلانه خليفة على المسلمين [٢].

وفى ٣ أغسطس سنة ١٩١٥ ، رد السير هنرى مكماهون بكتاب أوضح فيه أن رغبته فى تحقيق مطالب الشريف حسين فى الاستقلال بالولايات العربية ، إنما موضوع الحدود فهذه مسألة سابقة لأوانها ، وأن ظروف الحرب حاليًا تمنع ولاتسمح بمناقشة هذه التفاصيل التى تحتاج إلى وقت طويل ، وكذلك فإن الأتراك يحتلون هذه الولايات ويمكن الكلام فى هذا الموضوع بعد جلاء الأتراك من هذه الأراضى[٣] .

ونلاحظ هنا أن مكماهون تعمد أن يضفى الغموض على رسالته ، فأكد حسن نوايا بريطانيا إزاء العرب وموافقتها على قيام خلافة عربية ، ثم انتقل إلى القول بأنه ليس من المناسب بحث مسألة الحدود أثناء الحرب ، ولازالت بعض هذه البلاد فى أيدى الأتراك ، لذلك فإن حسين استاء من غلق الكلام فى المسألة الجوهرية التى تهم العرب جميعًا ، وهى استقلال البلاد العربية بالحدود التى طلبتها من قبل[٤] .

---

١ – عبد العزيز الشناوى ، جلال يحيى : وثيقة رقم ١ ، مجموعة ٢ ، ص ٨٠ . وانظر أيضًا : مصطفى النجار :مرجع سابق . وأيضًا : عودة بطرس : مرجع سابق ، ص ٢٤٤ .

٢ – الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين ، المجموعة الأولى ، وثيقة رقم ١ ، ص ٦ ، ص ٧ ، محفوظة بدار الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، القاهرة ، ١٩٥٧. وانظر أيضًا : محمد أنيس : مرجع سابق ، ص ٢٨٢ . وأيضًا : عمر عبد العزيز : مرجع سابق ، ص ٥٥٩ . وأيضًا : حسن الخولى : مرجع سابق ، ص ١١٧.

٣ – عبد العزيز الشناوى ، جلال يحيى : مرجع سابق ، وثيقة ٣ ، المجموعة الثانية ، ص ٨٤ . وانظر أيضًا : محمد أنيس : مرجع سابق ، ص ٢٨٢ . وأيضًا : جلال يحيى : أصول ثورة ٢٣ يوليو ، مرجع سابق، ص ٨٨ . وأيضًا : عادل أحمد الجادر : مرجع سابق ، ص ٢٢ .

٤ – الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين ، المجموعة الأولى ، وثيقة رقم ٢ ، ص ٩ . وأيضًا : محمد أنيس : مرجع سابق ، ص ٥٣ . وأيضًا حسين التريكى : هذه فلسطين ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، ١٩٧١ ، ص ٨٩ .

وقد أعرب الشريف حسين عن استيائه ودهشته إلى مكماهون لتهرب الأخير من مسألة الحدود وكتب إليه بأن مطلب الحدود هذا ليس مطلب رجل واحد بل هو مطلب شعب يعتقد أن حياته في هذه الحدود وهو متفق بأجمعه على هذه الحدود (١).

ووصلت رسالة من السير هنري مكماهون بتاريخ ٢٤ أكتوبر سنة ١٩١٥ إلى الشريف حسين وفيها تعهدت بريطانيا بالاعتراف باستقلال العرب وبتأييد الشريف حسين داخل الحدود التي حددها الشريف حسين ، باستثناء بعض أجزاء من آسيا الصغرى وسوريا ، لقد اشتمل هذا التعهد على تحفظ آخر يخص بعض الأجزاء التي تقع داخل المنطقة والتي ترتبط بها بريطانيا باتفاقيات عقدتها مع بعض الرؤساء والشيوخ في هذه المناطق(٢) .

وكذلك فقد وضع الإنجليز في مذكرتهم هذه نقط أخرى تخص مسائل مختلفة من حدود الدولة العربية ، كانت أولاها ضمان إنجلترا للأماكن المقدسة من عدم الاعتداء الخارجي عليها ، والثانية استعداد إنجلترا لإقامة نظام إداري لدولتهم المقبلة ، والثالثة لجوء العرب لمستشاري إنجلترا وموظفيها والرابعة تشير إلى مصالح بريطانيا بنوع خاص في العراق ، وضرورة إقامة إدارة بريطانية في كل من ولايتي البصرة وبغداد يتفق عليهما فيما بعد ، ولكن على أساس تعاون بين العرب والبريطانيين في إدارة هذه الأجزاء من الدولة العربية (٣).

واستمرت المراسلات بينهما وهنا زادت بريطانيا من تحديد طلباتها وهي إخراج ولايتي مرسين وأطنة من الاتفاق بينهما على أساس أن غالبية سكان هذه المناطق ليسوا من العرب ، وقد رد شريف مكة على أثر اقتراحات مكماهون السابقة في ١٥ نوفمبر برسالة جاء فيها "رغبة في تسهيل الاتفاق وخدمة الإسلام واجتناب كل ما من شأنه تعكير صفو المسلمين ، واعتماداً على نيات بريطانيا العظمى ومواقفها الحربية ، فإننا نتنازل عن إصرارنا في ضم

---

١ - الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، المجموعة الأولى ، وثيقة رقم ٣ ، ص ١١ . وأيضًا : عبد الرحمن برج ، مرجع سابق ، ص ٥٣ .

٢ - عبد العزيز الشناوي ، جلال يحيى : مرجع سابق ، ص ٨٩ ، وثيقة رقم ٤ - المجموعة الثانية . وانظر أيضًا : جلال يحيى : العالم العربي الحديث ، مرجع سابق ، ص ٥١٩ وأيضًا : جلال يحيى : أصول ثورة ٢٣ يوليو ، مرجع سابق ، ص ٨٨ . وأيضًا : محمد محمد أنيس مرجع سابق ، ص ٢٨٣ ، وأيضًا :

Sochar, op. cit., p. 129. Also : Holt, Egypt and the Fertile, p. 265.

٣ - محمد أنيس : مرجع سابق ، ص ٢٨٣ . وأيضًا : أسعد زروق : مرجع سابق ، ص ٢٦٥ .

مرسين وأطنة ، أما ولايتا حلب وبيروت وسواحلها فهما ولايتين عربيتين خالصتين لافرق هناك بين مسلم ومسيحى فكليهما أحفاد جد واحد "[١].

وجاء رد مكماهون على الشريف حسين بعد ذلك متضمنًا أنه سعيد بموافقة الشريف حسين على إخراج مرسين وأطنة من حدود البلاد العربية ، أما بخصوص تمسكه بحلب وبيروت على أساس أنها ولايات عربية خالصة ، فإنه لايستطيع أخذ قرار فى هذا الشأن ، لأن فرنسا حليفتهم لها مصالح داخلة فى هذه المناطق ، فالمسألة تحتاج لبحث دقيق وسنخبركم بهذا الشأن مرة أخرى فى الوقت المناسب . وجاء فى رسالة مكماهون فقرة أخرى تتعلق بإرسال عشرين ألف جنيه إلى الشريف لمساعدته فى وضع خططه اللازمة وكعربون للصداقة من إنجلترا [٢].

على أن الشريف حسين عاد فى أول يناير سنة ١٩١٦ يكتب إلى مكماهون يبلغه بأنه على استعداد للتنازل عن المنطقة غرب دمشق ، حمص وحلب ، على أن يكون من حق العرب أن يطالبوا بها بعد الحرب ، يدفعه إلى ذلك الرغبة فى تجنب ماقد يكون من شأنه إلحاق الضرر بالتحالف بين بريطانيا وفرنسا ، وقد أضاف بأنه بعد الحرب سيتقرر مايترك لفرنسا فى بيروت وماحولها [٣].

وفى ١٠ مارس سنة ١٩١٦ بعث مكماهون برسالة إلى حسين مضمونها أن حكومة جلالة الملك قد وافقت على جميع مطالبه ، وهكذا انتهت المفاوضات بين حسين ومكماهون على النحو التالى : رضى الشريف حسين باستبعاد محمية عدن وولايتى مرسين وأطنة وإسكندرونة وجنوب العراق (البصرة وبغداد) والمنطقة الواقعة غرب دمشق ، حمص - حلب ، لفرنسا على أن يكون من حقه المطالبة بالمنطقة الأخيرة بعد انتهاء الحرب [٤].

يضاف إلى ذلك أنه فى الوقت الذى كانت المباحثات جارية بين انجلترا والشريف حسين ، كانت فرنسا تخشى أن يكون الثمن الذى سوف يتقاضاه الشريف ، مقابل انضمامه لبريطانيا ،

---

١ - محمد أنيس : مرجع سابق ، ص ٢٨٤ . وأيضًا ، كارل بروكلمان : مرجع سابق ، ص ٧٤٥ .
وأيضًا : . Sylvia, H.: Arab nationalism, p. 91

٢ - F.O. 371/12486, British documents, un 13 December, 1915 .

٣ - عبد العزيز الشناوى ، جلال يحيى : مرجع سابق ، وثيقة رقم ٥ ، المجموعة الثانية ، ص ٩٢ .
وأيضًا : محمد أنيس : مرجع سابق ، ص ٢٨٤ . وأيضًا : حافظ وهبه ، مرجع سابق ، ص ١٧١ .

٤ - حافظ وهبه : مرجع سابق ، ص ١٧١ . وأيضًا : حسين محمد محمد نصيف ، مرجع سابق ، ص ٣٥.

على حساب المصالح الفرنسية فى الشرق ، وخاصة فى الشام . وعلى الرغم من أن هذا لم يحدث أثناء المفاوضات بين بريطانيا والشريف ، إلا أن مخاوف فرنسا كانت فى ازدياد ، حتى احتفظت بريطانيا لحليفتها فرنسا بالمنطقة التى كانت تطالب بها ، وكان خوف فرنسا فى محله، إذ أنها كانت تعرف أن هناك عدداً لابأس به من المسئولين الإنجليز وخاصة من بين العاملين فى منطقة الشرق ضد المصالح الفرنسية والنفوذ الفرنسى فيها (١).

وفعلا فقد كانت الحكومة الإنجليزية ترغب فى ضم أجزاء من منطقة النفوذ التى تطالب بها فرنسا ، وكان منهم بعض أعضاء الوزارة ومنهم كتشنر وزير الحربية ، يذهبون إلى حد القول أنه على الرغم من اعتراف انجلترا بالشام كمنطقة نفوذ فرنسية ، فإنه فى حالة هزيمة الأتراك يجب العمل على انتزاع المنطقة الجنوبية من الشام والممتدة شمالاً حتى حيفا وعكا لتكون كياناً خاصًا تحت النفوذ الإنجليزى ، والمقصود بهذا الكيان هو فلسطين (٢).

وأطلع الإنجليز حلفاءهم الفرنسيين على جانب من المكاتبات السرية التى كانت تدور بينهم وبين الشريف حسين فى مكةِ للاتفاق على الشروط التى يتم بها إعلان الثورة العربية ، فأثار ذلك ثائرة الفرنسيين وخوفهم فى نفس الوقت ، ولكن كان بين الحلفاء نوع من التفاهم على تأجيل كل المشاكل إلى ما بعد النصر (٣).

وهكذا نجد أن الشريف حسين قد آثر أن يعلن الثورة العربية فى سنة ١٩١٦ ضد الأتراك متحالفًا مع الإنجليز ومعتمداً على صداقتهم ، مع أنه كان قد أحيط علمًا خلال مراسلاته مع مكماهون فى القاهرة بأن ماهو غربى حماه وحمص ودمشق سيقتطع من الدولة العربية الجديدة التى كان يسعى الشريف حسين إلى تولى رئاستها ، بعد أن تضع الحرب أوزارها وينتهى الأمر بالنصر للحلفاء (٤).

---

١ – محمود حسن منسى : تصريح بالفور ، مطبعة جامعة القاهرة ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص ٧٣ . وأيضًا Sylvia, H., op. cit., p. 89 .

٢ – Chmidt, G., A concise history of the Middle East, p. 189. Also : Sylvia,H., op. cit., p. 89 .

٣ – كارل بروكلمان : مرجع سابق ، ص ٧٤٥ . وأيضًا : Sylvia,H., op. cit., p. 90 .

٤ – عبد العزيز سليمان نوار : وثائق أساسية من تاريخ لبنان ، مرجع سابق ، ص ٥٠٦ . وأيضًا : كارل بروكلمان : مرجع سابق ، ص ٧٤٥ . وأيضًا : جورج أنطونيوس : مرجع سابق ، ص ١٤٢ . وأيضًا : الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين ، المجموعة ٣ ، ص ١٤ ، ١٧ ، ١٩ .

وهكذا استطاع الإنجليز بفضل هذه الثورة العربية أن يستفيدوا منها بالتقدم لمطاردة الأتراك فى فلسطين بعد أن أضحوا فى مأمن من أى هجوم قد تتعرض له قواتهم فى أثناء تقدمها من ناحية الجنوب ، وبعد أن صار طريق السويس والبحر الأحمر فى مأمن من أى تهديد محتمل أن يقوم به العدو ، ولما كان عبد العزيز آل سعود فى نجد فى شرق الجزيرة العربية حليفًا لإنجلترا ، فقد تم بفضل هذه الثورة العربية فى الحجاز إنشاء حزام عربى موال لإنجلترا يمتد من البحر الأحمر إلى الخليج الفارسى والمحيط الهندى ، وصار طريقهم إلى الهند فى مأمن من أى عدوان .

هذه المرحلة من الحرب على الأرض العربية قد جعلت الشريف حسين يجند بعد إعلان ثورته مايقرب من ٢٥,٠٠٠ جندى ، ويعلن الحرب على تركيا . هذه الحرب التى كانت من الأسباب المساعدة والمؤثرة في انتصار إنجلترا بقيادة الجنرال اللنبى قائد القوات البريطانية فى مصر على القوات التركية التى تشتت جهدها فى هذه الظروف المعقدة ، إذ فتحت أمامها أكثر من جهة تحارب فيها فى وقت واحد ، العرب والإنجليز . وفى نفس الوقت فشلت خطة الألمان التى كانت تأمل فى استخدام قوات تركيا فى الحجاز لإيجاد جسر يوصل بين المستعمرات الألمانية فى شرق أفريقيا وبين ألمانيا عن طريق تركيا نفسها بعد القضاء على الإنجليز فى عدن ، فكانت الثورة ضد الأتراك فى الحجاز قد أفسدت على الألمان هذه الخطة .

وقبل الوصول إلى الاتفاق النهائى بين الطرفين كانت مفاوضات من نوع آخر قد بدأت فى مارس سنة ١٩١٥ بين بريطانيا وفرنسا وروسيا ، وهى الدول المتحالفة والمشتركة فى الحرب ضد ألمانيا وتركيا ، ومالبثت أن وصلت هذه المفاوضات إلى مرحلة جديدة منذ شهر ديسمبر من العام نفسه ، وأدت إلى توقيع اتفاق منسوب للمندوبين الإنجليزى والفرنسى اللذين قاما بالدور الرئيسى فى المباحثات التى أفضت إلي التفاهم بين بلديهما وإلى الاتفاق الذى اشتركت فيه روسيا ووافقت عليه[١] .

والمندوبان اللذان تم توقيع الاتفاق باسميهما يمثلان كل منهما دولته ، فمستر مارك سايكس كان نائبًا فى مجلس العموم البريطانى ويعتبره الإنجليز حجة فى شئون الشرق الأدنى،

---

١ - محمد أنيس : مرجع سابق ، ص ٢٨٥ . وأيضًا :

Hurewitz, op. cit., vol. 4, p. 18 .

أما شارل فرانسو جورج فكان قنصلاً عامًا لفرنسا فى بيروت قبل أن تعينه حكومته فى ٩نوفمبر سنة ١٩١٥ لمتابعة شئون الشرق الأدنى[١] .

وهنا تنتهى المرحلة الأولى من مراحل تطور السياسة الإنجليزية والفرنسية نحو الثورة العربية ، وذلك قبل إعلانها لتستقبل مرحلة جديدة ، تبدأ بوصول جورج بيكو آخر قنصل لفرنسا فى بيروت قبل الحرب إلى القاهرة حيث وافاه السير مارك سايكس مندوب إنجلترا فشرعا فى مفاوضاتهما لوضع صيغة المواد التى اتفقت الحكومتان على وضعهما لاقتسام بلاد الشام والعراق ، وبديهى أنهما لم يجدا عناء فى الاتفاق على الصيغ المطلوبة ، لأن كل شئ كان مقرراً ، فوقعا على الاتفاق فى القاهرة يوم ١٦ مايو سنة ١٩١٦ ، أى قبل إعلان ثورة الحجاز ، وقد أضيف اسميهما إلى الاتفاق وعرف باتفاق سايكس - بيكو [٢].

ولعل أهم مايلفت النظر عند بحث اتفاق سايكس - بيكو أنه يشترك مع مراسلات الحسين - مكماهون فى أن بعضهما كان واحداً ، والموقف العسكرى الناشئ من تصور القيام بعمل عسكرى حاسم فى الجبهة الغربية من أوربا ، فى آخر سنة ١٩١٤م ، أى بعد شهور قليلة من بدء الحرب ، ومن الثابت أن الإنجليز وقت دخول تركيا الحرب إلى جانب دول الوسط ألمانيا والنمسا فى أكتوبر ونوفمبر ، كانوا قد جعلوا كل جهودهم لإحراز نصر حاسم فى الجبهة الغربية لإنهاء الحرب بعد وقت قصير [٣].

ومما يلفت النظر ويؤكد خداع إنجلترا للشريف حسين ، أن هذا الاتفاق لم يعلن فى حينه ، ولذا لم تكن الثورة على علم عندما بدأت فى مكة يوم ١٠ يونيو سنة ١٩١٦ ، بإطلاق النار على ثكنات الجيش التركى العسكرية وضرب الحصار على الحاميات التركية فيه ، وهى الثورة التى زحفت بعد ذلك من الحجاز إلى الشام ، واتخذت صفة عربية عامة بما انضم إليها من قبائل من شرق الأردن وفلسطين وسوريا ، وأصبح جيشها هو الجناح الأيمن لجيش الحلفاء المتقدم من مصر إلي فلسطين وسوريا بقيادة اللنبى ، وبذا تعاونت الحركتان العسكريتان الإنجليزية غرب الأردن والعربية شرقه على إزالة الحكم العثمانى فى بلاد الشام [٤].

---

١ - محمد أنيس : مرجع سابق ، ص ٢٨٥ . وأيضًا : على جودت : مرجع سابق ، ص ٣٩ . وأيضًا : أمين سعيد : مرجع سابق ، ص ١٤٠ . وأيضًا :

Holt, op. cit., p. 277 .

٢ - Hurewitz, op. cit., vol. 4, p. 18 . Also : Djemal Pasha, op. cit., p. 234 .

٣ - محمد أنيس : مرجع سابق ، ص ٢٨٥ .

٤ - Djemal Pasha, op. cit., p. 233 . وأيضًا : عادل الجادر : مرجع سابق ، ص ٢٤ .

وفى نفس الوقت وإمعانًا فى الخداع واعتقاداً أن ذلك يرضى غرور الشريف حسين الرجل الطموح أنها اعترفت به ملكًا على البلاد لعربية وأصبحت تناديه بلقب صاحب الجلالة ، كما ورد فى الصحف المصرية حينما أرسل مندوب الشريف حسين والموجود بمصر نص بيان الاعتراف من إنجلترا بكونه ملك على العرب ، وقد جاء فيه " اعترفت الحكومة البريطانية وحكومة جمهورية فرنسا رسميًا بشريف مكة الأعظم ملكًا على الحجاز " ويلاحظ هنا أن الاعتراف المقصود به ملك الحجاز فقط وليس ملك للبلاد العربية المتفق بشأنها من قبل[١].

وإذا عدنا إلى شروط الاتفاق نجد أن بريطانيا وفرنسا قد حددتا بوضوح كل المناطق التى تخص كل منهما وتجاهلتا تمامًا رغبات الشريف حسين على أساس أن الوعود التى أعطيت له وعود مرحلية نظراً لظروف الحرب وأن هذا لايشكل قيوداً على تحركاتهما وتطلعاتهما نحو البلاد العربية ، وقد نصت هذه الاتفاقية المعقودة ى لندن بتاريخ ١٦ مايو سنة ١٩١٦ على عدة بنود وهى[٢] :

إن فرنسا وبريطانيا قد اتفقتا فيما بينهما على أن تعترفا وتحميا دولة عربية مستقلة أو حلف ولايات عربية تحت رئاسة رئيس عربى فى المنطقتين ، داخلية سوريا وداخلية العراق ويكون فى نفس الوقت لفرنسا نفوذ اقتصادى فى سوريا ولبريطانيا نفوذ اقتصادى فى العراق، وأن كلتا الحكومتين على استعداد لتقديم المستشارين والموظفين الأجانب بناء على طلب الحكومة العربية ، وكذلك يسمح لإنجلترا وفرنسا كل منها فى منطقتها بإنشاء حكومة مباشرة أو غير مباشرة ، وأن تعطى لبريطانيا ثغرى حيفا وعكا ، ويكون ميناء الإسكندرونة ميناءً حراً فيما يتعلق بالتجارة الإنجليزية ، وكذلك حددت الاتفاقية المدى الذى يجب أن تصل إليه سكة حديد بغداد ونظام الرسوم الجمركية فى هذه المناطق .

ونصت الاتفاقية على أن لا تتنازل أى دولة منهما عن حقها لدولة أخرى بدون التشاور فى ذلك مسبقًا ، ولايجوز لأى منهما تملك أراضى فى جزيرة العرب وأن السلاح الذى يورد لهذه البلاد يخضع لإشراف كل منهما الدقيق[٣] .

---

١ - .Djemal Pasha, op. cit., p. 230 وأيضًا : أمين سعيد : مرجع سابق ، ص ١٨٠ .

٢ - عبد العزيز الشناوى ، جلال يحيى : مرجع سابق ، وثيقة رقم ١١ ، ص ١٠٨ ، وأيضًا : أمين سعيد : مرجع سابق ، ص ١٤٧ ، ١٤٨ . وأيضًا : وحيد علم الدين : مرجع سابق ، ص ص ٦٧ - ٦٨ . وأيضاً :

Rndolf. The changing Patterness of the Middle East, p. 72 .

٣ - F.O. 371/2267, Sykes-Pickot agreement, p. 232 - 233 .

هذه هى الخطوط العريضة لاتفاقية سايكس - بيكو والتى تمت بين إنجلترا وفرنسا لتقسيم العالم العربى بعد انتهاء الحرب بانتصار الحلفاء .

وهكذا تغلبت مصلحة كل من إنجلترا وفرنسا على وعود إنجلترا للملك حسين ، ولكن علينا أن نرى النتائج المترتبة على هذا الاتفاق ، إذ أنها مطابقة للواقع فى ذلك الوقت ولاتختلف المقدمات فى تلك الظروف عن نتائجها ، والسؤال المطروح الآن هل هناك اختلاف أساسى بين بنود معاهدة سايكس - بيكو وبين اتفاق حسين - مكماهون ؟ . وهل هناك نقاط لم يكن الشريف حسين على علم بها مسبقًا وظهرت فجأة فى الاتفاق (١) .

النصوص التى وردت فى اتفاق الشريف حسين ومكماهون كانت تظهر بوضوح رغبة فرنسا وانجلترا فى المناطق العربية ، فرنسا فى الشام وانجلترا فى العراق وفلسطين وإخراج ولايتى مرسين وأطنة وميناء الإسكندرونة من حدود الدولة العربية والتى ارتضاها الشريف حسين ، وجاءت بنود الاتفاق بين الدولتين موضحة تلك الحقوق لكل دولة فى المنطقة التى رغبت فيها ولها فيها مصالح واضحة ، فما هو إذن الاختلاف والقول بأن بريطانيا خدعت الشريف حسين(٢) .

كانت بريطانيا فى ذلك الوقت تبحث عن مصالحها وفكرت فعلا فى خلق دولة عربية كبرى فى المنطقة شريطة أن تخضع للنفوذ البريطانى ، كما هو واضح فى بنود المراسلات بين الشريف حسين ومكماهون وهو أمر ارتضاه الشريف حسين وذلك بطلب الخبراء والمستشارين والمساعدات المالية والعسكرية عند قيام هذه الدولة من الإنجليز(٣).

مثل هذه الدولة أرادت لها إنجلترا أن تخدم المصالح البريطانية فى المقام الأول بأن تجمع هذه المصالح فى بوتقة واحدة وتكون بمثابة حاجز للنفوذ الفرنسى الذى سيتمركز فى الشام ويريد أن يمّد نفوذه إلى العراق وفلسطين وإيران (٤).

وهكذا نجد أن الظروف الدولية هى التى عكست الأهداف والمصالح العليا لكل من الشريف حسين وبريطانيا ، صحيح أن الشريف حسين لم يكن على علم باتفاقية سايكس- بيكو

---

١ - محمد أنيس : مرجع سابق ، ص ٢٧٥ ، وانظر أيضًا : جلال يحيى : العالم العربى الحديث ، مرجع سابق ، ص ٢٨٥ . وأيضًا : . Holt, op, cit., p. 277
٢ - محمد أنيس : مرجع سابق ، ص ٢٧٦ .
٣ - حافظ وهبه : مرجع سابق ، ص ١٧١ . وأيضًا : حسين نصيف : مرجع سابق ، ص ٣٥ .
٤ - محمد أنيس : مرجع سابق ، ص ٢٧٦ .

ولكن كـان على علم مـسبق بوجـود اتفـاق بـالخطوط العـامـة لهـذا المـوضـوع وسبق أن تناوله مكماهون فى رسائله موضحًا للشريف أن فرنسا لها مصالح فى الشام يجب أن ينظر إليها بعين الاعتبار ولايمكن التغاضى عنها [١].

وهكذا نرى أن لهذه الثورة العربية التى قادها الشريف حسين فضل كبير فى كسب الإنجليز لهذه الحرب فـيمـا بعد ، إذ أنها ضمنت لهم السلامة لمواصلاتهم عبر قناة السويس والبحر الأحمر ، ومكنتهم من التقدم لمحاربة الأتراك فى فلسطين بعد أن ضمنوا عدم تعرضهم للغزو من الجنوب ، ووضعت هذه الثورة عقبة أمام أى نشاط تركى ألمانى فى هذه المنطقة وعرقلت دعوة السلطان العثمانى إلى الجهاد ، واعترف جمال باشا فى دمشق بعد قيام الثورة وانشغال الأتراك فى القضاء عليها حيث قال إن دعوة الجهاد عرقلها رجل فى قلب العالم الإسلامى ، إذ تحالف مع الدولة المسيحية ، ومع ذلك لايخجل أن يدعى أنه سليل النبوة ، لقد اضطرت أعمال هذا الرجل الدولة العثمانية أن توجه قوات لمحاربته كان يمكن توجيهها لمحاربة الإنجليز فى القناة ومصر ، وكان ذلك فى حفل أقيم لرئيس مجلس الدولة العثمانى ونشرته صحيفة الشرق التى تصدر فى دمشق [٢].

الملك عبد العزيز وموقفه من الحرب العالمية الأولى :

عندما نشبت الحرب فى سنة ١٩١٤ كان السلطان عبد العزيز آل سعود منبسطًا على قرابة ثلث مليون كليو متر مربع ، يمتد هذا الملك الشاسع من جنوبى الكويت إلى شمال قطر على الخليج الفارسى ، ومن قطر جنوبًا إلى وادى الدواسر وغربًا إلى أطراف الحجاز ، ومن وادى الدواسر فى الجنوب إلى جبل شمر فى الشمال ، أكبر رقعة يملكها أمير فى الجزيرة ، وكان عبد العزيز دائبًا على محاربة عدو واحد فى الشمال الغربى من شبه الجزيرة وهو ابن الرشيد ، وكان في نفس الوقت يجامل عدواً يلبس لباس الصديق فى الغرب وهو الشريف حسين ، وكان كذلك يوالى صديقًا يعمل عمل العدو فى الشمال وهو مبارك بن الصباح أمير الكويت[٣] .

كان هذا هو مسرح الأحداث فى بداية الحرب العالمية الأولى عندما اضطر عبد العزيز بن سعود إلى التعامل مع هؤلاء الجيران الأصدقاء والأعداء الألداء فى نفس الوقت ، وكانت

---

١ - عودة بطرس : مرجع سابق ، ص ٢٤٥ .

٢ - Dgemal, pasha, op. cit., p. 231 .

٣ - خير الدين الزركلى : مرجع سابق ، ص ٢١٥ .

لقدرته على التعامل مع هؤلاء آثار بعيدة بالنسبة لإمارته والإمارات المجاورة له خلال الحرب نفسها وسنواتها الأربع ، وكذلك بعد انتهائها بانتصار الحلفاء ، ولذلك يجب علينا تتبع مسار هذه العلاقة لأهميتها بالنسبة للحوادث التى جرت فى تلك الفترة (١).

كانت العداوة بين الأشراف فى مكة وآل سعود فى نجد تعود إلى التنافس وبسط النفوذ ، وهذه المشاكل بينهما تعود إلى جدّ الشريف أمير مكة قبل الحرب العالمية الأولى وهو الشريف محمد بن عون والذى كلف من قبل تركيا سنة ١٢٦٣هـ الموافق ١٨٤٥م بتولى حملة تركية للقضاء على سلطة الإمام فيصل جد الأمير عبد العزيز ، فوصلت هذه الحملة إلى القصيم ، غير أن الإمام فيصل كان بعيد النظر وعلى قدر كبير من الذكاء فأفشل هذه المؤامرة بالاتفاق مع الأتراك على أن يكون مستقلاً فى بلاده ويكون خاضعًا لسيادتهم ، ويدفع لهم مبلغًا سنويًا قدره عشرة آلاف ريال(٢) .

وبعد انتهاء هذه المشكلة اعتقد الجميع أن العداوة بين العائلتين قد انتهت ، ولكن الزمن بدد هذا الظن ، وأظهر أن الأشراف فى مكة مازال الحقد يملأ قلوبهم على آل سعود ، حتى فى الوقت الذى كانوا فيه لاحول لهم ولاقوة بجانب قوة ونفوذ الأشراف فى مكة ، وظهر ذلك واضحًا عندما تحالف أشراف مكة مع ابن الرشيد فى حائل ضد السعوديين فى نجد وأصبح هذا التحالف مقدسًا بينهم مهما تغيرت الظروف (٣).

رضى العثمانيون بالأمر الواقع بعد أن احتل عبد العزيز الأحساء والقطيف من عاملهم ابن الرشيد بعد عودته من الكويت والتى طرد فيها وأسرته فترة ليست بالقصيرة ، بعد أن تآمر عليه الأتراك وابن الرشيد وعلى والده من قبل ، وعندما استولى على نجد اعتقدت تركيا أنه من السهل القضاء عليه ، ولكنه عاود هزيمة عمالهم وجيوشهم واحداً وراء الآخر حتى انتهى به الأمر إلى السيطرة على الأحساء والقطيف ، وأرسلوا يفاوضونه على الولاء والتبعية كما فعلوا مع جده فيصل من قبل ، وكان رسولهم فى هذه المفاوضات السيد طالب النقيب أحد رجالهم المعروفين فى ذلك الوقت ، ومعه أحد رسل السلطان محمد رشاد يحمل هدية من أنور باشا (٤).

---

١ - حافظ وهبه : مرجع سابق ، ص ٢١١ .
٢ - نفس المرجع السابق ، ص ٢١١ .
٣ - نفس المرجع السابق ، ص ٢١١ .
٤ - جريدة المقطم ، عدد رقم ٧٦٨٢ فى ١٩١٤/٧/١، وأيضًا : خير الدين الزركلى : مرجع سابق ، ص ص ٢١٢ - ٢١٣ . وأيضًا : سانت جون فيلبى : تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد عبد الوهاب السلفية ، ترجمة عمر الديراوى ، بيروت ١٩٦٧ ، ص ٣١٤ .

وكان عبد العزيز يوجد بمكان يقال له الصبيحية على مقربة من الكويت عندما جاء الوفد ، فقابل الرسول ومن معه وطلبوا منه أن يكون للدولة التركية معتمدون في القطيف والأحساء ، فرفض عبد العزيز ، وطلب أن تكون العلاقات ولائية فقط وأن تساعده الدولة لقاء هذا الولاء بالأسلحة والذخيرة والمال ، وكان لابد لهم من عرض هذه المطالب على الحكومة فاستمهلوه إلى أن يراجعوا الباب العالي فأمهلهم وانصرفوا [١].

وعندما استقر الأمر لعبد العزيز في إمارته بدأ في ترتيب علاقاته مع جيرانه الأصدقاء والأعداء على السواء ، فمثلا كانت الصلات التي تربط آل صباح وآل سعود ودية يرعاها الفريقان بما ينميها ويقويها ، وكانت مصالحهما المشتركة تقضي عليهما التعاون ، ولو أنه كان يحدث في بعض الأحيان مايعكر صفو هذه العلاقات[٢] .

كذلك فقد جاور عبد العزيز بجانب الكويت قطر والبحرين ، وكانت حدوده بعيدة عن مسقط وعمان ، وركذلك فهو جار للعراق والعراق في ذلك الوقت تابع للدولة العثمانية ، ولم يكن هناك من الجيران من اشتدت العداوة معه إلا ابن الرشيد ولذلك بدأ عبد العزيز في ترتيب علاقاته بجيرانه ، ولما كانت تركيا قد تنازلت لانجلترا عن حقوقها في المشيخات العربية على ساحل الخليج ، فقد أصبحت هي جارته الكبرى والتي لابد من ترتيب الأمور معها حتى لا تتعقد المشاكل بينه وبين هذه الدولة العظمى ، ويكفي مايلقاه من الأتراك وعاملهم ابن الرشيد[٣] .

لذلك بادر الإنجليز بالاتصال مع عبد العزيز فأرسلوا له وكيلهم السياسي في البحرين فقابل عبد العزيز في منطقة العقير سنة ١٣٣١هـ/١٩١٣م ، وكان الحديث يدور في ذلك الاجتماع عن مصالح الطرفين وخطر امتداد النفوذ الألماني من العراق إلى الخليج والرغبة في وضع للتعاون معه على أساس جيد من العلاقات ، واستمرت الاجتماعات بينهما بحضور الوكيل السياسي البريطاني في الكويت سنة ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤م [٤].

---

١ - خير الدين زركلي : مرجع سابق ، ص ٢١٣ . وأيضًا : جمال زكريا : مرجع سابق ، ص ١٣٣ . وأيضــــا : Marlow, Arab nationalism and British imperialism p. 28, University Camprideg press, London, 1961 .

٢ - حافظ وهبه : مرجع سابق ، ص ٢٥٨ .

٣ - خير الدين زركلي : مرجع سابق ، ص ٢٨٠ ، وأيضًا : . Holt, op. cit., p. 263

٤ - سانت جون فيلبي : مرجع سابق ، ص ٣١٦ .

فكر عبد العزيز فى الأوضاع المحيطة به وكذلك فى أوضاع الجزيرة العربية ككل ، فوجد أن الانحياز إلى الدولة العثمانية ومعاونتها فى الحرب ضد الإنجليز وحلفائهم ، معناه فى أحسن الأحوال إبقاء نجد وكل البلاد العربية جزءاً لايتجزء من الإمبراطورية العثمانية فى وقت يتوق الكل للاستقلال فيه عن تركيا (١).

ومن هنا ندرك الدوافع التى جعلت عبد العزيز يرحب بالمعتمد البريطانى فى منطقة الخليج الفارسى عندما جاء إلى الرياض سنة ١٣٣٣هـ / ١٩١٤م ليتباحث معه فى موضوع عقد اتفاق بينه وبين بريطانيا ينحاز بموجبه إلى الحلفاء ، ويعادى العثمانيين ويقف ضدهم فى الحرب . وامتدت المفاوضات وقد استغرقت عدة أسابيع ، لكنها لم تصل إلى اتفاق مكتوب بسبب اختلاف وجهات النظر وتعذر التوفيق بين مطالب المشروع السعودى والبريطانى للاتفاقية المقترحة(٢) .

وفى نفس الوقت تحرك عبد العزيز لتعزيز مركزه وشخصيته فى الجزيرة العربية أمام الإنجليز حتى يستطيع أن يفاوضهم من مركز قوة ، فبعث بعدة رسائل إلى الشريف حسين وابن الرشيد وإمام اليمن ومبارك بن الصباح يطلب منهم الاتفاق على رأى موحد إزاء الحرب الدائرة الآن وأن يعقدوا اتفاقًا يؤدى إلى إنقاذ العرب ومصلحتهم وتقرير التحالف مع الدولة التى تتعهد بصيانة وتعزيز المصالح العربية ومصلحتهم كأمراء لبلادهم (٣).

ولكن لم يصل الجميع إلى اتفاق فيما بينهم فقد اقترح مبارك الصباح أن يقتصر الأمر على الاجتماع الذى يعقد فى إمارته والذى سيحضره اللورد هاردنج ، أما إمام اليمن فلم يرد أبداً على رسالة الملك عبد العزيز فى حين اكتفى الشريف حسين بإيفاد ابنه الأمير عبد الله إلى حدود نجد للتباحث فى الأمر مع رسول عبد العزيز ، ولكن الاثنين افترقا دون الوصول رلي نتيجة محددة ، أما ابن الرشيد فقد أصر على موقفه المؤيد للدولة العثمانية ، وصارح عبد العزيز بأنه من رجال الدولة يحارب من حاربت ويصالح إذا صالحت(٤) .

---

١ - جلال يحيى : العالم العربى الحديث ، مرجع سابق ، ص ٣٤ .
٢ - جلال يحيى : العالم العربى ، ص ٢١ ، وأيضًا :
Fisher, The Middle East in history, p. 376 .
٣ - جمال زكريا : المؤثرات السياسية للحرب العالمية الأولى على إمارات الخليج العربى ، المجلة التاريخية المصرية ، م ١٦ ، ص ١٣٣ . وأيضًا : خير الدين زركلى : مرجع سابق ، ص ٢١٦ .
٤ - خير الدين الزركلى : مرجع سابق ، ص ١٩٨ .

هذا عن موقف عبد العزيز ومواقف الأمراء المجاورين له ، أما عن الدولة العثمانية فإنها لم تضيع الفرصة من جانبها فطلبت عند نشوب الحرب مساعدة عبد العزيز آل سعود والأمير ابن الرشيد ، كما طلبت من عبد العزيز أن يمدها بالمجاهدين لكي يشتركوا في حرب قناة السويس وأن يساعدوها أيضًا في صد هجمات الإنجليز على العراق (١).

في نفس الوقت الذي بدأت فيه إنجلترا تهتم هي الأخرى بعبد العزيز ، وهذا الاهتمام قد بدأ قبل نشوب الحرب ببضعة أشهر وقد توّج هذا الاهتمام بوصول مبعوث إنجليزي يسمى شكسبير Shakespeare موفداً إلى أمير نجد من قبل السير برس كوكس المقيم البريطاني في الخليج الفارسي بقصد التعرف على شخصية ابن سعود عن قرب ، ومشاهدة ملكه العريض الذي امتد حتى شمل معظم الجزيرة العربية ، وقد بعث شكسبير إلى حكومته بتقرير مفصل عن مشاهداته في نجد ، وقد أكد هذا التقرير نجاح عبد العزيز في السيطرة على القبائل ومنعها من عاداتها المتوارثة وإشاعة الأمن في البلاد بعد أن كانت مسرحًا للقتال والنهب(٢).

انقضت شهور قليلة عاود بعدها الإنجليز محاولة الوصول إلى اتفاق مع عبد العزيز ، فأرسلوا إليه هذه المرة برس كوكس الذي حل محل الكابتن شكسبير ، فكانت مباحثات جديدة انتهت بالتوقيع على أول معاهدة بين الإمارة السعودية وحكومة انجلترا ، وبموجب بنود هذه المعاهدة ،اعترفت الحكومة الإنجليزية بأن نجد والأحساء والقطيف وجبيل وملحقاتها والمواني التابعة لها على ساحل الخليج ، كلها مقاطعات تابعة للأمير عبد العزيز بن سعود وآبائه من قبل ، وهي تعترف به حاكمًا مستقلاً على هذه الأراضي ، ورئيسًا مطلقًا على جميع القبائل الموجودة فيها ، وتعترف بأولاده وأحفاده الوراثين من بعده على أن يكون خليفته منتخبًا من قبله ومن قبل الحاكم بعده ، وألا يكون مناوئًا للحكومة البريطانية وألا يكون ضد المبادئ التي أدرجت في هذه المعاهدة(٣) .

---

١ – جمال زكريا : المؤثرات السياسية للحرب العالمية الأولى على إمارات الخليج العربي ، مرجع سابق ، وأيضًا : خير الدين زركلي ، مرجع سابق ، ص ٢٢٦ . وأيضًا : محمد منير البديوي : المتوكل على الودود عبد العزيز آل سعود ، مطبعة البادية ، الرياض ، ١٩٧٧م ، ص ١٨٦ .

٢ – F.O. 371/11445, No. 9037, p. 172 . وأيضًا : حافظ وهبه ، ص ٢٦١ . وأيضًا : فيلبي : مرجع سابق ، ص ٣١٧ . وأيضًا : جلال يحيى : العالم العربي الحديث ، مرجع سابق ، ص ٣٥ . وأيضًا : صلاح الدين المختار : مرجع سابق ، ص ١٦٢ .

٣ – خير الدين الزركلي : مرجع سابق ، ص ٢٨١ . وأيضًا : جلال يحيى : العالم العربي الحديث ، مرجع سابق ، ص ٢١ . وأيضًا : وحيد علم الدين : مرجع سابق ، ص ٦٩ . وأيضًا : أحمد عسه ، معجزة فوق الرمال ، المطابع الأهلية اللبنانية ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ص ٦٤ .

وقد يكون من المناسب أن نحلل هنا أهمية تلك المعاهدة بالنسبة لكل من عبد العزيز والحكومة الإنجليزية ، فبالنسبة للأخيرة نستطيع أن نحدد النقاط التى وردت فيها على النحو التالى : أن عقد معاهدة مع الأمير عبد العزيز يمكن أن تؤدى إلي سلامة المواصلات البريطانية إلى العراق ، كما يمكن لعبد العزيز بارتباطه مع بريطانيا أن يقف ضد الاتجاه الموالى للأتراك من خلفاء الشيخ مبارك على الرغم من تعهده فى هذه المعاهدة بعدم الاعتداء على الكويت ولا على غيرها من الإمارات المرتبطة ببريطانيا [١].

علاوة على أن اجتذاب الحكومة الإنجليزية لابن سعود إلى جانبها يجعلها تضمن عدم عدائه لشريف مكة الحسين بن على الذى كان قد أصبح منوطًا به القيام بدور هام لصالح انجلترا خاصة وأن عبد العزيز لم يكن صديقًا للشريف حسين بعد أن قامت بينهما الكثير من الصراعات [٢].

وعلى أن حال فقد أمن عبد العزيز بهذه الاتفاقية على ممتلكاته ضد أى خطر خارجى ، واعتقد أنها تسمح له بمهاجمة الحجاز وانتزاعه من الشريف حسين ، ولكنه كان يجهل بقية خطوط الدسائس الإنجليزية فى باقى البلاد العربية ، وسرعان ما أعلن الشريف حسين الثورة العربية ضد الدولة العثمانية ، ولذا بدأ فى التعاون تعاونًا وثيقًا مع قوات الحلفاء فى الشرق الأدنى ، وحينئذ علم ابن سعود أن خصمه قد أصبح حليف بريطانيا الأول فى المنطقة وأنه قيد نفسه بصداقته مادام صديقًا لإنجلترا [٣].

وهنا يجدر بنا أن نقيّم موقف الملك عبد العزيز من تطورات الحرب العالمية الأولى ، إذ أنه قد تعرض لجدل عنيف ولاختلاف وجهة نظر الكتاب الذين عرضوا لهذا الموضوع ، فهناك من اعتبره التزم جانب الإنجليز وهناك من اعتبره قد وقف موقف الحياد ، وفى تقديرنا أن عبد

---

١ - . The Book of admiralty general, vol. 1,p. 303 ، وأيضًا : جمال زكريا : مرجع سابق ، ص ٣٠٩ . وأيضًا : صلاح الدين المختار : مرجع سابق ، ص ١٧١ .

٢ - . Foteign office, persian Gulk, No. 67, p. 96. Also : Marlow, op. cit., p. 138

وأيضًا : جمال زكريا : موقف الكويت من التوسع السعودى فى نجد وسواحل الأحساء ، المجلة التاريخية المصرية ، م ١٧ ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص ٣٠٩ .

٣ - جلال يحيى : العالم العربى الحديث ، مرجع سابق ، ص ٣١ . وأيضًا : خير الدين الزركلى : مرجع سابق ، ص ٢١٦ . وأيضًا : جمال زكريا : المؤثرات السياسية ، مرجع سابق ، ص ١٣٤ .

العزيز انحاز فعلاً للإنجليز على الرغم من أنه لم يكن حليفًا رسميًا لهم ، إذ أنه من الناحية القانونية لم يخرج عن موقف الحياد طيلة سنوات الحرب ، إذا ما قارناه بالشريف حسين مثلاً الذى صار حليفًا رسميًا للإنجليز [١].

ويرى كثير من المؤرخين أن عبد العزيز انحاز للإنجليز منذ أكد للمبعوث البريطانى شكسبير أنه ملتزم بجانب بريطانيا وأنه مسرور من تلك الفرصة التى استوجبت تأسيس علاقات جديدة وسليمة بينه وبين بريطانيا ، وهكذا أدخل عبد العزيز فى قائمة الأمراء الذين ساعدوا انجلترا خلال الحرب ، وأن الإخلاص الذى ساند به الإنجليز طوال الحرب ليعبر عنه قول أحد الدبلوماسيين الإنجليز فى الشرق الأدنى سير ريدر بولارد " لقد كانت مساعدة عبد العزيز قيمة ولو كان تسلم مقداراً أكبر من السلاح لكان حليفًا أكثر نفعًا " [٢].

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان الشريف حسين يجهل الاتفاقية التى عقدتها بريطانيا مع عبد العزيز سنة ١٩١٥م / ١٣٣٣هـ ، كما حرصت الحكومة البريطانية على إبقاء نصوص اتفاقها ومراسلاتها مع الشريف حسين سراً بالنسبة لعبد العزيز ، وإن كان كل منهما قد عرف بوجود اتفاق يربط الآخر ببريطانيا ويضمن وقوفه إلى جانبه وضد الدولة العثمانية ولابد أن يعرف منهما حقيقة وتفاصيل الاتفاق[٣].

وعندما أتيح فيما بعد الاطلاع على نصوص الاتفاقيتين ، تبين أن بينهما من العهود المتناقضة ما يحير ويدعو إلى الشك فيما إذا كانت الحكومة الإنجليزية قد تمسكت بمبادئ الأخلاق والشرف عند عقدهما ، ولم تتكشف أسباب هذه الحيرة إلا عندما عرف أن السلطات البرطانية فى الهند التابعة رأسًا للندن هى التى تولت أمر التعاقد مع عبد العزيز باسم الحكومة البريطانية ، فى حين تولى المعتمد البريطانى فى القاهرة التعاقد مع الشريف حسين باسم حكومته ، لأنه بعد فرض سيادته على الأحساء أصبح مطلاً على الخليج العربى ، فى حين كان المعتمد البريطانى فى القاهرة يهتم بضرب القوة العسكرية العثمانية فى شبه الجزيرة

---

١ - جمال زكريا : المؤثرات السياسية ، مرجع سابق ، ص ١٤٣ .

٢ - Dickson, Kuwait andthe Neighbours, p. 244. University Oxford press, London, 1960.

وأيضًا : صلاح الدين المختار : مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص ١٧٦ .

٣ - F.O. 371/11445, No. 4037, p. 172 .

العربية وفى بلاد الشام والعراق ، لذلك فقد عمل على استرضاء الشريف حسين الذى كانت له صلات وثيقة مع الجمعيات العربية القومية فى بلاد الشام ، ليقود ثورة عربية تساعد على هزيمة القوات العثمانية ، وتسهل الطريق أمام القوات البريطانية لتنطلق من مصر وتنزل الهزيمة بالقوات العثمانية فى بلاد الشرق العربى[١] .

أما تقييم هذه المعاهدة بالنسبة لابن سعود فقد توصل بها عبد العزيز إلى أحسن مايمكن التوصل إليه فى ذلك الوقت للحفاظ على إمارته الناشئة وسط اضطرابات الحرب العالمية الأولى . فقد كان يرغب فى عقد هذه المعاهدة مع بريطانيا يعضد بها موقفه من الشريف حسين خاصة بعد ماتوقعه من أن تؤثر صداقة بريطانيا للشريف حسين فى مركزه فضلا عن توتره إزاء الصراع الذى كان لم يحسم بعد بينه وبين غريمه ابن الرشيد فى حائل[٢] .

وكانت المساعدات المالية والعسكرية التى قدمتها بريطانيا لعبد العزيز فوق ماكان يحلم به فى ذلك الوقت ، علاوة على ضمان بريطانيا لمركز عبد العزيز وإمارته الناشئة ، إلا أن عبد العزيز اعتبر أن هذه المعاهدة تحط من قدّره ، فهى لم تنظر إليه إلا على أنه واحد من شيوخ الخليج الذين خضعوا من قبل لبريطانيا ومرتبطين معها بمعاهدات مانعة Exdusive Treatie[٣].

وكان لعبد العزيز الحق فى شعوره بذلك إذ أن معاهدة القطيف تتضمن معظم البنود التى ذكرت فى معاهدات الشيوخ من قبل مثل عدم التنازل وعدم التأجير أو الرهن لأى قسم من أراضيه إلا بموافقة الحكومة البريطانية ، وكذلك عدم الاتصال بالحكومات الخارجية ، بالإضافة إلى ذلك وردت عدة بنود فى تلك المعاهدة لم ترد فى المعاهدات المماثلة لها نتيجة للظروف الجديدة التى نتجت عن نشوب الحرب والغرض منها حماية ابن سعود من أى اعتداء يقع عليه من دولة أخرى خارجية ويقصد بها تركيا [٤].

---

١ - F.O. 371/ 2486 .

٢ - Marlowe, op. cit. p. 44 .

وأيضًا : صلاح الدين المختار : مرجع سابق ، ص ٣٧٩ .

٣ - محمد رشيد رضا : الوهابيون والحجاز ، مرجع سابق ، ص ص ٧٣ - ٧٤ . وأيضًا : مجلة المنار ، المجلد ١٧ ، جزء ١٢ ، القاهرة ، سبتمبر ١٩٢٦ .

٤ - جمال زكريا : المؤثرات السياسية : مرجع سابق ، ص ١٤١ . وأيضًا :

Philby, Saudi Arabia, pp. 272 - 273, University Oxford press, London, 1970 .

وهناك فائدة أخرى لعبد العزيز ذلك أن الحاجة دفعته لتوقيع هذه المعاهدة وهى خوفه الشديد من أن ظروف الحرب سوف تؤدى بانجلترا إلى احتلال موانئ نجد والأحساء باعتبارها من ممتلكات الدولة العثمانية ، لذلك كان يحرص على عقد تلك المعاهدة التى تعترف له فيها بريطانيا بأن هذه البلاد أضحت بلاده وأنه مستقل فيها [١].

ويمكن أن نستتنج من ذلك كله أن الأمير عبد العزيز كان بعيد النظر لأنه كان يقدر جيداً قوة بريطانيا فى الخليج وعلاقاتها بالمشايخ هناك ، ومقدار قوتها فى الهند ، وقوة أساطيلها فى الهند البحرية والعسكرية ، ومقدار خطرها على موانى الأحساء التى ضمها منذ فترة بسيطة إلى ممتلكاته وإمكانهم أن يحرموه من ثمرة انتصاراته تلك فى أى وقت يريدون لو وقف ضدهم[٢] .

وكذلك فقد كان من نتائج توقيع تلك المعاهدة بالنسبة لعبد العزيز أن توسط السير برس كوكس بين عبد العزيز وسالم الصباح أمير الكويت ، إذ قبل عبد العزيز أن يوقف استعداده العسكرى ضد قبائل العجمان على شرط أن تقوم إمارة الكويت بطردهم من أراضيها ، وذلك لأن أمير الكويت كان يرغب فى توسيع حدود الإمارة على حساب مناطق العجمان فى الجنوب من إمارته ، فساعدهم على الثورة ضد ابن سعود مما جعل مركزه حرجًا من كل جانب ، وكان فى موقف لا يحسد عليه ، فابن الرشيد يعد الجيوش لمداهمة نجد والشريف حسين يعمل بكل طاقته على إضعافه وأمير الكويت يشجع القبائل الثائرة ضده[٣] .

ولذلك استمرت الاتصالات بين عبد العزيز والإنجليز لمواجهة الظروف الجديدة وحتى يعرف كل منهما ماينوى الآخر فعله ، خاصة وأن هناك مصلحة مشتركة تتمثل فى ابن الرشيد عدو عبد العزيز الأول وعدو الإنجليز لأنه رجل تركيا فى المنطقة ، وكذلك ما جدِ من موقف خاصة بعد اعتراف الإنجليز بالشريف حسين ملكًا على الحجاز وإصرار الشريف حسين على أنه ملك

---

١ - محمد رشيد رضا : الوهابيون والحجاز ، مرجع سابق ، ص ٧٤ ، وأيضًا : جمال زكريا : المؤثرات السياسية : مرجع سابق ، ص ١٤١ .

٢ - جمال زكريا : المؤثرات السياسية ، مرجع سابق ، ص ١٤٢ ، وأيضًا : حافظ وهبه : مرجع سابق ، ص ٢٥ . وأيضًا : الزركلى : مرجع سابق ، ص ٢٢٦ .

٣ - جون فيلبى : مرجع سابق ، ص ٣١٨ . وأيضًا : جمال زكريا : المؤثرات السياسية : مرجع سابق ، ص ١٤٣ . وأيضًا : جلال يحيى : العالم العربى الحديث ، مرجع سابق ، ص ٣٥ .

العرب ، وقد أرسلت انجلترا لعبد العزيز عن طريق معتمدها فى الخليج السير برس كوكس بأن مصلحة بريطانيا فى عدم المساس باستقلاله مهما توطدت العلاقات بينها وبين الشريف حسين(١) .

بالإضافة إلى ذلك فقد شعر عبد العزيز بالتخوف من المستقبل إذ أن بريطانيا فرضت الحصار على موانئ الكويت لكى تمنع تسرب المواد الغذائية والحربية من الكويت ووصولها إلى الأتراك وحلفائهم فى المنطقة خاصة بادية الشام ، وهنا طلبت انجلترا من عبد العزيز الحضور إلى الكويت لحضور اجتماع المشايخ المؤيدين لإنجلترا ولبحث أفضل السبل إلى التعاون بينهما فى هذا المجال ، وقد تم فعلاً هذا الاجتماع فى ٢٣ نوفمبر سنة ١٩١٦م (٢) .

وفى هذا الاجتماع تم بحث العلاقات السعودية الكويتية التى كانت تمر بمرحلة حرجة بعد تشجيع أمير الكويت لقبائل العجمان ضد ابن سعود ، وتصرفات أمير الكويت ضد ابن سعود إذ أنه لم يكن مطمئنًا إلى تضخم قوة عبد العزيز خاصة بعد استيلائه على القصيم وعنيزة والأحساء ، وخوف مبارك أمير الكويت على إمارته من جراء هذا التوسع السعودى الكبير(٣) .

هذا عن علاقات عبد العزيز آل سعود وإمارته الناشئة بجيرانه فى حائل والكويت ، أما بالنسبة إلى الحجاز فقد حدثت فيها تطورات أزعجت عبد العزيز وجعلته يخشى على مستقبل إمارته الوليدة من طموح الشريف حسين فى مكة ، وذلك لأن الثورة فى الحجاز ضد الأتراك قد بدأت ، ووصل الخبر إلى الأمير عبد العزيز ، فما كان منه إلا أن اختط لنفسه مسلكًا سليمًا ، وإن كان فى نفس الوقت لم يخف القلق الشديد من أن مطامع الشريف حسين قد تتصادم مع مصالحه بعد ذلك (٤) .

---

١ - جون فيليبى : مرجع سابق ، ص ٣١٩ . وأيضًا : جمال زكريا : المؤثرات السياسية : مرجع سابق ، ص ١٤٥ . وأيضًا : الزركلى : مرجع سابق ، ص ٢٨٦ .

٢ - C.F. Montaque Pell, Britain and The Persian Gulf, Journal of the United Empire, vol, Vi, 31 December, 1916 .

وأيضًا : جمال زكريا : المؤثرات السياسية : مرجع سابق ، ص ١٤٦ . وأيضًا : الزركلى : مرجع سابق ، ص ٢٨٦ .

٣ - جمال زكريا : الخليج العربى ، مرجع سابق ، ص ٢٢٨ . وأيضًا : جمال زكريا : المؤثرات السياسية، ص ١٤٩ . وأيضًا : صلاح الدين المختار : مرجع سابق ، ص ١٦٨ .

٤ - حافظ وهبه : مرجع سابق ، ص ٢٦١ . أيضًا : جون فيليبى : مرجع سابق : ص ٣٩١ .

وكانت الحكومة البريطانية فى الوقت نفسه صديقة لعبد العزيز ومتحالفة تحالفًا وثيقًا مع الشريف حسين ، وقد قررت نتيجة لذلك أن تدعم الثورة العربية بأى ثمن فألقت على عاتق السير برس كوكس مهمة أن يلعب دور المهدئ للأمير عبد العزيز من مخاوفه ، غير أن هذه التأكيدات التى أعطاها لعبد العزيز لم تقتلع هذه المخاوف أو تخفف من قلقه (١).

ومما زاد فى هذا القلق أن الشريف حسين بعد أن أعلن الثورة ضد الأتراك فى الحجاز ، أعلن نفسه ملكًا على العرب ، وهذا الأمر اعتبره عبد العزيز أكبر تهديد لاستقلال نجد ، ورأى فى ذلك أنه لايحق للحسين أن يتحدث باسم العرب جميعًا ، فما بالك بإعلان نفسه ملكًا عليهم ، ودون أن يحصل منهم على البيعة التى تجعله ملكًا شرعيًا ، وكان هذا بداية الانشقاق السياسى بين القوتين الناشئتين فى شبه الجزيرة العربية فى ذلك الوقت ، قوة السعوديين فى نجد ، وقوة الأشراف الهاشميين فى الحجاز (٢).

وعلاوة على ذلك فإن الشريف حسين لم يكتف بما فعله حتى يزيد من ضيق وقلق عبد العزيز ، بل طلب منه أن يمده بالرجال لمقاتلة الأتراك ثم زادت مخاوف عبد العزيز حين استلم مبلغ الخمسة آلاف جنيه ، التى وعدته بها بريطانيا شهريًا ، من ملك الحجاز الشريف حسين ، مما يجعله فى مركز التابع للملك وهذا مركز لايرضى به أبداً (٣).

ويجدر بنا أن نشير إلى أن الدور الذى أخذه الشريف حسين بالتحالف مع الإنجليز والقيام بالثورة ، كان يمكن أن يكون من نصيب عبد العزيز بدلاً من الشريف حسين إذ أن حكومة الهند الإنجليزية قبل ذلك كانت قد طرحت فكرة قيام عبد العزيز بالثورة العربية ، وكانت قد عرضت عليه هذا الموضوع بواسطة مندوبها شكسبير ، ولكن مقتله فى موقعة جراب غير الخطة كلها ، فحل الملك حسين بدلا من الأول ، ولورنس بدلاً من الثانى ، وقد اكتفت إنجلترا فى ذلك الوقت بعقد معاهدة القطيف مع عبد العزيز (٤).

---

١ - جون فيلبى : مرجع سابق ، ص ٣١٩ .

٢ - جلال يحيى : العالم العربى الحديث ، مرجع سابق ، ص ٣٧ . وأيضًا : مصطفى النجار : مرجع سابق ، ص ٧٨ .

٣ - حافظ وهبه : مرجع سابق ، ص ٢٦١ . وأيضًا : خير الدين الزركلى : مرجع سابق ، ص ص ٣٠٨ - ٣٠٩ .

٤ - مصطفى النجار : مرجع سابق ، ص ٧٨ . وأيضًا : حافظ وهبه : مرجع سابق ، ص ٢٥٥ . وأيضًا : خير الدين الزركلى : مرجع سابق ، ص ٢٢٢ .

أرسل الشريف حسين إلى عبد العزيز بعد أن رفع علم الثورة على الأتراك باسم العرب ، وتولى بذلك قيادة الحركة العربية المتحالفة مع الإنجليز يطلب مساعدة عبد العزيز بإرسال الرجال للانضمام إلى جيشه المحارب للأتراك ، فكان رد عبد العزيز عليه أن يحدد الحدود التى تفصل بين الحجاز ونجد أولاً ، ولكن الشريف حسين لم يرتاح لهذا الطلب الذى جاء فى وقت غير مناسب (١).

وكما ذكرت من قبل فإن عبد العزيز لزم الحياد جهد طاقته فى هذه الحرب رغم تحالفه مع الإنجليز ، إلا أنه لم يقم بمحاربة الأتراك مباشرة مثل الشريف حسين ، ولكنه أذن لمن شاء من قبائل عتيبة وحرب بمساعدة الشريف حسين فى ثورته على الترك وهذا لم يقنع الشريف حسين، مما أدى ذلك إلى تفجر الموقف بينهما نتيجة سوء التفاهم الحاصل بينهما ، وتوجس كل منهما الخوف من الآخر (٢).

وتبع ذلك كله أن احتدم الخلاف بين الشريف حسين وعبد العزيز بسبب تربة والخرمة وكان الشريف حسين يرى أن القريتين من القرى التابعة للحجاز ، وكان عبد العزيز يراهما من قرى نجد ، وأعلن الشريف حسين أن البادية تفصل بين هاتين القريتين وبين نجد وأن أكثر أصحاب المزارع فيها من الأشراف ، فبيلته وأبناء عمومته والرئاسة فيها للأشراف ، فى حين أعلن السلطان عبد العزيز أن جبل حضن يفصل بينهما وبين الحجاز وتبعد تربة عنه بمسافة ٧٥ ميلاً إلى الجنوب والخرمة ٥٠ ميلاً إلى الشرق (٣).

كما أعلن عبد العزيز أن أهل القريتين جميعًا وفى جملتهم الأشراف حنابلة المذهب من عهد أسلافه ، ومازالوا على ولائهم لآل سعود ، وكان السلطان عبد العزيز كلما طلب البحث فى تعيين هذه الحدود ، يعنى هذه المنطقة الصغيرة المتنازع عليها بينهما ، كان الشريف حسين وأخيه عبد الله يذكران أنه يجب تأديب العصاة فى الشرق ، والمراد هنا أهل البادية الموجودة بها تربة والخرمة (٤).

---

١ - خير الدين الزركلى : مرجع سابق ، ص ٣١٠ . وأيضًا : جون فيلبى : مرجع سابق ، ص ٣١٩ . وأيضًا : أمين سعيد : مرجع سابق ، ص ١١٤ . وأيضًا : محمد منير البديوى : مرجع سابق ، ص ١٨٦ .

٢ - حافظ وهبه : مرجع سابق ، ص ٢٦١ . وأيضًا : حسين نصيف : مرجع سابق ، ص ١٨ .

٣ - محمد منير البديوى : مرجع سابق ، ص ١٨٧ .

٤ - جلال يحيى : العالم العربى الحديث : مرجع سابق ، ص ٣٨ . وأيضًا : حافظ وهبه : مرجع سابق ، ص ٢١٤ .

ولذلك عمل الحسين على إخضاع هذه الواحة لسلطته فى الحجاز ، رغم دخولها فى نطاق الأراضى التابعة للسعوديين ، ووجود كثير من الوهابيين فيها ، وكانت هذه الواحة سوقًا لبيع منتجات إقليم نجد ومواشيها إلى أهالى الحجاز ، فما أن أرسل الحسين قواته إلى تربة والخرمة لاحتلالهما حتى بادر عبد العزيز إلى استعادتهما وجعل هذا الموضوع حداً يوقف به توسع الدولة الحجازية فى ممتلكاته ، وليحد من أطماع الشريف حسين فى المستقبل [١].

ووقعت المعركة الفاصلة فى تربة بين قوات الملك حسين وبين رجال عبد العزيز من الإخوان وسقط على أرض المعركة خمسة آلاف قتيل ، وكان النصر فى جانب مقاتلى نجد الذين استولوا على غنائم حربية من بنادق ومدافع ورشاشات كثيرة ، ونجحوا بذلك فى كسر قوة الحسين الرئيسية فى الحجاز ، فى الوقت الذى تشتت فيه بقية قواته فى الشمال ضد الأراك ، وأصبحت بذلك القوة الرئيسية فى شبه الجزيرة العربية هى قوة نجد [٢].

وهنا اضطرت بريطانيا إلى الوقوف بجانب الحجاز ، متذرعة فى بذلك بوفائها بتعهداتها الدولية ، وطلبت من عبد العزيز آل سعود أن يترك تربة والخرمة أرضًا خلاء ، حتى تتم تسوية مشكلات مابعد الحرب والحدود ، وأن يعود فى الحال برجاله إلى نجد ، وهددته بأن الاتفاقية البريطانية السعودية (اتفاقية العقير) ستصبح لاغية فى حالة رفضه تنفيذ هذا الطلب ، بل وأنها ستتخذ التدابير اللازمة ضد هذه الحركة المعتدية على الحجاز ، أما فى حالة انسحاب نجد فإن بريطانيا ستقدر لعبد العزيز بن سعود عمله هذا وتعتبره دليلاً على الود والولاء[٣].

لذلك اضطر عبد العزيز آل سعود إلى الانسحاب بقواته من تربة صوب نجد ، ولكن العداء أصبح معلنًا بينه وبين الملك حسين ، وعمل عبد العزيز على تدعيم مركزه فى وسط الجزيرة نفسها ، واتخذ موقف المدافع عن بلاده حتى يضمن مساعدة بريطانيا أو حيادها فى العمليات، ولذلك وجه مجهوده ضد آل الرشيد فى حائل فى الشمال ، وساعدته الغنائم التى استولى عليها فى تربة وتخلى الدولة العثمانية عن آل الرشيد بعد الهزائم التى منيت بها فى المعارك فى فلسطين . هذه العوامل كلها دفعت عبد العزيز إلى ضم هذه المنطقة إلى ممتلكاته ،

---

١ - حافظ وهبه : مرجع سابق ، ص ٢١٤ . وأيضًا : محمد منير البديوى : مرجع سابق ، ص ١٨٧ .

٢ - جلال يحيى : العالم العربى الحديث : مرجع سابق ، ص ٣٨ . وأيضًا : حافظ وهبه : مرجع سابق ، ص ٢١٤ .

٣ - جلال يحيى : العالم العربى الحديث : مرجع سابق ، ص ص ٣٨ - ٤١ .

To: www.al-mostafa.com

وأعلن نفسه سلطانًا على نجد وملحقاتها ، وارتفعت أسهمه فى أعين العرب وأهميته فى نظر بريطانيا نفسها ، ووصل سلطان نجد إلى قمة عظمته ، ولكن عبد العزيز اضطر إلى الانتظار مضطراً حتى تحين الفرصة ويتغير موقف القوى الموجودة فى الميدان الواحدة من الأخرىَ ، ولكن انظاره ظلت متجهة إلى الحجاز [١].

عـلاوة على ذلك فـإن الإنجليـز من جانبهم بعد أن أقنعوا عبد العزيز بوقف القتال ضد الشريف حسين وأقنعوا الأخير بأن يتنازل عن لقب ملك العرب والاكتفاء بملك الحجاز حتى يكون كل منهم قد أرضى الآخر بتنازل يؤدى إلى تفاهم بينهما فيما بعد ، فكان هذا التنازل أول صدمة أصابت آمال الملك حسين ، كما أنها دلت على أن الإنجليز والفرنسيين حلفاءهم لايشاركون الشريف حسين فى فهمه لحدود ملكه ومملكته ، فى نفس الوقت فإن الشريف حسين اعتقد أن انتهاء الحرب سيزيل كل تلك الصعوبات والعقبات التى ظهرت أمامه وأن انجلترا ستعمل على إرضائه وإرضاء العرب الذين تحالفوا معهم وثاروا ضد الأتراك[٢].

ولكن هذا لم يمنع النزاع السياسى بين الشريف حسين وعبد العزيز ، أن ينتقل مؤقتًا إلى صراع اجتذاب القبائل بجانب كل منهما فى حالة الهدنة المؤقتة التى فرضها الإنجليز عليهم ، فالدعوة الوهابية بدأت فى الانتشار ، وأدى ذلك إلى دخول القبائل المتاخمة للحجاز من سبيع وعتيبة فى هذه الدعوة . وكانت هذه العشائر قد انضمت من قبل إلى الشريف حسين عندما أعلن الثورة ، وكان لها أثر يذكر فى فتح الطائف وجدة والتغلب على الحاميات التركية ، فمن آثارها ازدياد الجفاء بين الملك حسين والأمير عبد العزيز بالرغم من سعى الحكومة البريطانية وممثليها فى الخليج إلى التوفيق بين الفريقين [٣].

وهذه المساعى لم تؤد إلى نتائج مباشرة فى هذا الموضوع لأن كثيراً من العشائر التى كانت موالية للملك حسين دخلت فى الدعوة الوهابية الدينية ، وأصبحوا بمقتضى ذلك يرون أن ملك الحجاز ليس من حماة الدين ، بل العكس فهو حامى البدع ، كما أخذت زيارة شيوخ القبائل لأمير نجد تثير سخط الملك حسين ، واعتبر هذا خيانة عظمى له [٤].

---

١ – جلال يحيى : العالم العربى الحديث : مرجع سابق ، ص ٤٠ . وأيضًا : جمال زكريا : المؤثرات السياسية ، مرجع سابق ، ص ٢١٠ .

٢ – حافظ وهبة : مرجع سابق ، ص ١٧٢ .

٣ – نفس المرجع السابق ، ص ٢٦٣ .

٤ – جلال يحيى : العالم العربى الحديث : مرجع سابق ، ص ٣٧ . وأيضًا : حافظ وهبه : مرجع سابق ، ص ٢١١ .

وهكذا تبلور الموقف إلى عداء صريح بين الطرفين عبد العزيز سلطان نجد والشريف حسين ملك الحجاز ، ولكن تدخل بريطانيا لتهدئة النزاع مؤقتًا على الأقل كان فى مصلحتها بالدرجة الأولى إذ أنها لاتريد لعبد العزيز محاربة الشريف حسين سندها القوى فى حربها ضد الأتراك وإنما تريد أن يوجه قوته إلى ابن الرشيد حليف الأتراك ، وليترك لها عبد العزيز الشريف حسين يؤدى الدور الذى رسم له من خلال الثورة العربية وذلك بغرض تصفية الأتراك من شبه الجزيرة العربية ، وبعد أن تحقق أغراضها بالنصر ستترك كل منهما للآخر لترى من يحاول أن ينهى الآخر وهذا ما سنذكره فى الفصول القادمة أى فى نتائج الحرب العالمية الأولى.

عسير :

أما عسير وأميرها فله قصة أخرى مع الأتراك وهى فى حوادثها أكثر عنفًا وتصادمًا مع الأتراك ، إذ أنه لما اشتد الضغط على الحلفاء فى الجهة الغربية فى أوربا أيام الحرب العالمية الأولى فى السنة الثانية من نشوبها ، وأرادوا إثارة العرب على الترك أوعزت الحكومة البريطانية إلى مندوبيها الرسميِّين وغير الرسميين أن يتصلوا بزعماء العرب فى مختلف أقطارهم ، فكانت معاهدتهم مع محمد بن الإدريس أمير عسير فى سنة ١٣٣٣ هـ / ١٩١٥م فانقض على من فى بلاده من الأتراك ، وكانت محادثات الإنجليز الأولى مع الشريف حسين فى الحجاز ، وكان قد تردد الشريف فى بادئ الأمر ، وكانت محاولات الإنجليز لاستثارة عبد العزيز بن سعود فى الرياض وكان رسول الإنجليز فى ذلك مندوبهم شكسبير[١].

وهنا يجب أن نلقى الضوء على علاقات الإدريسى بالأتراك . إذ أنها مرت بتطورات ومفاجآت كثيرة ، ولو أنها كانت واضحة المعالم منذ بداية القرن العشرين . فالأتراك كانوا قد يئسوا من الإدريسى قبل نشوب الحرب العالمية الأولى وخاصة بعد أن تحالف مع الإيطاليين فى سنة ١٩١١م ، فأصبح عدوهم اللدود بعد تحالفه مع البريطانيين فى ٣٠ أبريل سنة ١٩١٥[٢].

---

١ - خير الدين الزركلى : مرجع سابق ، ص ٢١٩ . وأيضا :

Philby, Arabia High Lands, p. 30 .

وأيضًا : جورج انطونيوس : مرجع سابق ، ص ١٣٨ .

٢ - فاروق عثمان : سياسة بريطانيا فى عسير ، مرجع سابق ، ص ٢٤ . وأيضًا : أمين سعيد : مرجع سابق ، ص ص ١٤ - ١٥ .

وعلاوة على ذلك فقد حاول الأتراك مع الشيخ مبارك الصباح أمير الكويت والذى كان هو لآخر مرتبطًا مع بريطانيا بمعاهدة صداقة منذ سنة ١٨٩٩م ، وعقد معها معاهدة ثانية عندما قامت الحرب ، وتقضى هذه المعاهدة بقيام التحالف الفعلى بين الطرفين فى اليوم الثالث من نوفمبر سنة ١٩١٤م ، كذلك فإن رسل الترك الذين زاروا ابن سعود لهذا الغرض لم يحصلوا منه على وعد قاطع للوقوف إلى جانبهم ، وكانت حجته فى ذلك حرصه على تجنب هجوم بريطانيا على سواحله فى الخليج العربى ، ولهذا فقد تفاوض مع حكومة الهند الإنجليزية وانتهى ذلك كله بعقد معاهدة بينهما فى شهر ديسمبر سنة ١٩١٥ [١].

وفى هذه الحالة ضمن الإدريسى بعقد هذه المعاهدة حصوله على المساعدات البريطانية من أسلحة وأموال إلى جانب مساندة الأسطول البريطانى لتحركات القوات العسيرية فى تهامة ، كذلك فإن البريطانيين كانوا يعتبرون تحالفهم مع الإدريسى بمثابة إجراء وقائى ضد أية محاولات معادية قد يقوم بها الإمام يحيى صديق الترك ضد القوات البريطانية فى عدن [٢].

وهكذا بعد أن ضمن الإنجليز انضمام الإدريسى إلى جانبهم وقيامه بغارات مستمرة على القوات التركية فى عسير تشغلها عن منازلة الحلفاء فى الميادين الأخرى ، وتستنزف قدراً كبيراً من إمكانات الدولة العثمانية ، وسوف نستعرض ملخصًا لبنود هذه المعاهدة بين الإدريسى والإنجليز والتى حددت الأسس التى قام عليها التحالف مع انجلترا ، وموقف كل منهما بالنسبة للأتراك العدو المشترك لهما [٣] . أما بالنسبة للإمام يحيى صديق الترك فقد التزم الحياد إزاء القوتين المتحاربتين العثمانية والإنجليزية فى فترة الحرب تبعًا لما تقتضيه مصالحه الشخصية . تضمنت معاهدة الإدريسى والإنجليز البنود التالية [٤] .

---

١ – جمال زكريا : المؤثرات السياسية فى الخليج العربى ، مرجع سابق . وأيضًا :
Magorc Learance Mann, A buthabee, Birth of an Sheikhdam Also : C.F. British relations with Wahbees, ind, off political and external files, vol. 37, University Oxford press, 1964.

٢ – Jacob, H. Kings of Arabia, p. 288 - 230 . Edited by millis and Boon, London, 1923.
وأيضًا : فاروق عثمان : سياسة بريطانيا فى عسير : مرجع سابق ، ص ٤٠ . وأيضًا : مصطفى النجار ، مرجع سابق ، ص ٨٢ .

٣ – فاروق عثمان : سياسة بريطانيا فى عسير ، مرجع سابق ، ص ٤٠ . وأيضًا : مصطفى النجار : مرجع سابق ، ص ٧٨ . وأيضًا : أمين سعيد : مرجع سابق ، ص ١١٥ .

٤ – Hurewitz, J.C., op . cit., vol. 2, p. 12 . Also : Jacob, op. cit., p. 245 .
وأيضًا : محمد أنيس : مرجع سابق ، ص ٢٧٨ .

١ - إن هذه المعاهدة التى هى معاهدة صداقة وولاء قد وقع عليها الماجور جنرال شو المعتمد البريطانى فى عدن باسم حكومة بريطانيا العظمى والسيد مصطفى بن السيد عبد الله باسم حضرة السيد محمد على الإدريسى أمير ضبا وأطرافها .

٢ - القصد من هذه المعاهدة هو إعلان الحرب على الأتراك وتوطيد عرى الصداقة بين حكومة بريطانيا والسيد الإدريسى المذكور آنفًا وأعضاء قبيلته .

٣ - يتعهد الإدريسى بقتال الأتراك وأنه سيجتهد لطردهم من مواقعهم فى اليمن ، وأن يتعقبهم ، وأن يوسع أراضيه على حسابهم .

٤ - عمل الإدريسى الأساسى يتجه ضد الأتراك فقط ، ويمتنع عن كل حركة عدائية ضد الإمام يحيى مادام هذا لايضع يده فى يد الأتراك .

٥ - تتعهد الحكومة البريطانية بالمحافظة على أراضى السيد الإدريسى ، من كل اعتداء يقع من قبل أى عدو كان على السواحل وبضمان استقلاله فى أراضيه الخاصة ، وباستعمال كل الوسائل السياسية عند انتهاء الحرب فى سبيل التوفيق بين مطالب الإدريسى والإمام يحيى أو أى خصم آخر .

٦ - إن الحكومة البريطانية لاتقصد من هذه المعاهدة توسيع أراضيها مستقبلا فى غرب الجزيرة العربية ، ولكنها تتمنى بصورة واضحة أن ترى رؤساء العرب فى حالة سلمية وأخوية ، كل منهم فى منطقته ، وكل منهم موال للحكومة البريطانية .

٧ - إنه كدليل على تقدير حكومة بريطانيا للأعمال التى سيقوم بها الإدريسى فهى ستعاونه بالمال والسلاح ، وتستمر على ذلك طوال الحرب ، وستكون هذه المعاونة متناسبة مع ما سيقوم به الإدريسى من أعمال حربية .

٨ - تسمح الحكومة الإنجليزية للإدريسى أثناء الحصار البحرى المضروب على سواحل البلاد التابعة لتركيا فى البحر الأحمر ، أن يتاجر السيد الإدريسى مع عدن وسواحلها ، وهى تضمن استمرار هذه الحالة مادامت العلاقات الحسنة موجودة بين الطرفين .

٩ - تكون هذه المعاهدة نافذة المفعول على أثر موافقة حكومة الهند ، وأضيف إلى هذه المعاهدة ملحق بها وفيه منحت السلطات البريطانية جزيرة فرسان للإدريسى منعًا لمطالبة إيطاليا بها [١].

---

١ - فاروق عثمان : سياسة بريطانيا فى عسير : مرجع سابق ، ص ص ٤٠ - ٤١ . وأيضًا : وحيد علم الدين : مرجع سابق ، ص ص ٦٢ - ٦٣ . وأيضًا : أمين سعيد : مرجع سابق ، ص ١١٥ .

ونتيجة لهذه المعاهدة ، فقد قامت بريطانيا بتزويد الإدريسى بالسلاح والذخيرة والأموال اللازمة لتحركاته العسكرية ضد الأتراك . والملاحظ أن تحركات الإدريسى العسكرية ضد الأتراك فى عسير فى بداية الحرب ساندها الأسطول البريطانى فى البحر الأحمر ، وقد أزعجت هذه التحركات الأتراك إزعاجًا شديداً ، وأدت إلى إضعاف قوتهم وعدم تركيزهم العسكرى فى الجبهة الجنوبية المواجهة للبريطانيين فى عدن [١].

وكانت القوات التركية قد سيطرت على منطقة لحج فى بداية المعارك مع الإنجليز فى ٥ مايو سنة ١٩١٥ ، وزحفت على قرية الشيخ عثمان الواقعة شمالى عدن ، غير أن البريطانيين نجحوا فى إجلاء الترك من مواقعهم فى ٢٠ يوليو سنة ١٩١٥م ، فعادوا مهزومين إلى لحج واستقروا فيها دفاعًا بعد أن أتموا تحصينها حيث ظلوا فيها حتى نهاية الحرب كلها [٢].

والملاحظ هنا أن السياسة البريطانية مع الأدارسة فى عسير كانت متشابهة إلى حد كبير لسياستها مع الشريف حسين أمير مكة الذى وقع معها معاهدة صداقة سنة ١٩١٦م ، وتضمنت المساعدة العسكرية الفعالة ضد الأتراك فى الحجاز [٣]، وأيضًا معاهدة الصداقة مع السلطان عبد العزيز آل سعود أمير نجد التى وقعتها فى سنة ١٩١٥ على نمط المعاهدات التى وقعت مع مشايخ الخليج من قبل [٤].

ومن أهم الوثائق المفيدة والتى تلقى الضوء كاملاً على سياسة بريطانيا فى عسير الخطاب الذى أرسله ميجور جنرال سير جورج يونجهاسبند Sir G. J. Younghusband المقيم السياسى فى عدن إلى سكرتير حكومة الهند الإنجليزية فى ٢٣ سبتمبر سنة ١٩١٥م والذى يدور موضوعه حول السياسة البريطانية فى اليمن ويتضمن مذكرتين مرفقتين بهذا الخطاب ، وكان قد كتبهما المساعد الأول للمقيم البريطانى فى عدن ، المذكرة الأولى مؤرخة فى ٨ سبتمبر سنة ١٩١٥م ، وتدور حول قيام الإيطاليين فى مقديشيو بالصومال بتجنيد جنود من

---

١ - أحمد بن فضل العبدلى : هدية الزمن فى أخبار ملوك لحج وعدن ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٩٣٢ ، ص ص ٢١١ - ٢١٣ . وأيضًا : خير الدين الزركلى : مرجع سابق ، ص ٢٤٩ . وأيضًا : حسين شرف الدين : مرجع سابق ، ص ٢٧٦ .

٢ - أمين الريحانى : ملوك العرب ، جـ ١ ، المطبعة العلمية ، بيروت ، ١٩٦٩ . ص ٢٧٦ .

٣ - F.O. 371/2486 .

٤ - F.O. 371/11445, No. 9073. p. 172 .

عرب الجزيرة العربية ، والثانية مؤرخة فى ٩ سبتمبر سنة ١٩١٥م ، وتدور حول الخطة التى ستتبعها السياسة البريطانية فى المنطقة المحيطة بعدن [١].

وقد أوضح يونجهاسبند فى مذكرته هذه أوضاع المسألة الإيطالية فى نطاق تأثيرها على شبه الجزيرة العربية وعلى الأوضاع القائمة فى جنوبها وغربها عقب قيام الحرب العالمية الأولى وخاصة فى عام ١٩١٥م ، وقال إنه قد بدا له أنه يوجد لدى بعض الجهات المختصة فى بريطانيا ريبة وشك إزاء هذا النفوذ هناك ، وقد اعتقدت هذه الجهات أن النفوذ الإيطالى بطريقته هذه سيضعف النفوذ ويلاحقه إلى أن يتفوق عليه ، غير أنه شخصيًا ومن خلال تجربته لايوافق على هذا الرأى نظرًا لأن إيطاليا تعرف مدى ضعفها في المنطقة بالمقارنة بالقوة البريطانية البرية والبحرية . ولهذا فإن الإيطاليين يعملون يدًا بيد مع البريطانيين لأنهم بدون المساعدات البريطانية سوف لايكون لهم حول ولا قوة[٢] .

وقد أوضحت المذكرة بعد ذلك أنه فى حالة انسحاب الأتراك من اليمن ، فإن الظروف السياسية للمنطقة المحيطة بعدن سوف تتغير بشكل جذرى ، إذ أن إمام اليمن سوف ينتقل إلى الجنوب ليضع يده على هذه المنطقة ، وبذلك تنشأ مصادمات بينه وبين البريطانيين ، وكان الإمام يحيى ينتهز فرصة وجود الأتراك فى اليمن ليرهب بقوتهم القبائل التى كانت دائمة العصيان عليه ، فما بالك بخروج هذه القوة المساندة له فإن هذه القبائل لن تتورع عن مهاجمته والتسبب فى مشاكل له يصعب عليه علاجها [٣].

وقد ذكر جاكوب فى مذكرته أن ممثل الإدريسى قد طلب أن يعرف من المقيم السياسى البريطانى فى عدن عن الأسباب التى تمنع البريطانيين من السيطرة على منطقة الشيخ سعيد ،

---

١ - L.O.LB. 216, Secret, British policy in the Yemen, Momoranda by Major General Sir G.J. Younghusband political, Resident, Aden, No. c.695. Dated 23rd September, 1915 .

Enclosure No. 1, momerandum on the employment by Italians of magadisocia of Askar-is from Arabia, by H.F. Jacob, 8th September .

Enclousrer, No.2, Memorandum on the political policy of our hinter land by H.F. Jacob, 9-September, 1915 .

٢ - فاروق عثمان : سياسة بريطانيا فى عسير : مرجع سابق ، ص ٤٨ .

٣ - فاروق عثمان : سياسة بريطانيا فى عسير ، مرجع سابق ، ص ٥٣ .

وكل من ميناء المخا والحديدة اليمنيين ، ولأن ذلك على حد تعبير المندوب العسيرى سيقوى كفاحنا المشترك خاصة وأن الإدريسى نفسه لن يعترض على ذلك ، لأن هذه الموانئ كانت فى يد الأتراك ويستخدمونها للدفاع عن قواتهم ، ولكن مندوب عسير لم يحظ بأى نوع من التأييد لهذه الفكرة لسبب بسيط وهو أن بريطانيا لاتريد فتح جبهات جديدة تحملها مسئولية عسكرية لاترغب فيها حاليًا(١) .

وكنتيجة لتلك المقابلة تطورت العلاقات بين عدن والإدريسى فى عسير وقد أوضح تطور تلك العلاقات توضيحًا كاملاً الخطاب المرسل من بريجادير جنرال برايس " Price " المقيم السياسى البريطانى فى عدن إلى سكرتير حكومة بومباى فى ٢٧ يناير سنة ١٩١٦م والذى يشير إلى زيارة الكولونيل جاكوب لمحمد الإدريسى فى مقر إمارته فى عسير ، وقد تمت هذه الزيارة فى ٩ يناير ، ورافق جاكوب فيها على بعض الضباط الإنجليز فى عدن ، ورحب بهم الإدريسى ترحيبًا حاراً ، وتبادل معهم الآراء مما جعل المقيم السياسى البريطانى على ثقة من نتائج هذه الزيارة التى وصفها حينذاك فى تقريره بأنها مثمرة النتائج (٢).

وأشار برايس فى تقريره إلى أن الجانبين البريطانى والإدريسى قد قاما ببحث مسألة مهمة فى ذلك الوقت لكل منهما ألا وهى نقل وتبادل التجارة بين موانئ الإدريسى وموانئ الحجاز والتى تحت ستارها وصلت بعض البضائع إلى موانئ الأتراك خلال العامين الأولين من الحرب ، وأدى عدم التعرف على السفن الإدريسية من بين السفن المارة بين هذه الموانئ إلى صعوبات للسفن البريطانية المراقبة لهذه الموانئ (٣).

غير أن الإدريسى أوضح لجاكوب أن وقف التبادل التجارى بين موانئه وموانئ الأتراك فى الحجاز سوف يؤدى إلى تأثير ضار على مصالح الشعب فى إمارته ، لأن ذلك سيحرم شعبه من مصادر الغلال الذى يعتمد عليه اعتماداً كاملاً ، علاوة على رخص أسعارها بالنسبة للمناطق الأخرى ، ولهذا أخذ برايس برأى الإدريسى وأرسل فى مذكرته مايفهم منه الطلب إلى حكومة

---

١ - Jacob, op. cit., pp. 4 - 7 .

٢ - L.O.L. Secret from Brigdier General C.H.M. Price, C.B.S.O, to the secrtary to government political department. Bombay, No. 80, in 27 January, 1916, pp, 1-2 .

٣ - Jacob. F. Report of a visit to Yeman, im 17th January, 1916, pp. 3-7 .

بومباى بأن تغض النظر عن موضوع الحصار هذا حتى لا يتأثر الإدريسى ويتأثر شعبه ويصبح فى موقف حرج [١].

كما أوضح برايس فى مذكرته علاوة على المعلومات السابقة معلومة أخرى ، وهى أن كميات الكيروسين التى كانت تصدر من عدن قد نقصت أثناء نشوب القتال مما جعل الناس فى إمارة عسير يشعرون بشدة بهذا النقص ، وأن طلب الإدريسى الملح فى هذا الوقت أن يعوض هذا النقص بأقصى سرعة ، واقترح برايس كذلك سدّ النقص مؤيداً طلب الإدريسى شخصيا لضمان استمرار ولائه للبريطانيين[٢] .

وذكر برايس كذلك فى مذكرته أن العرب يلقون اللوم على الأتراك نتيجة للقيود التى فرضها الأتراك عليهم ، وأن ذلك الضيق بين العرب ضد الأتراك يتفق تمامًا مع المصالح البريطانية ، حيث أن ذلك من شأنه إثارة الوقيعة بين الأهالى والأتراك ، بينما يبعد العرب عن البريطانيين أى مسئولية فى ذلك [٣].

كما اقترح فى نفس الوقت فى مذكرته التى كتبها الكولونيل جاكوب أن تمنح بريطانيا العظمى الإدريسى وسام الفروسية البريطانى تشجيعًا له وضمانًا لولائه ، غير أن برايس المقيم السياسى فى عدن أشار إلى أن موضوع الوسام هذا يمكن تأجيله الآن وأنه سابق لأوانه ، وفى نفس الوقت أظهر الإدريسى إعجابه الشديد بالقائد البريطانى كراوفرد Commander Craufurd بسبب المجهود الذى بذله هذا القائد والتعاون الذى أظهره مما كان له الأثر الأكبر فى تحسين علاقته بالبريطانيين[٤] .

وأثناء المناقشة تطرق جاكوب مع الإدريسى إلى موضوع آخر ومهم وهو انتقال التجارة والمواد المختلفة من موانئ عسير إلى موانئ الحجاز حيث أنها بطريقة أو أخرى تصل إلى يد الأتراك مما يزيد فى قوتهم الاقتصادية ، وقد أكد الإدريسى لجاكوب أنه لايسمح بذلك إطلاقًا وأنه يفرض رقابة صارمة وأن الأهالى ينفذون التعليمات بدقة ، ولكنه لايتسطيع منع التهرب منعًا كاملاً لأن المنافذ البرية والبحرية كثيرة ، ولهذا طلب الإدريسى من جاكوب أن تقوم سفن

---

١ - فاروق عثمان : سياسة بريطانيا فى عسير : مرجع سابق ، ص ٥٩ .

٢ - Price, op. cit., pp. 1-2 .

٣ - Price, op. cit., pp. 1-2 .

٤ - Jacob, Report of a visit to Jemen, pp. 3-7, in January, 1916 .

الأسطول الإنجليزى بتشديد الحراسة على المنافذ البحرية لوقف عمليات التهريب هذه ، خاصة فى السفن الصغيرة وقوارب الصيد ، وبالنسبة لاستخدام جزر فرسان كمكان انتظار للسفن التركية وتحميلها فيه ، فقد أجابه الإدريسى بأن هذه السفن لاتستطيع ذلك لأن الجزيرة غير مجهزة لاستقبال السفن الكبيرة ، ولا ترسوا بها إلا قوارب صيد اللؤلؤ الصغيرة وهى التابعة له فى نفس الوقت [١].

وقد تم البحث أيضًا فى عدم إرسال مؤن وذخائر إلى الأتراك من قبل الأدارسة وحرصه الشديد فى نفس الوقت على تأكيد ذلك ، وليس أدل على صدق كلامه من أنه طلب من زوارق الحراسة البحرية الإنجليزية فى البحر الأحمر وعلى شواطئه خاصة أن تتحمل مسئولية المراقبة الكاملة حتى تحول دون وصول أى مواد تموينية إلى الأتراك سواء من قبله أو من قبل الأفراد الذين يقومون بالتهريب طمعًا فى الأموال الكثيرة ، كما وافق الإدريسى فى نفس الوقت وتشديداً للحصار على أن يجعل رجاله العاملين فى البحر يحملون شهادات وأعلامًا تميزهم تميزاً جيداً عند وجود قوارب المراقبة من البحرية الإنجليزية أو سفن الحلفاء الأخرى[٢] .

وقد ذكر جاكوب فى تقريره أيضًا جانبًا آخر مهمًا وهو كره الإدريسى والأهالى فى إمارته وخاصة هو شخصيًا لتعامله المباشر مع الأتراك قواداً وحكامًا ، وأنه لايثق فى وعودهم إطلاقًا وذلك نتيجة لتجارب مريرة معهم ، وقد ذكر الإدريسى أن الأهالى كانوا فى بداية الحرب متعاطفين تعاطفًا شديداً مع الأتراك لكونهم مسلمين مثلهم غير أن هذا التعاطف تغير بعد انضمام تركيا إلى ألمانيا والتى كانت تحارب من أجل التوسع والاستعمار شأنها شأن الدول الأوربية الأخرى ، وأن الإدريسى واثق كل الوثوق أن الحلفاء سينتصرون فى نهاية الحرب رغم البشائر غير المطمئنة لمعاركهم الحالية ، ولكن الذى يخشاه أن يعقد الجانبان المتصارعان صلحًا وأن يترك لتركيا ممتلكاتها التى كانت تسيطر عليها قبل الحرب فى شبه الجزيرة العربية وخاصة عسير وهو عدوها اللدود [٣].

وقد طلب جاكوب من الإدريسى تقريراً وافيًا عن حالة الأتراك على الحدود بين إمارته والحجاز ، وماذا سيفعل معهم بقواته الصغيرة فيما لو هاجموه ، فأجابه بكل صراحة أنه يعمل

---

١ - Jacob, op. cit., pp. 3-7 .

٢ - Ibid , op. cit., pp. 3 -7 .

٣ - Ibid , op. cit., pp. 3 -7 .

على حجزهم فقط ولولاه لفتحت الطريق إلى لحج ، غير أنه طلب بصفة عاجلة معونة من الذخيرة والسلاح وقد أعطى عينات منها لمرافقى الكولونيل جاكوب لأنها المستعملة فى أسلحته وخوفًا من إحضار غيرها فلا تنفع لأسلحته التى يستخدمها جيشه (١).

وقد أشار جاكوب في تقريره إلى أن المراكز التركية المواجهة للإدريسى على حدود عسير والحجاز وخاصة فى " اللحية " كانت محصنة تحصينًا قويًا يفوق مقدرة الإدريسى العسكرية الحالية ، مما يستلزم مساعدته وتقديم المعونة من الأسلحة المختلفة حتى لايقع صيدا سهلاً للأتراك فى هجوم ضده خاصة وأن إمام اليمن الإمام يحيى ينتظر هذا الهجوم حتى يضم إمارة عسير إلى ممتلكاته(٢) .

وقد أبدى برايس فى ختام مذكرته إعجابه البالغ وتقديره الشخصى للكولونيل جاكوب على براعته ومقدرته الفائقة فى تنفيذه لمهمته التى أرسل من أجلها ونتائجها الباهرة التى توصل إليها مع الإدريسى ، وخاصة وأن جاكوب كان على إلمام كامل باللغة العربية مما ساعد على تفهم وجهة نظر الإدريسى تفهمًا كاملاً دون أى غموض أو ملابسات فى اختلاف معانى الكلمات فى اللغات ، مما ساعده على إدارة جوار مفيد وصريح أدى إلى نجاح مهمته نجاحًا كبيراً-وذلك كله في صالح بريطانيا عسكريًا وسياسيًا (٣).

وهناك جوانب أخرى وردت في تقرير الكولونيل جاكوب وهى أن الإدريسى كان علي قدر كبير من الذكاء والدهاء وقد حرص على عدم إظهار علاقته بالإنجليز أو الإيطاليين حتى لا يتأثر مركزه الدينى لدى الأهالى فى إمارته لاتصاله وتعاونه مع غير المسلمين والذين يعتبرون أعداء للدين الإسلامى (٤).

كذلك فقد ذكر جاكوب أن الإدريسى منحه ثقته باضطلاعه على كثير من مجريات الأمور فى إمارته وأوضح له مثلاً أن الكثيرين من الجنود الأتراك يهربون من أماكن خدمتهم ويلجأون إليه لمساعدتهم على الفرار ، وقدم له اثنين من هؤلاء الجنود كنموذج لذلك ، وأحضر له

---

١ – Jacob, op. cit., pp. 3-7 .

٢ – Ibid , p . 4 .

٣ – Price, op. cit., pp. 1-2 .

٤ – Jacob, op. cit., p. 4 .

صندوق من الديناميت أرسل من قبل الأتراك لتدمير منزله فى جيزان أثناء وجوده فيه ، وأن جنوده قبضوا على المتسللين وأنهم اعترفوا بذلك الأمر (١).

وقد جاء فى تقرير جاكوب أمر آخر مهمًا يلقى الضوء كاملاً على أهمية الإدريسى وأهمية نشاطه بالنسبة لمجهود بريطانيا العسكرى فى شبه الجزيرة العربية ، ألا وهو أن الإدريسى نجح إلى حد كبير فى استمالة القبائل عن طريق مشايخها وذلك بالنسبة لعسير نفسها ، كما أن الإدريسى حاول أن يتقرب إلى القبائل اليمنية نفسها حاشد وبكيل وهى من أقوى القبائل ولها تأثير كبير فى مستقبل اليمن ، وأنه يمكن استمالة هذه القبائل إلى جانب الإنجليز إذا منحوا مبالغ مالية ، هى فى حقيقة الأمر رشوة لاتخاذ جانب الطرف الآخر (٢) .

واختتم جاكوب تقريره المهم عن زيارته للإدريسى بذكره أنه سوف يلخص هذا التقرير الطويل فيما يفيد ويؤكد على أهمية الدور الذى سيلعبه الإدريسى فى مواجهة الأتراك سواء على حدود الحجاز أو حدود اليمن ، وأنه يجب مساعدته بكل الوسائل المادية والعسكرية لاستمالة هذه القبائل ، وأن ذلك استثمار مهم بالنسبة لبريطانيا وأنه يقترح فى ختام تقريره أن يمنح وسام الفروسية ، أو أن تخلع بريطانيا لقبًا دينيا مناسبًا عليه يتناسب والخدمات التى يقدمها ويكون سنداً له عند أتباعه (٣).

ونورد هنا تقرير آخر عن علاقة الإنجليز بالإدريسى أثناء الحرب العالمية الأولى وهو التقرير لذى أرسله البريجادير جنرال برايس (J.H. Price) المقيم السياسى البريطانى فى عدن ، إلى سكرتير حكومة الهند ، القسم السياسى فى بومباى فى ٢٩ يناير سنة ١٩١٦ أى بعد فترة بسيطة من سقوط مقاطعة لحج فى أيدى القوات التركية ، علاوة على تقرير آخر أرفق بهذا التقرير فى نفس الوقت وأرسلهما بصفته القائد العام البريطانى فى عدن إلى رئيس هيئة الأركان العامة للقوات البريطانية فى الهند فى ٢٠ يناير سنة ١٩١٦(٤) .

---

١ - Jacob, op. cit., p. 5 .

٢ - Ibid, p. 6.

٣ - Jacob, op. cit., p. 7 .

٤ - L.O.L Secret from Brigadier General C.H.U. Price, political, Resident, Aden, to the Secretory to gOVERNMent political department Bombay, No. C. 95, Aden Residnecy, 29th January, 1916, p.1.

وقد تضمن التقرير الثانى والذى كان مقدمًا من الميجور « براد شو » ضابط الأركان العامة فى محمية عدن والذى كان قد رافق الكولونيل جاكوب من قبل فى زيارته لأمير عسير الإدريسى وكان له فضل اكتشاف تحصينات الأتراك على حدود عسير والحجاز ، وقد ذكر برادشو فى تقرير أنه يجب مساعدة الإدريسى مساعدة عسكرية فعالة حتى يتمكن من الاستيلاء على اللحية وتحصيناتها ، وأن يقدموا له كذلك المعونة البحرية من سفنهم قبالة شاطئ المدينة ، وتم ذلك فعلاً ، ولكن نظراً لأن الأتراك قد تنبهوا إلى تلك المحاولة مبكراً فقد عززوا تحصيناتهم حول المراكز الاستراتيجية للميناء فلم تستطع قوات الإدريسى من اقتحامها وتراجعت قواته دون نصر يذكر [١].

وقد أكد الميجور برادشو أن الإدريسى بتحركاته هذه يعاون الإنجليز معاونة كبيرة ونتيجتها الملموسة إعاقة الأتراك من الاتصال بالقبائل العربية وضمهم إليها ، علاوة على أنه قام بوقف إمداد الأتراك لقواتهم التى سيطرت على منطقة لحج بقوات أخرى إذ أنهم استبقوها تحوطًا لمفاجآت الإدريسى ، وأنه أى الإدريسى لا يستطيع القيام بهجوم فعال إلا إذا أمده الحلفاء وخاصة الإنجليز بكميات كافية من الذخيرة والسلاح ، خاصة الذخيرة الإيطالية اللازمة لبنادقه لأنها نفذت من رجاله وأصبحت البنادق عديمة القيمة ، خاصة أن إيطاليا اعتذرت عن تزويده بالكميات المطلوبة فى الوقت الحالى ، وأنه إذا لم يمده الحلفاء بهذه الذخيرة فمن أين له بها ، وقد أصبح رجاله بهذه الطريقة غير مسلحين ، وليس لهم بالتالى أى تأثير فى المعارك التى يجب خوضها ضد الأتراك حاليًا ومستقبلاً [٢] .

وفى نفس التقرير طلب الميجور برادشو من السلطات البريطانية فى الهند توفير هذه الذخيرة المطلوبة بأى ثمن وبأى طريقة وبأسرع مايمكن من الوقت كما أوضح المجهود الذى بذلته سلطات عدن فى تزويد الإدريسى بمليون طلقة من الطراز الإيطالى غير أنه طلب مليون طلقة أخرى احتياطيًا ، وكذلك ألف بندقية لزوم تسليح رجاله [٣] .

---

١ - L.O.L Enclosure No. 1, from Brigadier General Price to cheif of the General staff, Army Head auarters Delhi, India, No. 4657/55, G.O. Head quarters, Aden, 29th January, 1918, p. 2.

٢ - Ibid , op. cit., p. 1

٣ - Ibid , p . 2 .

ومن ضمن ماذكره فى تقريره كذلك أن الإدريسى بذل كل الجهود الممكنة للحصول على السلاح والذخيرة بجانب اتصاله بالبريطانيين والإيطاليين ، فقد اتصل بالفرنسيين فى الصومال لطلب الذخيرة والسلاح ولكنهم أرجأوا طلبه الأخير لأن الكميات المطلوبة غير متوفرة لهم الآن[١] .

ومن ناحية أخرى طلب برادشو فى تقريره المفصل إلى السلطات البريطانية بأن تخبره عن الأماكن التى يمكن للإدريسى إحضار الذخيرة اللازمة لرجاله منها ، إذ أنه لايعرف هذا المصدر الآن ، علاوة على ذلك فقد طلب من السلطات إعلامه فى حالة وجود ذخيرة تركية من غنائم الحرب فى العراق لإعطائها للإدريسى لأنه يمتلك من ضمن إمكانياته الحربية ثلاثة آلاف بندقية من طراز موزر (Mauser) مع قليل من الذخيرة لها ، فإذا كان موجوداً منها بعد معارك العراق فيجب إرسالها إلى عدن لتسليمها للإدريسى للاستفادة منها فى معاركه المقبلة[٢].

وكذلك فقد وضح من تقرير برادشو أنه فى أثناء اجتماعه بالإدريسى تبين له أن العمليات التى قام بها جيشه ضد الأتراك فى شمال اليمن لم يكن بينها تنسيق سليم ، علاوة على أن الإدريسى لم تكن لديه فكرة واضحة كل الوضوح عن إمكانيات الأتراك العسكرية مثل عدد الجنود ونوعيات الأسلحة المسلحة بها هذه الوحدات ، وإنما كان يعرف أن قوات الأتراك تفوق قوته فى العدد والعدة ، ولكن هذا التفكير لم يكن مبنيًا على بيانات عسكرية سليمة وأن كل مالديه من رجال فى كل المواقع ثلاثة آلاف رجل[٣] .

علاوة على ذلك فقد ذكر برادشو فى تقريره نقطة أخرى على جانب كبير من الأهمية العسكرية وهى أن الأتراك فى اليمن وقائدهم راغب بك ليس لديهم الرغبة فى القتال ، إذ أن قائدهم هذا كان ضعيف الشخصية ، ولذلك ترك بصماته على نفسية الجنود الأتراك ، ومن المعلومات الأخرى الذى ذكرها أن ٥٪ من الجنود كانوا عربًا من سوريا ، وأنهم أى العرب كانوا ساخطين على الأتراك بسبب عدم صرف مرتباتهم فى مواعيدها المقررة وتفضيل الأتراك

١- L.O.L. Price, op. cit., p. 2.

٢ - Bradshow, Enclasure 2. Extract from a Report by Major C.R. Bradshow General Staff, Aden, Regarding the Adrissi, pp. 3 - 5 .

٣ - Ibid, p. 3 .

لأنفسهم فى كل شئ عن العرب ، مما جعل العرب يريدون التخلص من الأتراك بأى ثمن ، وأن هذه الحالة يمكن أن يستفاد منها بواسطة الإنجليز وعملائهم فى المنطقة [١].

كما أكد برادشو بناءً على معلومات أكيدة وصلته من رجاله أن الإمام يحيى إمام اليمن والقائد التركى فى أبها كانت بينهما عديد من المراسلات المنتظمة بواسطة أفراد موثوق بهم من كلا الطرفين ، مما يؤكد وجود تعاون وتنسيق بينهما ضد الإدريسى ، وأنه حاليًا لاتوجد احتمالات لمواجهة عسكرية كبيرة بين الإدريسى والأتراك وبنى هذا الرأى على معلومات رجال المخابرات ، وأنه لايشك أبداً فى عداء الإدريسى لكل من الأتراك والإمام يحيى وعداء الاثنين الأخيرين له ، خاصة وأن الإدريسى أخذ موقف العداء الصريح من الإمام يحيى بعد أن عقد مع الأتراك اتفاق سنة ١٩١١م طمعًا فى ضم إمارة عسير إلى اليمن .

كما أورد برادشو فى تقريره المفصل جانبًا آخر مهمًا وهو عدد الوحدات العسكرية التركية فى اليمن وذلك بناء على معلومات رجال المخابرات وأن هذه المعلومات تؤكد وجود ستة ألوية تركية متمركزة فى مثلث حدوده صنعاء والحديدة غربًا واللحية شمالاً ، وتسليح هذه القوة من الأسلحة المختلفة عبارة عن عدد من المدافع والبنادق وكميات من الذخيرة ليست بالكمية الكبيرة، وقد توقع برادشو بأن هذه القوة ستظل محايدة لايمكن تحريكها مادام الإدريسى على عدائه للأتراك والإمام يحيى ، وأنه فى حالة عقد صلح بين الأطراف الثلاثة فليس من المستبعد توجه هذه القوة لغزو عدن وأن من مصلحة بريطانيا إبقاء العداء على حالة وإبقاء القوة على حالها [١].

كذلك ذكر برادشو أن الإدريسى لايمكنه والحالة هذه أن يوجه هجومًا ناجحًا ضد الأتراك وذلك لسببين مهمين وهما :

أولاً : أن الإدريسى لم يكن واثقًا من انتصار أى طرف من الأطراف المتصارعة وهو لايريد أن يورط نفسه قبل أن تتضح المواقف لجميع الأطراف .

ثانيًا : أن الإدريسى بقوته الحالية لايستطيع مهاجمة الأتراك والانتصار عليهم انتصاراً مؤكداً لأن لأن مالديه من بنادق وذخيرة ومدفعية ليس بالعدد الكافى للقيام بهجوم

١- Bradshow , op . cit. , p. 4 .

٢ - Bradshow, op. cit., p. 5.

يضمن فيه النصر خاصة وأن الذخيرة الخاصة بالمدافع ليست كافية بالمرة ، وكذلك فإنه ينتظر تحسبًا للمفاجآت وحتى لايقع عليه هجوم مفاجئ لايستطيع صده .

وعليه فقد أورد برادشو رأى الإدريسى ورأيه هو خاصة فى حالة الإدريسى العسكرية وهى أنه لاتسمح له إمكانياته العسكرية بمهاجمة الأتراك ، وكل مايستطيع أن يفعله الإدريسى هو إيقاف الأتراك عند حدهم ومنعهم من تجنيد القبائل فى عسير فى صفهم ، كما ركز برادشو على أهمية الرأى الخاص به وهو أنه طالما أن البريطانيين عاجزين حاليًا عن تزويد الإدريسى بما يطلبه من أسلحة وذخائر ، فإن الإدريسى سيظل مركزه ضعيفًا ، وهذا بالتالى سيضعف مركز بريطانيا فى المنطقة .

وأوضح برادشو فى نقطة أخرى من تقريره أن قوات الإدريسى فى مطلع عام ١٩١٦م كانت موزعة على جبهتين ، ثلث القوات والمدافع كانت مركزه على الحدود الشمالية ، بينما الثلثان الباقيان يعسكران على حدود اليمن الشمالية ، ويذكر برادشو الإدريسى إذا توافرت لديه الذخيرة اللازمة لسلاحه فإنه بالتأكيد سيعمل على استرجاع الأراضى التى فقدها فى اتجاه أبها والقنفذة ، وأوضح كذلك أنه على الرغم من عدم تمكنه حاليًا من مهاجمة الأتراك والانتصار عليهم ، فإن مكانته العسكرية كحليف لبريطانيا ظلت على درجة كبيرة من الأهمية نظرًا لعدائه للترك من جهة وللإمام يحيى من جهة أخرى .

وأكد برادشو فى نهاية تقريره المطول ، إلا أنه والحالة العسكرية هذه للإدريسى فإنه ليس فى استطاعته القيام بهجوم عسكرى كبير على الأتراك يضطرهم إلى سحب جنودهم من لحج إلى صنعاء إلا إذا زودته بريطانيا بالإمكانيات العسكرية اللازمة لذلك والاستفادة من عدائه ومركزه فى مضايقة الأتراك والإمام يحيى ، وأنه فى حالة عدم الاستجابة لطلباته ، فإن الحالة تبقى على ما هى عليه ولايمكن استثمارها بأفضل من ذلك(١) .

ويتضح لنا هنا أن السياسة البريطانية فى عدن والبحر الأحمر عمومًا كانت تهدف من وراء مساعدة الإدريسى والوقوف خلفه ضد الأتراك فى عسير واليمن إلى إجبار الأتراك على سحب بعض قواتهم من لحج المواجهة لعدن ، حتى تسمح الفرصة للإنجليز بطردهم من هناك ولاحتفاظ بقاعدتهم المهمة فى عدن ، والتى كانوا عن طريقها يتحكمون فى أهم طريق لمواصلاتهم

---

١ - Bradshow, op. cit., p. 5.

الإمبراطورية عبر البحر الأحمر وقناة السويس وفى التجارة العالمية التى كانت تمر بذلك الطريق[١] .

وفى ضوء تلك المعلومات التى تجمعت لدى القيادة البريطانية فى عدن ، فقد وضعت خطة لغلق المدخل الجنوبى من البحر الأحمر بجانب غلق المدخل الشمالى للبحر الأحمر وهو قناة السويس حتى لا تعبر أى سفينة تركية أو ألمانية إلى البحر الأحمر علاوة على تضييق الخناق على سواحل الحجاز وموانئه حيث يوجد الأتراك ، وكانت بنود هذه الخطة تتلخص فى النقاط الآتية ضمانًا لتطبيقها بإحكام من كل الجهات المسئولة سواء إنجليزية أو فرنسية أو إيطالية ، وذلك بواسطة قطع الأسطول الإنجليزى فى البحر الأحمر وكذلك بواسطة الوحدات الفرنسية والإيطالية المتواجدة فى البحر ، وأهم خطوط هذه الاتفاقية التى تتضمن فتح موانئ عسير وخاصة ميناء ميدى لاستقبال الإمدادات المقدمة للإدريسى وحماية هذه السفن عند دخولها وخروجها وتأمين الملاحة الفرنسية فى البحر الأحمر وخاصة بين ميناءى عصب ومصوع وبين ميناء عدن[٢] .

علاوة على ذلك فقد أورد البريجادير برايس فى مذكرته إلى حكومة الهند ، أنه قد تم بالفعل تنفيذ بنود هذه الخطة بأكبر قدر من الضمانات ، وذلك بإغلاق جميع الموانى العربية المطلة على الجزء الجنوبى من البحر الأحمر ، والتى كانت خاضعة للسلطات التركية مع مراعاة عدة اعتبارات تتعلق بمصالح البريطانيين وحلفائهم وأهمها :

السماح بنقل المسافرين والبضائع فيما بين ميناء جيبوتى وعصب ومصوع فى غرب البحر الأحمر وبين ميناءى ميدى وعدن فى شرق البحر الأحمر بواسطة السفن الشراعية المحلية والسفن الفرنسية والإيطالية .

وكذلك السماح بالتبادل التجارى بين موانى الإدريسى الواقعة بين " خور البيرق " و " مابل " بواسطة السفن الشراعية التابعة للإدريسى دون أى وسيلة أخرى ، وفى هذه الحالة تزود سفن الإدريسى بأشرعة وعلامات وتراخيص تسهل هذه المهمة وتسهل من ناحية أخرى مهمة التعرف عليهم من قبل سفن الحلفاء المختلفة ، وفى حالة مخالفة أى سفينة لتلك التعليمات يتم أسرها وبحارتها وحمولتها وتصادر بالكامل ، وأيضًا السماح لكل الموانئ الواقعة

---

١ – فاروق عثمان : سياسة بريطانيا فى عسير ، مرجع سابق ، ص ٧٠ .

٢ – L.O.L. Price, op. cit., No. 95, In January, 1916 .

بين " خور البيرق " و " مابل " الواقعة شرقى البحر الأحمر والتابعة للإدريسى باستقبال البضائع المحمولة بواسطة السفن الشراعية والتى تأتى من منطقة حراسة الجزء الشمالى من البحر الأحمر بما فيها ميناء جدة ، على أن تكون تراخيص هذه السفن سليمة[١].

وهكذا نرى من الأحداث التى وردت فى التقارير أن حركة الإدريسى بالنسبة لبريطانيا كانت مهمة جداً إذ أنها لم تكن من الناحية العسكرية قوة ضاربة بالدرجة الأولى وإنما كانت حاجزاً لقوات كثيرة من الأتراك كان من الممكن استخدامها فى معاركهم ضد البريطانيين فى عدن ، ويمكن التعرف على وجهة نظر العسكريين الإنجليز فى الحركة من محتوى التقرير الذى أرسله البريجادير جنرال برايس إلى سكرتير حكومة بومباى فى ٢٩ يناير سنة ١٩١٦م .

كان لليمن حظ وافر لم يتوفر لباقى الدول العربية إذ أن ظروف الصراع الدولى خدمتها وجعلتها لاتقع تحت براثن الاحتلال الأوربى ، وجعلت الدول الأوربية تقف ضد أطماع بعضها البعض حتى لاتسيطر دولة من دولها على اليمن ، ولهذه الأسباب مجتمعة بدأت سلسلة من المفاوضات بين الحكومة العثمانية من جهة وبين كل من روسيا وفرنسا وبريطانيا وألمانيا وإيطاليا وذلك قبل نشوب الحرب الأولى وانتهت هذه المفاوضات بالتوقيع على عدة اتفاقيات[٢].

وقد تولى (حقى باشا) المفاوضات مع البريطانيين فى لندن ونجحت هذه المفاوضات فى عقد مجموعة من الاتفاقيات المختلفة تمت الموافقة عليها فى عامى ١٩١٣ ، ١٩١٤م والذى يهمنا هنا بشكل مباشر اتفاقية المحميات وحضرموت ، وهى الاتفاقية التى عقدت بين الحكومتين العثمانية والإنجليزية لتحديد الحدود بين منطقتى نفوذهما فى الأراضى اليمنية ، وقد وقع على هذه الاتفاقية كل من إبراهيم حقى باشا عن الدولة العثمانية ، وسير إدوارد جراى عن بريطانيا فى اليوم التاسع من مارس سنة ١٩١٤م ، وأهم البنود التى تناولتها هذه الاتفاقية هى موافقة الطرفين على تثبيت الاتفاقات الخاصة باليمن والتى سبق أن وقعاها فى سنوات ١٩٠٣ ، ١٩٠٤ ، ١٩٠٥ والخاصة بتحديد الحدود بينهما[٣] .

---

١ - Bradshow, op. cit., pp. 3 - 5.

٢- فاروق عثمان : العلاقات البريطانية اليمنية فى الحرب العالمية الأولى ، مرجع سابق ، ص ٧٥ . وأيضًا : ساطع الحصرى : مرجع سابق ، ص ص ١ - ٣ .

٣ - فاروق عثمان : سياسة بريطانيا فى عسير ، مرجع سابق ، ص ٥٧ . وأيضًا : وليمز سيتون : بريطانيا والدول العربية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٥٢، ص ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

ويستمر الهدوء فى منطقة نفوذ كل منهما حتى تبدأ الحرب العالمية الأولى وتدخل الدول المتحاربة فى صراع عسكرى مرير من أجل السيطرة على مناطق النفوذ وإحكام سيطرتها على ماتحت يدها من أراضى أو بلاد وينطبق هذا الصراع على البحر الأحمر وبالذات اليمن إذ أن هذه المنطقة تمثل عنصراً مهما للغاية لبريطانيا ، كما أنها تمثل السيطرة بالكامل على البحر الأحمر من الجنوب فى عدن ومن الشمال فى قناة السويس[١] ولهذه الأهمية قامت إنجلترا بإحكام سيطرتها على البحر الأحمر شمالاً وجنوبًا ولإتمام تلك السيطرة قامت باحتلال جزيرة كمران فى ١٠ يونيه ١٩١٥م نتيجة للمنافسة التقليدية بين الحلفاء والتى أخذت تظهر بوضوح بين بريطانيا وإيطاليا[٢] .

ويتضح ذلك بوضوح تام بعد الاطلاع على الرسالة السرية الصادرة من إدارة الهند إلى وزارة المستعمرات البريطانية والمؤرخة فى ٢١ أكتوبر ١٩١٥ وجاء فيها أن الهدف الرئيسى من احتلال جزيرة كمران بالبحر الأحمر وجزيرتين أخريين فى ١٠ يونيو ١٩١٥ هو إحباط المشروعات التى كانت تضعها الحكومة الإيطالية فى ذلك الوقت لتنفيذ خططها على الساحل الأفريقى وعند المدخل الجنوبى للبحر الأحمر إلى منافسين لها تخشاهم وتحاول أن تسبقهم إلى أخذ المراكز الاستراتيجية فيه مثل جزيرة كمران[٣] ، وذلك يعود إلي نمو النفوذ الإيطالى في الجزء الجنوبى من البحر الأحمر والذى أخذ ينمو فى اضطراد بعد توقيع الوفاق الودى بين بريطانيا وفرنسا فى سنة ١٩٠٤م ، وما ترتب عليه من تحسن كبير فى العلاقات الفرنسية البريطانية واستقرارها[٤] .

---

١ - L.O.L. No. 86, Policy for his Magesty's ships in the Southern Red Sea patrol, Momoranda by C.H.U. Price Brigadier General Pollitical Resident, aden, 27 January, 1916

٢ - L.O.L. 48076/ 7212, No. 296, India office to Colonial office, Oct. 21, 1927 .

٣ - L.O.L. 49076/1712, End, 2, no. 295, Supplament report on the development of the Kamaran cinil administraton, p. 1, Captain Cadel .

وأيضًا : يونان لبيب رزق : جزيرة كمران بين الاحتلال العسكرى وتحديد التبعية السياسية ١٩١٥ - ١٩٢٩ ، أبحاث الأسبوع العلمى الثالث ، ١٩٧٩ .

٤ - يونان لبيب رزق : السودان فى عهد الحكم العثمانى الأول ١٨٩٩ - ١٩١٤ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص ١٤ .

ونتيجة لهذا الوفاق أخذت إيطاليا تلعب دورها القديم والذى بدأ من سنة ١٨٨٥م وذلك ببناء قوتها وسيطرتها فى مستعمراتها فى أريتريا حيث نراها وقد احتلت ميناء مصوع وبدأت فى تركيز قوتها فى الجزء الجنوبى من البحر الأحمر ، وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى واختارت إيطاليا جانب الحلفاء وكانت أطماعها واضحة وظاهرة للعيان فى اليمن ولكن انجلترا وقفت لها بالمرصاد ، لأن وجود دولة أوربية فى اليمن يهدد قاعدتها فى عدن [(١)].

وفى نفس الوقت عندما أطبقت انجلترا الحصار على البحر الأحمر سواء من الشمال أو الجنوب من قناة السويس إلى عدن لم تسمح لأحد في المنطقة إلا للإدريسى وذلك بفتح موانيه مع عدن ومع جيبوتى ، وهذا لايعنى فى حقيقة الأمر أن انجلترا تركت حرية التصرف للإدريسى فى تصريف البضائع لمرسلة إليه ، بل حددت مجال نشاطه ضد الأتراك حتى لاتصل هذه المواد إلى أيديهم ، ولا مانع لديه من التعامل مع الإمام يحيى فى اليمن مادام هذا محايداً ولم ينحاز للأتراك ، وعلى ذلك فلا غبار عليه[(٢)] .

وعلاوة على تشديد الحصار فإن انجلترا كانت تراقب تحركات حلفائها فىَ المنطقة وإيطاليا وعينها على تصرفاتهم وأطماعهم فى المنطقة ، مما حدا بهذه الدول إلى عقد معاهدة بينهم فى ٢٦ أبريل سنة ١٩١٥ ، وبناء على بنود هذه المعاهدة تم اقتسام وضم ممتلكات ألمانيا فى شرق أفريقيا إلى بريطانيا وأعطيت إيطاليا أجزاء من أملاك تركيا الآسيوية بعد انتهاء الحرب ، وكانت أطماع إيطاليا فى اليمن معروفة للجميع ، ولذلك بادرت انجلترا باحتلال جزيرة كمران والجزر التابعة لها فى العاشر من يونية سنة ١٩١٥ حتى تضع لأطماع إيطاليا حداً لا تتعداه[(٣)].

---

١ - السيد محمد رجب الجزار : التوسع الإيطالى فى شرق أفريقيا وتأسيس مستعمرتى أريتريا والصومال، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٦٠ .

٢ - فاروق عثمان : سياسة بريطانيا فى عسير : مرجع سابق ، ص ٤٢ . وأيضًا : حافظ وهبة ، مرجع سابق ، ص ٣٠٨ .

٣ - L.O.L.B, 216 secret, from Magor General Sir George Younghusband, K.C.L.F.G. 13. Political resdent Aden, to the secretary to government of Bombay, political department, no.C. 694, Aden Residency, 1 St-3 rd September, 1916 .

Enclasur No.1, Memorandum on the employment by Italin of Magadiscio of Askar is from Arabia by H.F. Jacob, Frist assitant political resident Aden, 8th Sept. 1915, pp. 2-4 .

وهنا يجب أن نشير إلى أن الإنجليز تحركوا فى سياستهم الخاصة باليمن فى ضوء التقارير السياسية التى قدمها الخبراء فى عدن أثناء فترة الحرب وعقب نهايتها ، ويؤكد ذلك التقرير الذى أرسله البريجادير جنرال والتون المقيم السياسى والقائد البريطانى فى عدن إلى سكرتير حكومة الهند الإنجليزية فى ١٣ مايو سنة ١٩١٦م تحت عنوان " محمية عدن " ومن خلال هذا التقرير أرفقت به مذكرتان مهمتان أعد الأولى الكولونيل " ووهب " وهو ضابط المخابرات الإنجليزى السياسى والعسكرى فى عدن ، والثانية أعدها كولونيل " هارولد جاكوب " المساعد الأول للمقيم السياسى الإنجليزى فى عدن ، وقد تضمن هذا التقرير من والتون أربعة اقتراحات مهمة إلى إلى حكومة الهند الإنجليزية[١] .

وكان أول هذه الاقتراحات أن يستمر الإنجليز فى تحمل مسئوليتهم عن عدن مع وجود قوات كبيرة لحماية منطقة الشيخ عثمان الاستراتيجية ، وهو ماكان يحدث فعلا فى ذلك الوقت ، وثانى هذه الاقتراحات يتلخص فى أن يحتل الإنجليز منطقة لحج للتحكم فى الطرق التى توصل إلى عدن فى الشمال ، وثالث هذه الاقتراحات المهمة أن يقوم الإنجليز بالتقدم إلى خط الحدود القديم واحتلال منطقة الضالع ، ورابع هذه المقترحات هو احتلال مدينة تعز اليمنية، وكان الغرض من ذلك فرض الوجود الإنجليزى على المنطقة الجنوبية الغربية من اليمن بحدود جديدة واستراتيجية يسهل الدفاع عنها [٢].

وقد جاء فى تلك المذكرة على لسان الكولونيل هارولد جاكوب أنه لايحبذ الدخول إلى المناطق التى سيخليها الأتراك فى نهاية الحرب لأن هذه القبائل لن تستبدل الأتراك بالإنجليز ، علاوة على أن الإمام يحيى يعتبر أن هذه الأراضى من أملاك الأئمة أجداده ولن يتنازل عنها ولا داعى للنزاع مع الإمام يحيى والقبائل لأنها صعبة المراس ولاهم لها إلا التحول من مكان إلى آخر وراء المال [٣].

---

١ - L.O.L secret, the Aden protectorate. letter from the General offoice commanding- Aden to the secretary to the government of India department dated 13th May, 1910 .

٢ - L.O.L. Enclosure, n.1 The Boundary of the Aden protectorate Note by Colonel- R.Awauhope, R.E.C.B.C.M.G. political and military inteelligence officer, Aden.

٣ - Enclosure, No.2, A Political policy in our Hunterland, Note by Lieutenant Colonel - H.F. Jacob, First assitant resident, Aden, Dated 10th May, 1916 .

وتحدث جاكوب كذلك في مذكرته عن أهمية إنشاء خط حديدى فى المنطقة المحيطة بعدن في جنوب اليمن ، وخاصة مد خط ما بين عدن ومنطقة لحج ، بغرض سهولة توصيل المواد الغذائية إلى عدن وربطها ربطًا سهلاً محكمًا بالمناطق الداخلية المحيطة بها ، وفضلاً عن سهولة تزويد عدن نفسها بالمياه العذبة من هذه المناطق عن طريق هذا الخط ، فلو كانت تلك الأشياء موجودة لما سقطت لحج فى أيدى الأتراك بسهولة سنة ١٩١٥م [١].

وكذلك قد ذكر جاكوب فى مذكرته أن لدى الإنجليز فى عدن مجالاً هامًا للغاية للعمل على نشر النفوذ البريطانى فى البحر الأحمر وخليج عدن ، وتساءل عن سبب عدم قيامهم بزيارة سواحل حضرموت خاصة وأن المنطقة كانت دائمًا تحت أنظار الأتراك والإمام يحيى فى الفترة الأخيرة من المعارك فى سنة ١٩١٥م كما ظهرت بوادر نشاط منهم هناك ، ولذلك يجب التصرف بسرعة من قبل السلطات الإنجليزية لإحكام سيطرتها على هذه المناطق وعدم خلق مشاكل جديدة [٢].

ويرى جاكوب أن على الإنجليز تأكيد وجودهم فى هذه المنطقة ، خاصة وأن الدلائل كلها تشير إلى وجود امكانيات تعدينية هائلة على ساحل حضرموت وخاصة النفط ، فضلاً عن أهمية المكان تجاريًا ، وهذه العوامل كلها يجب أن تدفع الإنجليز إلى التحرك السريع والعمل وإلا فات الوقت[٣] .

وقد أورد جاكوب فى مذكرته أمثلة للتأكيد على كلامه عندما ذكر أن سلطان الحواشب والذى سيطر الأتراك على منطقته فى سنة ١٩١٥م أثناء وصولهم إلى لحج ، والذى غير تحالفه مع الإنجليز إلى الأتراك ، وأن العديد من القبائل الأخرى التى غيرت ولائها مثل قبائل الصبيحى ، وأمير الضالع الذين انضموا إلى الأتراك وأصبحوا يتقاضون منهم المرتبات والمؤن، وكذلك انضمت قبائل السقيرى وتل حجاف وشيخ العلوى إلى الأتراك ، كما انضم سلطان

---

١ - Jacob, op. cit., p.1 in May, 1916 .

. وأيضًا : فاروق عثمان : سياسة بريطانيا فى عسير : مرجع سابق ، ص ٥٦.

٢ - Jacob, op. cit., p.1 in 10 May, 1916 .

وأيضًا : فاروق عثمان : سياسة بريطانيا فى عسير : مرجع سابق ، ص ٥٧.

٣ - Jacob, op. cit., p.2 .

وأيضًا : فاروق عثمان : سياسة بريطانيا فى عسير : مرجع سابق ، ص ٥٨.

الفضلى هو الآخر إلى الأتراك ، بعد أن خشى من سطوتهم بعد أن سيطروا على المناطق القريبة منه ، وهكذا فقدت بريطانيا عدداً كبيراً من القبائل المؤيدة لها فى هذه المنطقة بفضل أموال الأتراك ومعوناتهم المادية (١).

ويوجد تقرير آخر على جانب كبير من الأهمية والذى كان قد كتبه " وليم والتون " William Walton المقيم السياسى البريطانى فى عدن إلى سكرتير حكومة الهند البريطانية فى ١٤ مارس سنة ١٩١٦ ، وقد جاء فيه مطلب والتون الملح من حكومة الهند البريطانية بتعديل موقفها السلبى واتخاذ موقفًا أكثر إيجابية من القبائل المحيطة بعدن والقيام ببعض الأعمال الإصلاحية فى عدن والمنطقة المحيطة بها ، حتى لاتقوم قوة دولية أخرى بانتهاز الفرصة فى هذا الميدان مما يؤدى بالتالى إلى التأثير على مركز البريطانيين فى البحر الأحمر(٢) .

وقد أرفق الجنرال والتون فى تقريره لسكرتير حكومة الهند فى بومباى ، تقريراً آخر مقدمًا من الكولونيل " جاكوب " المساعد الأول للمقيم السياسى البريطانى فى عدن والمؤرخ فى اليوم العاشر من مارس ١٩١٦ وذلك لتدعيم وجهة نظره والتى جاءت بتقريره ، وقد ورد فى هذا التقرير أن وجهة نظر الجنرال والتون سليمة وبعيدة النظر لأن نفوذ البريطانيين ومركزهم فى منطقة عدن والمناطق المحيطة بها فى جنوب اليمن قد تدهورنا إلى حد كبير منذ أن سيطر الأتراك على لحج فى ٤ يوليو ١٩١٥م رغم أن القبائل اليمنية لاتميل إلى الأتراك أصلاً لقسوتهم فى معاملتهم ، وأنهم يفضلون الإنجليز نسبيًا على الأتراك ، لذلك فإنهم ليسوا على استعداد لتلقى الأموال والمعونات الغذائية من الأتراك ، مما يستلزم علينا القيام بأعمال كثيرة وذلك لجذب هذه القبائل إلى صف بريطانيا مرة أخرى(٣) .

---

١ - Jacob, op. cit., p.2 .

وأيضًا : فاروق عثمان : سياسة بريطانيا فى عسير : مرجع سابق ، ص ٥٩. وأيضًا : فاروق عثمان : العلاقات البريطانية اليمنية ، مرجع سابق ، ص ٧٣ .

٢ - L.O.L. No. 273, secret from Brigadier General William secretary to government, political department, Bombay, 14th March, 1916, p. 1.

٣ - L.O.L. No. 273/ enclOsure present political situation in our hunter land and byond the 13 order, 13, by Y.H.F.10th March, 1916. p. 2 .

كما ذكر جاكوب فى تقريره أمراً آخر وهو أن وجود الحاميات التركية على مقربة من المناطق المحيطة بعدن كان لها أسوأ الأثر على الحاميات الإنجليزية المعسكرة فى عدن نفسها ، وأضاف فى تقريره أمر آخر وهو أن الأتراك عجزوا عن كسب الولاء الكامل من قادة ومشايخ القبائل البارزين أمثال سلطان العوالق وسلطان العوضى ، وسلطان يافع رغم كل العروض التركية حتى أن بعض المشايخ العرب اعتقدوا أن موقف الإنجليز أصبح ضعيفًا عما كان فى أى وقت مضى ، ولذلك اعتبرت بريطانيا أن وقوف بعض من هؤلاء المشايخ مع الأتراك إنما ليس ارتداد عن صداقتهم لانجلترا وإنما خوفًا من الأتراك وبطشهم فيما لو تمكنوا منهم أثناء الحرب [١].

واستطرد جاكوب فى تقريره موضحًا أن الأحداث تتوالى بسرعة وأن هناك تغييرات كثيرة تحدث بين اليوم والآخر بين القبائل ، وأن من ضمن هذه المتغيرات التى تحدث إلآن أن سلطان الفضلى قد استلم أموالاً من الأتراك نظير تسهيل رجاله لتدفق المؤن والأغذية والسلاح للأتراك فى لحج ، لذلك فإن سلطات عدن قطعت عنه المعونة الشهرية التى كانتِ تدفع له ، وفرضت السفن الحربية الإنجليزية الحصار الكامل على الميناء الذى يستخدمه لهذاً الأمر وهو ميناء شقره ، مما أدى إلى تضرر القبائل التابعة له ، وبالتالى ضعفت العلاقات بينها وبين الإنجليز.

فكان على السلطات الإنجليزية فى عدن أن تعالج هذا الموضوع بسرعة حتى لايتحول هذا الجفاء إلى عداء صريح وسمحت بدخول كميات من البضائع تسمح بسد حاجة الأهالى ولاتسمح بإعادة تصديرها للأتراك مرة أخرى فى لحج ، وتخفيفًا للضرر الذى أصابهم من جراء هذا الحصار الشديد الذى فرضه الأسطول الإنجليزى .

كما انتقل التقرير إلى فقرة أخرى خاصة بالإدريسى ، وحيث أنه الآن ليس بذى فاعلية تذكر ، إذ تنقصه الذخيرة والسلاح اللازمين لبدء هجومه أو صد أى هجوم يقع عليه من قبل الأتراك ، وأن الإدريسى نظراً لتلك الظروف التى يمر بها يستخدم ذكاءه فى عدم زج نفسه فى المعارك بدون استعداد كافى ويقبع منتظراً نتائج المعارك العسكرية بين الإنجليز والأتراك في اليمن ، حتى يحقق مصالحه الشخصية فى الوقت المناسب .

---

١ - Jacob, op. cit., p.2 .

وأيضًا : فاروق عثمان : سياسة بريطانيا فى عسير : مرجع سابق ، ص ٧٨.

هذا عن الإدريسى أما شريف مكة فقد أورد جاكوب فى مذكرته المؤرخة فى ١٠ مارس سنة ١٩١٦م ، أنه لايمكن للإنجليز اكتسابه إلى صفهم فى تلك الحرب الدائرة بزيادة المعونة الغذائية والمالية المقررة له ، وإنما يجب القيام بتنفيذ برنامج محدد ومفصل يحقق له الأمانى التى يتطلع إليها حتى يقف كاملاً بجانبهم ضد الأتراك ، وقد أورد فقرة أخرى يفهم منها أنه من الصعب حاليًا التوفيق بين إمام اليمن والإدريسى أمير عسير لشدة العداء والكراهية بينهما ، ولأنه يرى ذلك ، فيستحسن عدم المضى فى هذا الاتجاه لأنه سيسفر عن نتائج سلبية(١).

وقد أكد جاكوب من خلال تقاريره رؤياه السياسية ونظرته إلى المستقبل وأنه بالنظر إلى الجوانب الشخصية للشخصيات العربية الحاكمة فى ذلك الوقت ومدى تفكيرها ، فإنه من المستبعد تمامًا تكوين جبهة عربية مضادة للأتراك لأن السبب الأساسى فى ذلك أن كل رئيس عربى من هؤلاء له أطماعه الشخصية التى لا يستطيع التنازل عنها وأنها تتعارض مع مطامع الآخرين ، وأن أقصى مايمكن عمله من قبل الإنجليز هو تشجيع كل واحد من هؤلاء الزعماء على التحرك بمفرده ضد الأتراك ، والاستفادة بقدر الإمكان مما يستطيع القيام به ، وأن الإنجليز لو اتبعوا هذه الخطة لنجحوا فيها ، وهذا أمر بالغ الأهمية بالنسبة لموقف الإنجليز فى البحر الأحمر (٢).

وقد أوضح هذا التقرير بجلاء سياسة الإمام يحيى إمام اليمن من الإنجليز ومن الأتراك فى نفس الوقت ، وأن سياسة الإمام دائمًا تتطلع للسيطرة على باقى أجزاء اليمن بعد جلاء الأتراك عنها ، وأنه يعمل بدأب منذ الآن لهذا الهدف ، إذ أنه يتصل بشيوخ القبائل حتى الواقعة تحت سيطرة انجلترا ، وأنها وإن كانت تختلف معه فى المذهب الذى يدين به ، فهى فى الواقع قبائل يمنية كانت خاضعة لأجداده قبل مجئ الإنجليز واستعمارهم لهذه البلاد ، وأن هناك من رؤساء القبائل من يكره الأتراك والإمام يحيى والإنجليز معًا مثل حاكم ماوية " ناصر بن مقبل " الذى كان قد وقع اتفاقًا مع الإنجليز فى بداية الحرب ، ولكنه رفض التورط مع الأتراك فى الحرب ، لأنه يعرف مدى الخسارة التى ستصيبه ، وأنه يدرك فى آخر الأمر أن انتصار العثمانيين وبجانبهم الإمام يحيى سيعرض بلاده للضياع بينهم (٣).

---

١ - L.O.L. No. 273/op. cit., and the Enclosure, pp. 2-3 .

وأيضًا : فاروق عثمان : سياسة بريطانيا فى عسير : مرجع سابق ، ص ٦٣.

٢ - L.O.L. No. 273/op. cit., p. 3 .

وأيضًا : مصطفى النجار ، مرجع سابق ، ص ٨٢ .

٣ - L.O.L. No. 273/op. cit., p. 4 .

وهكذا تركزت تقارير المسئولين الإنجليز فى عدن على ضرورة اعتبار عدن كقاعدة للانطلاق نحو الحدود مع اليمن والأتراك فى المناطق المحيطة بها ، وقد تركزت كل التقارير على ضرورة تدعيم القوة العسكرية فى عدن ولاحتفاظ بقوة كافية فى منطقة الشيخ عثمان الاستراتيجية الواقعة شمال عدن باعتبار أنها موقع الدفاع المتقدم عن عدن نفسها ومن هذا المنطلق يمكن الانقضاض على الأتراك فى لحج والمراكز المستحكمة فى ممر تبيان المهم ، وذلك بغرض تأمين الطريق البرى المتجه شمالاً إلى عدن(١) .

وكذلك العمل على احتلال مدينة الضالع واستعادة خط الحدود لمحمية عدن واحتلال مدينة تعز وفرض الحماية الإنجليزية على الركن الجنوبى الغربى لليمن ، مع وضع خط جديد للحدود يمكن الدفاع عنها عسكريًا وسياسيًا(٢) .

وقد ركز الإنجليز على أهمية الاستيلاء على المناطق المحيطة بعدن وذلك بسبب أن الأتراك يعتمدون فى حياتهم فى اليمن على حاصلات وغلات الأراضى الزراعية ، فهم متمسكون بفرض سيطرتهم على منطقة لحج وماوية وتعز والضالع ، وأن هذه المواقع بها الأراضى الزراعية المنتجة فهى ضرورية لهم ، كما أن الإنجليز إذا سيطروا عليها حرموا الأتراك من الغلات الزراعية التى تنتجها هذه المناطق (٣).

وركز الإنجليز على أهمية احتلال منطقة الشيخ سعيد الواقعة غرب عدن والتى تطل مباشرة على باب المندب حيث تمر بها خطوط التلغراف التركية المتجهة من صنعاء إلى جزيرة بريم ، ولتوفر المياه العذبة اللازمة للشرب ، علاوة على تحكم هذه المنطقة فى مضيق باب المندب كله، لذلك فإن أى قوة معادية للإنجليز تستطيع السيطرة عليها ، فالآن الإنجليز فى هذه الحالة لن يستطيعوا التواجد فى جزيرة بريم والتى تعتبر الموقع المتقدم للدفاع عن منطقة الشيخ سعيد ومنطقة عدن نفسها (٤).

---

١ - L.O.L.secret, the Aden protectorate, letter from General officer, W.C. Walton, Aden, to the secretary to the government of India foreign departement, dated 13th May, 1916, pp. 1-4 .

٢ - L.O.L. Enclosure No.1, the Boundary of the Aden, protectortae Note by Colonel, A.A.Wauhape, R.E.C.B.C.M.G., political military inteligence officer, Aden, pp. 5-7 .

٣ - L.O.L. Enclosure, No. 2, A political policy in our hunter land, Note by leutenant Colonel, H.F. Jacob frist assitant resident, Aden, residency 10 May, 1916, p. 2 .

٤ - L.O.L.secret, the Aden protectorate, op . cit., 13 May, 1916, p.2 .

وأيضًا : فاروق عثمان : العلاقات البريطانية اليمنية ، مرجع سابق ، ص ٧٠ .

وكما وضح من تلك التقارير أن الإنجليز كانوا يتخوفون من استخدام الجنود الهنود وخاصة المسلمين منهم للخدمة فى المناطق الواقعة تحت سيطرتهم فى الجزيرة العربية والعمل ضد الأتراك بسبب العامل النفسى حيث أنهم مسلمون مثلهم ووجودهم بالقرب من مكة المكرمة سيجعلهم نفسيًا لا يستطيعون الحرب ضد إخوانهم فى الإسلام(١) .

وظهرت فكرة إنشاء كلية لأبناء السلاطين ومشايخ القبائل ، وأن عدن نفسها لاتصلح لأن تكون مقراً لهذه الكلية لجوها الردئ ، وأنه لابد من توفر بيئة صحية لهؤلاء الأولاد يكون جوها أكثر اعتدالاً داخل المنطقة التى تقع تحت سيطرة الإنجليز ، وينشأ هؤلاء الأولاد متشبعين بالتربية الإنجليزية تحسبًا للمستقبل حيث يضمن ولاؤهم لإنجلترا (٢).

أما بالنسبة للإمام يحيى فقد ساءته التطورات التى حدثت باستيلاء الأتراك على منطقة لحج ، لأنه يعتبر أن هذه الأراضى ملكًا له ، وأنه لن يسكت على ذلك بعد انتهاء الحرب بل سيعمل على استعادتها سواء من الإنجليز أو من الأتراك ، وأنه لايستطيع حاليًا ذلك لأنه محكوم بالقوة التركيةِ الموجودة فى اليمن (٣).

ولهذا كله فقد طالبت كل التقارير التى وضعت سواء من قبل القادة العسكريين أو السياسيين أو المخابرات فى عدن بضرورة دعم القوات الإنجليزية الموجودة فى عدن حتى تقوم بدورها بكفاءة عالية ليس فى عدن وحدها ، بل وفى المناطق المحيطة بها ، والتى ستصبح مطمعًا للدول الأوربية حلفاء انجلترا والمنافسين لها فى نفس الوقت مثل إيطاليا وفرنسا بعد انتهاء الحرب ، وكذلك توقعًا لصدام حاد بين الإدريسى والإمام يحيى إمام اليمن حول الأراضى التى سيجلو عنها الأتراك ، وهنا ستجئ دور القوة والدبلوماسية الإنجليزية فى التوفيق بينهما ، وهو أمر كان يصعب على بريطانيا تحقيقه زمن الحرب ، إنما عندما تنتهى فإن ذلك يمكن أن يحدث مادامت انجلترا قد خرجت من الحرب منتصرة ، علاوة على حماية القاعدة البريطانية فى عدن مستقبلاً(٤) .

---

١ - L.O.L.secret, the Aden protectorate, op . cit., 13 May, 1916, p . 4 .

٢ - Ibid, p. 4 .

٣ - Ibid, p. 4 .

٤ - Ibid, p. 1-2 .

وأيضًا : فاروق عثمان : العلاقات البريطانية اليمنية ، مرجع سابق ، ص ٦٧ . وأيضًا : فاروق عثمان : سياسة بريطانيا فى عسير ، مرجع سابق ، ص ٩٣ .

ويمكننا أن نتطرق إلى تقرير آخر من التقارير التي صدرت عن رجال القيادة البريطانية فى عدن ، وفى هذه المرة فإن التقرير المقدم من الجنرال والتون القائد العام والمقيم السياسى البريطانى فى عدن إلى سكرتير حكومة الهند الإنجليزية فى ٢٩ مايو سنة ١٩١٦ ، وهذا التقرير يتضمن صورة أوضح للسياسة الإنجليزية فى المناطق المحيطة بعدن " عسير والحجاز " ، وكيفية الخطوات التى يجب القيام بها للتنسيق بين الإدريسى والشريف حسين فى الحجاز ضد الأتراك ، وتنفيذاً للتقارير السابقة التى أوصت بجعل كل حركة على حدة مع التنسيق بينهما بالقدر الضرورى ضد الأتراك وذلك لصعوبة الجمع بينهما فى حركة واحدة [١].

وقد تضمن هذا التقرير المهم المعلومات التى وصلت إلى الجنرال والتون بأن الشريف حسين قد وافق بعد كثير من الاتصالات والجهد على القيام بثورة ضد الأتراك فى الحجاز وسوريا ، وأنه من ناحية أخرى يعمل والتون بإصرار على قيام ثورة من الإدريسى ضد الأتراك فى عسير، ولو أنها قائمة بالفعل دون معارك عسكرية تذكر ، وكذلك المحاولة مع الإمام يحيى على أن يأخذ دوره هو الآخر فى الثورة ضد الأتراك ، ولو أن ذلك مستبعد حاليًا نظراً لارتباط الإمام بالأتراك[٢] .

وعند تحليلنا لما جاء فى هذا التقرير يتضح لنا بوضوح مدى الآثار العسكرية والسياسية التى ستترتب لو أن هذه الثورات قد قامت بالفعل فى اليمن والحجاز وعسير ضد الأتراك ، وعلى الإنجليز فى عدن والمناطق المحيطة بها فى جنوب اليمن والبحر الأحمر بوجه عام ، مع الآثار المترتبة على رد الفعل المقابل من الأتراك ضد هذه المؤثرات الثلاث ، على أن الموقف الناتج من ذلك سيتحدد ويظهر بوضوح لانجلترا تبعًا لمدى النجاح الذى سوف تحققه جهود الشريف حسين بطبيعة الحال ، ولهذا طرحت ثلاث احتمالات للمستقبل يجب الاحتياط لها .

كان الاحتمال الأول أن يفشل الشريف حسين فى الحصول على تأييد شعبه فى الحجاز إذ أعلن الثورة على الأتراك المسلمين ومتحالفًا مع الإنجليز أعداء المسلمين ، والاحتمال الثانى أن

---

١ - L.O.L. No. 13, 232, secret, from Brigadier General W.C. Walton, General officer-commanding and political resident Aden to the secretary to the government of India in the foreign department, Simla, Head quarters, Aden, 29th May, 1916, p.1 .

٢ - L.O.L. 13, 232, op. cit., p. 2 .

ينجح الشريف حسين فى تنفيذ ثورته ويحصل كذلك على تأييد الإدريسى أمير عسير دون الإمام يحيى إمام اليمن ، والاحتمال الثالث هو أن يحصل الشريف حسين على تأييد الإمام يحيى والإدريسى أمير عسير (١).

وقد أوضحت هذه التقارير أن الإمام يحيى يعتمد على قوته بالنسبة لقبائل الداخل إذ أنها القبائل الكبيرة والتى يحظى بتأييدها ، وأن المدن التى على الساحل أغلب أهلها يعملون بالتجارة فتأييدهم للإمام يحيى أضعف من أن يؤثر ، وعلى عكس ذلك الإدريسى الذى تتركز قوته كلها على الساحل وليس فى الداخل ، وبالتالى فإن مصالحه كلها ستتأثر مباشرة بقوة البحرية البريطانية فى البحر الأحمر ، فإذا أحب البريطانيون أن يحصلوا على مراكز استراتيجية فى المرتفعات المحيطة بعدن لحمايتها يجب عليهم أخذ رأى الإمام يحيى أولاً لمحاولة اجتذابه بدلاً من فرض الأمر بالقوة العسكرية المحضة (٢).

ووضعت الاحتمالات كلها تحسبًا للمستقبل وأنه فى حالة الاحتمال الأول فى حالة فشل ثورة الشريف حسين ضد الأتراك ، فإن وضع الإنجليز لن يتحسن وإنما وضع الأتراك العسكرى هو الذى سيميل إلى التحسن . أما في حالة الاحتمال الثانى وهو نجاح ثورة الشريف حسين ضد الأتراك فإن الإدريسى سيكون حظه أوفر فى القيام بحركته ضد الأتراك ، ويكفى أن الأتراك سيوجهون قواتهم إلى الشريف فى الحجاز ، وهذا سيسهل هزيمة الأتراك فى عسير ، علاوة على كسب تأييد بقية القبائل التى ستتجه بطبعها إلى الرابح فى هذه الحرب ، وفى هذه الحالة يجب إمداده بالسلاح والذخيرة اللازمة له لأنهم - أى الأتراك - سينظرون فى هذه الحالة إلي سحب قواتهم المرابطة أمام عدن(٣) .

وبناء على ذلك يجب أن يستعد الإنجليز بقواتهم البرية والبحرية لمساعدة الإدريسى فى حالة سحب الأتراك لقواتهم من أجل مهاجمة الإدريسى فى عسير ولذلك يجب على الإنجليز إمداده بكل الأسلحة اللازمة والذخيرة والأموال والمساندة العسكرية والسياسية حتى تنجح هذه الثورة وبالتالى يخف الضغط على عدن ويتحول الميزان العسكرى لصالح بريطانيا (٤) .

---

١ - L.O.L. No., B,232. secret, Aden in 29 May, 1916, p. 3 .

٢ - Ibid , p. 4 .

٣ - Ibid , p. 5 .

٤ - Ibid , p. 6 .

وهكذا يتضح لنا أن كل هذه التقارير السياسية والعسكرية التى رفعها الخبراء الإنجليز فى عدن إلى حكومة الهند الإنجليزية واهتماماتها أثناء الحرب ، وكذلك بعد انتهاء الحرب سواء فى اليمن أو عسير أو الحجاز وفى البحر الأحمر كله ، وإذا ما قارنا هذه الوثائق التى جاء ذكرها فى البحث بخط سير العلاقات البريطانية اليمنية والعربية عمومًا أثناء الحرب وبعدها ، فإننا سنرى بوضوح مدى التناسق بين المقترحات والتوجيهات التى اشتملت عليها وبين المنهج والطريقة التى اتبعها الإنجليز فى علاقتهم مع الإمام يحيى ومع الإدريسى ومع الشريف حسين، حتى مع حلفائهم الإيطاليين والفرنسيين تحسبًا لأطماع كل منهم فى المستقبل فى حوض البحر الأحمر كله .

الفصل الثالث

سير المعارك العسكرية
بين الإنجليز والعثمانيين

بدأت الحرب بين تركيا وألمانيا والنمسا من جانب وانجلترا وفرنسا من جانب آخر ، والذى يهمنا بالدرجة الأولى من المعارك العسكرية التى نشبت سواء فى البحر الأحمر بين الأساطيل الألمانية والتركية أو على شواطئ البلاد الواقعة على البحر الأحمر هو تطور هذه المعارك والنتائج النهائية التى انتهت إليها وكان لها تأثير كبير على الحرب ككل فى مختلف الميادين سواء للمعسكرين المتحاربين أو على البلاد الواقعة على البحر الأحمر والتى شملتها هذه المعارك .

كانت ألمانيا تعتبر من الدول البحرية التى تحتل المرتبة التالية بعد الأسطول الإنجليزى من حيث عدد السفن الحربية ، إذ أن الأسطول الإنجليزى كان يمثل ضعف عدد السفن الألمانية العاملة فى الأسطول ، ومن قوة هذا الأسطول خرج الطردان جوبين وبرسلاو وقاما بالغارة على ميناء سيباستبول الروسى[1] مما أدى إلى إعلان روسيا الحرب على تركيا لسماحها للسفن الألمانية بعبور الدردنيل والهجوم على مدنها الساحلية[2] .

وقد كانت مهمة الأسطول البريطانى فى هذه الحرب من أشق المهام وأصعبها فكان عليه أن يحرس السفن ناقلات الجنود إلى ميدان القتال من انجلترا ومن مستعمراتها المترامية الأطراف ويحمى الطرق التجارية العالمية[3] ، وفى نفس الوقت يقوم بالدفاع عن سواحل بريطانيا

---

١ – لويس رينزفال : مقال بعنوان : " الدول الأوربية المتحالفة ، مجلة الشرق ، عدد ١ ، ١٩٤١ ، ص ١١٠ .

٢ – مجلة المقتطف ، عدد مارس سنة ١٩١٥ ، ص ٣١٦ . وعدد يونيو سنة ١٩١٦ ، ص ٥٧٦ . وعدد يناير سنة ١٩١٧ ، ص ٦٢ .

٣ – مجلة الهلال : مقال بعنوان : " أهم وقائع الحرب منذ بدئها " السنة ٢٣ ، جـ ١ ، أكتوبر ١٩١٤ .

وفرنسا ويساعد قوات الحلفاء[١] ، ويقوم أيضًا بمطاردة السفن الحربية الألمانية والتركية والنمساوية ويحاصر موانئ ألمانيا ، علاوة على محاولة القضاء على التجارة الألمانية عبر البحار وعبر مستعمراتها خارج ألمانيا [٢].

ولكن رغم ذلك التفوق البحرى الكبير على ألمانيا وحلفائها ، فإن انجلترا وحلفائها خسروا كل جولات الحرب فى مراحلها الأولى[٣] ، إذ أن أمانيا وحلفائها كانوا يتميزون بالتفوق العسكرى من ناحية السلاح وعدد الرجال واستمر هذا التفوق منذ بداية الحرب حتى سنة ١٩١٧ ، عندما انقلبت الموازين العسكرية لصالح الحلفاء ضد ألمانيا وحليفاتها تركيا والنمسا[٤].

أما تركيا فقد كان عدد قواتها عند بداية الحرب قرابة النصف مليون جندى يحملون السلاح فعلاً ويشتركون فى القتال [٥]، بالإضافة إلى هذا العدد كان مايقدر بـ ٢٥٠ ألف رجل تحت التدريب العسكرى والاحتياطى [٦]، وقد تركزت قوة تركيا العسكرية فى معاركها ضد الروس فى بلاد القوقاز ، وكان هدفها من ذلك تخفيف الضغط على ألمانيا فى أوربا حتى تتفرغ للقضاء على الجيوش الفرنسية والبلجيكية المحاربة [٧].

وفوجئت الدولة العثمانية بمجىء حملة بريطانية إلى الخليج العربى بمجرد إعلان الحرب [٨]، ونزلت هذه الحملة فى الكويت وفى الفاو فى جنوب العراق ، وكانت هذه الحملة تستهدف البصرة ثم بغداد [٩].

---

١ – مجلة المقتطف : عدد فبراير سنة ١٩١٥ ، ص ١١٦ .

٢ – موريس كروازيه : مرجع سابق ، ص ٢٤ .

٣ – Sir Valentine Cherol, The Turkish empire, p. 176, See Also : G.Arnakis, the Near East, p. 47 .

٤ – مجلة الهلال : مقال بعنوان " أهم وقائع الحرب " جـ ٧ ، يناير ١٩١٥ ، وأيضا : لويس شيخو : مقال بعنوان " أعظم طامة فى الحرب العامة " ، مجلة المشرق ، جـ ١ ، ١٩٢٠ ، ص ١٣٦ .

٥ – على حسون : مرجع سابق ، ص ٢٣٩ .

٦ – جلال يحيى : أصول ثورة يوليو ، مرجع سابق ، ص ٨٩ .

٧ – عبد الخالق لاشين : مرجع سابق ، ص ٦٨ .

٨ – جلال يحيى : أصول ثورة يوليو ، مرجع سابق ، ص ٨٩ .

٩ – عبد الرحمن البزاز : مرجع سابق ، ص ٦٨ .

لذلك فإن الدولة العثمانية نظراً لهذه التطورات فى ميادين الحرب اعتمدت على قواتها الموجودة فى العراق والشام وقواتها[١] الموجودة فى بلاد الحجاز لكى تقاوم بها هذا الغزو البريطانى . وفى نفس الوقت فإن تركيا لم تستند إلى القوة العسكرية فقط ، إنما اعتمدت على دفع الثورات الإسلامية وتشجيع حركات التحرر العربى الموجودة فى الصومال وليبيا ودارفور[٢] ، وذلك لكى تقوم بهجوم مضاد هدفت من ورائه فى شرق أفريقيا إلى قيام تعاون بين مهدى الصومال محمد عبد الله حسن والقوات العثمانية فى اليمن لضرب عدن ، والتعاون بين هذا المجاهد وبين القوات الألمانية الموجودة فى تنجانيقا لضرب القواعد البريطانية فى زنجبار وكينيا [٣].

وعلى ذلك بدأت كل من انجلترا وتركيا تركز قواتها فى منطقة الشرق لإحراز النصر حيث أن انجلترا فشلت فى إيقاف الألمان فى أوربا واستطاعت بحملتيها على العراق أن تحتفظ بسلطانها فى الخليج العربى لمنع وقوع عبدان فى أيدى الأتراك[٤] .

وفى نفس الوقت تمكنت انجلترا بواسطة أسطولها البحرى من الاستيلاء على أملاك ألمانيا ومستعمراتها فى شرق أفريقيا وتولت إدارتها [٥].

علاوة على ذلك فكرت انجلترا فى ضرب تركيا ضربة قاضية بالاستيلاء على الدردنيل ، وتبدأ هذه الخطة بالاستيلاء على ميناء الإسكندرونة وتتقدم القوات شرقًا باتجاه حلب والمسافة بينهما ١٦٩كم [٦]، فتقطع خط المواصلات الوحيد بين تركيا وبلاد العرب ، وتفصل بينهما ،

---

١ – F.O.371/1973, 72433, No. 84369/14, Telegram from Cheetham, dated December 18th 1914 .

٢ – F.O. 371/1973/ 72433. Report at the Jehad, intelligence department, war office, Cairo, November 26th, 1914 .

٣ – المقتطف : مقال بعنوان " اقتحام الدردنيل " ، أبريل ١٩١٥ ، ص ٣١٣ .

٤ – محمد أنيس : مرجع سابق ، ص ٢٨٥ ، وأيضًا :

Farnie, East and West, p. 532 . Kalid Idib, Turkey faces West, p. 141 .

٥ – مجلة المقتطف : مقال بعنوان " الأسطول البريطانى " ، جـ ١ ، يناير ١٩١٧ ، ص ٦٣ . وأيضًا : زاهر رياض : استعمار أفريقيا ، مرجع سابق ، ص ٢٠٨ .

٦ – مجلة المقتطف ، مارس ١٩١٥ ، ص ٣١٤ . وأيضًا : سليمان حزين : مرجع سابق ، ص ٥٨٩ .

وتعزل هذه عن تلك ، فيرتاح الحلفاء من ناحية تركيا ، ويرتاح بال الإنجليز من جهة مصر وأفريقيا الشمالية عمومًا وتصبح منطقة حلب وما أمامها فى الجنوب تحت رحمتهم [١].

وعلى أية حال فقد تقررت عملية الدردنيل ، ولكن السفن البريطانية التى عهد إليها بعملية اختراق الدردنيل لم تنجح فى مهمتها إذ أصابت بعضها الألغام من العدو عند عبورها المضيق فأحجم قائد البحرية البريطانى عن تعرض باقى سفنه واتفق مع قائد البحرية الفرنسية على القيام بالهجوم على الجزيرة (غاليبولى) [٢] .

وكان الأتراك فى نفس الوقت يعملون جاهدين على تحصين الجزيرة بكل مالديهم من أسلحة، وكانوا يعرفون مسبقًا بنية الإنجليز والفرنسيين فى الهجوم ، لذلك أتموا استعداداتهم العسكرية بنجاح [٣]، وحدث الهجوم فعلاً ولكن لمناعة تحصينات الأتراك ودفاعهم ببسالة عن شبه الجزيرة أدى ذلك كله إلى فشل الهجوم وخسارة انجلترا وفرنسا لعدد كبير من سفن الأسطول وللجنود الذين سقطوا أثناء الحصار[٤] ما أدى إلى رفع الحصار عن غاليبولى فى ١٩ديسمبر سنة ١٩١٥م [٥].

ولكن هذه الهزيمة التى لحقت بقوات الحلفاء فى غاليبولى نبهت بريطانيا إلى خطورة الأمر فى الشرق ، كما نبهتها إلى أهمية مصر كقاعدة عسكرية لتجمع قوات البر والبحر على السواء ، وكان طبيعيًا أن تستغل بريطانيا البحر وسيادتها فيه[٦] ، فاتخذت استعداداتها واستخدمت كل موانئ مصر الشمالية والشرقية كقاعدة لتجمع بحرى كبير بقصد تطهير البحرين المتوسط والأحمر من سفن ألمانيا وتركيا وجعل الأسطول الإنجليزى حر الحركة فيهما[٧].

---

١ - أمين سعيد : مرجع سابق ، ص ١٣٤ . وأيضًا : سليمان حزين : مرجع سابق ، ص ٥٨٩ .

٢ - Djemal Pasha, Memories of Turkish, p. 235. See Also : Fisher, The Middle East, p. 364 .

٣ - مجلة المقتطف : عدد فبراير ١٩١٥ ، ص ١١٨ .

٤ - لويس شيخو : أعظم طامة فى الحرب العامة ، مرجع سابق ، ص ٢٩٥ .

٥ - Philip Magnus, Kitchner, p. 366 Oxford university press, London, 1950 .

٦ - مجلة الهلال : مقال بعنوان " مصر والحرب " ، جـ ١ ، أكتوبر ١٩١٤ .

٧ - جلال يحيى : العالم العربى الحديث ، مرجع سابق ، ص ٥٢٤ .

وعلاوة على ذلك ، فإن انجلترا اتخذت مصر كقاعدة عسكرية عريضة للتموين والإعداد ، وكمركز للتوسع والزحف وإنفاذ الحملات بالبر والبحر والجو ، أى فى كل اتجاه ، ويكفى هنا أن نذكر أن قوات الحلفاء توسعت من مصر والسودان نحو أرتريا ، وشمال الحبشة ونحو اليونان وجنوب البلقان ونحو فلسطين وسوريا ولبنان ، ثم نحو برقة وطرابلس الغرب وتونس والميدان الجنوبى فى أوربا (١).

ولقد تجمعت للحلفاء فى مصر جيوش من خمسة وعشرين بلداً فى فترة الحرب ، ولايكاد يذكر أن تجمعت جيوش بمثل هذا العدد الكبير من القوميات والشعوب فى بلد من البلاد خلال تاريخ الحروب الطوال (٢).

أما من الناحية الاقتصادية فقد أخذت السلطات البريطانية فى الاستيلاء على الدواب والحبوب اللازمة لها (٣)، كذلك استولت على معظم الأخشاب الصالحة (٤)، كذلك عملت السلطات البريطانية على سحب جميع أنواع الحبوب من الأهالى لتموين الجيوش البريطانية المرابطة فى مصر أو فى ميادين القتال (٥).

علاوة على ذلك فقد أخذت بريطانيا فى تجنيد أكبر عدد من العمال المصريين فى سن الشبابَ قسراً للعمل فى سيناء والعراق وفلسطين ، بل أرسلتهم إلى الدردنيل لخدمة جيوش الحلفاء ، وأذاعت أنهم من المتطوعين اختياريًا ، وبلغ عدد العمال قرابة المليون عامل مات منهم الكثير ، وكانوا عونًا لانجلترا فى النهاية للوصول إلى النصر (٦).

---

١ - F.O. 371/ 2668, Reprt from director intelligence Egypt, to war office, No. 365, 15th January, 1916.

٢ - Lloyd, Egypt since Cromer, Vol. 1, p. 245, Macmillan press, London, 1933 .

٣ - عبد الرحمن الرافعى : ثورة ١٩١٩ ، مرجع سابق ، ص ٣١ .

٤ - جلال يحيى : العالم العربى الحديث ، مرجع سابق ، ص ٥٢٥ .

٥ - سليمان حزين : مرجع سابق ، ص ٥٩٣ .

٦ - وزارة الحربية والبحرية ، الجيش المصرى ومجهود مصر الحربى ، تقرير السير ارسيبالد مرى إلى حكومته عن خدمات الجيش المصرى حتى أواخر ١٩١٦ ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٥٢ ، ص ١٩٥ . وانظر أيضًا : عبد الرحمن الرافعى : ثورة ١٩١٩ ، مرجع سابق ، ص ٣٢ . وأيضًا : جلال يحيى : العالم العربى الحديث ، مرجع سابق ، ص ٥٢٦ .

أما من الناحية العسكرية فقد قامت قيادة الحلفاء بتوحيد القيادة المشتركة للأسطولين البريطاني والفرنسي في البحر المتوسط والأحمر ، مما كان له أثره الفعال في تطهير البحر المتوسط والأحمر من سفن الأعداء ، وأخذت السفن الألمانية والنمسوية والتركية على السواء في البحث عن مناطق بعيدة عن هذين البحرين للالتجاء إليها [١]، وبذلك فإن انجلترا استطاعت بذلك أن تؤمن مواصلاتها البحرية في البحر المتوسط والأحمر وحماية قناة السويس وطرق التجارة العالمية علاوة على مستعمراتها في الشرق [٢].

أما عن المعارك العسكرية على طول قناة السويس فقد كان للجيش المصري دور كبير في صد الأتراك عن اختراق قناة السويس والوصول إلى داخل مصر ، وتفاصيل ذلك ، أن قوات الجيش المصري قد وزعت في حاميات في الطور وأبو زنيمه وعلى خطوط المواصلات شرقي القناة ، وفي قلب الخط الدفاعي عن قناة السويس [٣].

وبحلول ١٥ يناير سنة ١٩١٤ ، كان الأتراك قد عززوا قواتهم في سيناء في العريش وفي القسيمة . وفي يوم ٢٤ يناير وصلت مقدمات القوات التركية بقيادة جمال باشا إلى الدفرسوار، وفي أول فبراير بدأ الأتراك هجومهم الرئيسي بين بحيرة التمساح والبحيرات المرة ، وتصدت لهذا الهجوم المدفعية المصرية الموجودة في تحصيناتها شرق القناة وغربها واستطاعت إحباط هذا الهجوم وصد الأتراك بدون تحقيق أي مكاسب عسكرية [٤].

في ذلك الوقت كانت قوات الأتراك على طول القناة تقدر بنحو ١٢ إلى ١٥ ألف جندي مع أسلحتهم المختلفة ، واستمرت الاشباكات المتقطعة بينهم بدون نصر حاسم من أحد الطرفين حتى انسحاب الأتراك شرقًا إلى عمق سيناء [٥] .

---

١ - Halborg: the Suez canal, p. 334 ., Campridge University press, London , 1960 .

٢ - Farnic, op. it.p. 536, 537 .

٣ - F.O. 371/ 2668, op. cit .

٤ - وزارة الحربية والبحرية ، الجيش المصري ومجهود مصر الحربي ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٥٢، ص ٢٠١ . وأيضًا :

Chirol, op. cit., p. 131 .

٥ - F.O. 371/1970/41962, Telegram from foreign office in Egypt to war office in London, 20 August, 1914 .

ومنذ أول يناير سنة ١٩١٥ بدأت التقارير تصل إلى القيادة البريطانية عن استعداد الأتراك للقيام بحملة كبيرة على مصر عن طريق قناة السويس [١]، وأنه قد تم إنشاء مخازن ومحطات تموين لقواتهم القادمة التى سيعهد إليها بأمر الحملة وذلك فى خان يونس ، العريش، العوجة ، القسيمة[٢] .

هذا وقد حشدت بريطانيا قوات لحماية القناة من خطر الغزو بواسطة الأتراك وعينت لهذا الغرض اثنتين وأربعين كتيبة مشاة وثلاث بطاريات مدفعية من القوات الهندية وبطارية من المدفعية المصرية وقدرت هذه القوة بحوالى ٣٠ ثلاثين ألف مقاتل . وانتشرت على طول مجرى القناة السفن الحربية البريطانية وبعض السفن الحربية الفرنسية ، تحت قيادة الجنرال ولسن الذى اتخذ مدينة الإسماعيلية مقراً لقيادته ، كما شكلت دوريات جوية بواسطة الطائرات لاستكشاف المناطق القريبة من القناة خشية أن يكون العدو قد قام بتجمعات بالقرب منها[٣].

وبدأ الجيش الرابع التركي بقيادة جمال باشا الزحف على سيناء على رأس ثلاث فرق بلغ مجموع قواتها حوالى ١٢ ألف رجل مزودين بالمدفعية والرشاشات والجمال ، وعبرت القوات العثمانية الحدود عند رفح دون مقاومة ، خاصة وأن البريطانيين كانوا قد فضلوا البقاء على الضفة الغربية لقناة السويس وانتظار مجئ الأتراك [٤].

وفعلاً تم الهجوم المتوقع ليلة ٢ - ٣ فبراير سنة ١٩١٥ على القناة وذلك فيما بين المنطقة بين سرابيوم وطوسون [٥]، ولكن القوات التركية منيت بفشل ذريع إذ أمكن للإنجليز صد الهجوم وانسحب الأتراك ، ولكن لم تتبعهم القوات البريطانية لتقوم بعملية الهجوم المضاد ، إذ امتفى الإنجليز بانسحاب الأتراك إلى بير سبع [٦].

---

١ - F.O. 371/1971. political report to Sir C. Buchonan from Petragrad No. 49402, 14 Sep. 1914 .

٢ - Mansfield, The British in Egypt, p. 212 .

٣ - F.O. 371 / 2355, Telegram from Sir Humble to war office in London, No. 214, in 11 Jon 1915 .

٤ - F.O. 371/1970/72415, Telegram from Sir Barclay (Bucharest) to war office in London, November 4th 1914 .

٥ - Hallborg. op. cit., p. 343 .

٦ - على حسون : مرجع سابق ، ص ٢٤٠ . وأيضاً : حسين هيكل : مرجع سابق ، ص ٧١ .

ولم يكتف الأتراك بهذه الحملة الخاسرة ولكنهم صمموا على تجهيز حملة أخرى أعدوا لها الاستعدادات العسكرية اللازمة وكانت هذه الحملة العسكرية أكبر من سابقتها ، وعهد الأتراك فى هذه المرة إلى قائد ألمانى يدعى فون كريس بقيادة هذه الحملة ، وتقدم كريس إلى القناة بقواته ، وكان هدفه هو التمكن من احتلال منطقة يمكنه منها تخريب القناة وتعطيلها ثم السيطرة عليها وحرمان الإنجليز من استخدامها [١].

وفى ٢٤ يوليو توقف الأتراك فى تقدمهم وكانوا قد وصلوا إلى مسافة ١٠ أميال من رمانة ثم عاودوا تقدمهم ، ولكن الإنجليز استعدوا لملاقاتهم عند رمانة ، ولكن كريس استطاع الإنسحاب بمهارة إلى العريش ، ولم ينجح الإنجليز فى القيام بعملية تطويق هذه القوات بسبب عدم سيطرة القيادة المعهودة لها بهذه العملية سيطرة كاملة على قواتها لأنها اتخذت مقراً بعيداً عن المعركة عند القنطرة[٢] .

وهكذا فشلت الحملات الثلاث التى وجهها الأتراك لغزو مصر ولم يتحقق لهم وللألمان ذلك الحلم بإغلاق قناة السويس ومنع الملاحة فيها واختراق وادى النيل والسيطرة عليه ومد النفوذ التركى الألمانى إلى ليبيا والقضاء على الوجود البريطانى والإيطالى هناك والوصول إلى السودان والقضاء على النفوذ الإنجليزى هناك . وبفشل الحملة الأخيرة للأتراك يبدأ الإنجليز مرحلة ثانية من الدفاع إلى الهجوم والوصول من قناة السويس إلى فلسطين وسوريا والحجاز والعراق .

وبعد ذلك أخذت القوات البريطانية فى توجيه هجومها على الأتراك بدلاً من موقف الدفاع، فقد تمكنت قوات القائد الإنجليزى اللنبى من الاستيلاء على بئر سبع ، ثم على غزة والرملة ، ويافا ، بعد معارك طاحنة مع الأتراك كان النصر فيها حليف الإنجليز ، حيث أن عوامل كثيرة مكنتهم من هذا النصر وهى توفر الأسلحة والمواد التموينية لهم ، وتوفر عنصر القيادة القوية والماهرة بجانب الرجال المدربين على القتال [٣].

---

١ - F.O. 371/2400, Roport take of documents preparedat the request of the political inteligence officer, January 1916, p. 1.

٢ - Ibid, p. 2 .

٣ - F.O. 317/2400 / 72723/ op/ cit., p. 3 .

نتيجة لذلك أخذت القوات البريطانية فى الاستعداد لحصار القدس والاستيلاء عليها ، وذلك بالزحف نحوها ومحاولة تطويقها من ثلاث جهات ، الغرب والشمال والجنوب ، فسارت بعض الكتائب البريطانية على طريق اللطرون - باب الواد ، والبعض الآخر فى طريق اللطرون - رام الله ، بينما بقيت بعض القوات الأخرى على الطريق المؤدية من بئر سبع إلى الخليل(١).

وبعد قتال شديد بين الأتراك المحاصرين والإنجليز ، انسحب الأتراك من القدس عندما أيقنوا أنه لافائدة من الدفاع عن المدينة وأنه يجب أن تجنب المدينة المقدسة الخراب والدمار ، ودخل اللنبى القدس بقواته فى يوم الأحد ٩ ديسمبر سنة ١٩١٧ ، وأصدر بيانًا بمناسبة دخوله القدس باللغات الإنجليزية والعربية والفرنسية والإيطالية والروسية والعبرية واليونانية يطمئن فيه الشعوب على المحافظة على المدينة وأماكنها المقدسة ، وتعهد بصيانة جميع الأماكن المقدسة على اختلاف أنواعها وفقًا للتقاليد المرعية وطبقًا لتقاليد الطوائف التى تملكها(٢).

وما إن احتلت القوات البريطانية مدينة القدس ، حتى وضعت كل فلسطين تحت إدارة عسكرية لها مدير يقيم فى القدس حملت اسم « الإدارة الجنوبية لبلاد العدو المحتلة » وكان مديرها يخضع للورد اللنبى (٣).

ولم يلبث الجيش الإنجليزى أن أخرج الأتراك من بقية أنحاء فلسطين بعد معارك شديدة على حدود فلسطين وسورية ، انتهت هذه المعارك بهزيمة الأتراك وخروجهم إلى سوريا وتوالى هجوم الإنجليز عليهم متعاونين مع قوات الثورة العربية بقيادة الأمير فيصل بن الحسين فى دخول دمشق (٤).

وننتقل إلى نقطة أخرى من نقط الصراع حول البحر الأحمر وهى الثورة العربية فى الحجاز ودور الإنجليز فيها وعملهم على إحكام السيطرة على الأتراك فى المواقع التى كانوا يسيطرون فيها . وقد سبق أن ذكرت فى الفصل السابق الاتصالات التى تمت بين الشريف حسين أمير

---

١ - F.O. 371/2400/72723/ op. cit., p. 3 .

٢ - F.O. 371/ 3061/ 72668/ Telegram from Mr. Wingate, Cairo to foreibn office, London in 15 November, 1917 .

٣ - F.O. 371/3061/726681, op. cit., in 16 November, 1917.

٤ - F.O. 371/3061/72668. Telegram from Sir Wingate, Cairo, No. 1107, 21 November 1917 .

مكة والإنجليز على القيام بالثورة ضد الأتراك وطردهم من الحجاز نظير أن يكون الشريف حسين ملكًا على العرب وأن يكون دولة مستقلة متضمنة الولايات العربية المحررة من الأتراك.

بدأت الثورة العربية فى الحجاز فى يوم الاثنين ٥ يونيو سنة ١٩١٦ فى نطاق ضيق حيث أعلنت فى المدينة أولاً وأعلنها الأمير فيصل ، ثم أعلنت الثورة فى مكة بعد ذلك بخمسة أيام أى فى يوم ١٠ يونيو ، وتلا ذلك إعلان الثورة فى باقى مدن الحجاز وأهمها الطائف وجدة ، وحاصر العرب المراكز العسكرية التركية الموجودة بهذه البلاد . وفى جدة كان الأسطول البريطانى يساعد العرب فى ثورتهم إذ أطلق قذائفه على الثكنات التركية ، وتبع ذلك تدفق الأسلحة البريطانية إلى أيدى العرب لكى يحاربوا بها (١).

وبفضل هذه الأسلحة الحديثة تمكن الأمير عبد الله بن الشريف حسين من الانتصار على القوات التركية الموجودة فى الطائف وأنزل العلم العثمانى من على ثكناتها فى ١٠ أغسطس سنة ١٩١٦ ، وكذلك استطاع العرب بعد ذلك قطع الخط الحديدى بين دمشق والمدينة المنورة لقطع الإمدادات العسكرية عن الجيش التركى المحاصر فى كل المدن .

نتيجة لذلك وفى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٦ أعلن الشريف حسين نفسه ملكًا على العرب فى المسجد الحرام بمكة المكرمة ، واستطاعت قوات الشريف بفضل مساعدة الضباط البريطانيين لها وعلى رأسهم لورنس من تخريب أجزاء عديدة من المواصلات الحديدية التى كانت تربط الحجاز بسورية (٢).

لم يكن لدى الملك حسين قبل الثورة أى قوة عسكرية نظامية أو غير نظامية يعتمد عليها فى تلك الحرب ، أى عند إعلان الثورة ، وما كانت قوته غير المنظمة تملك مدافع ولا بنادق ولا رصاص بالكمية الكافية ، وكان أيضًا بدون ثروة أو مال ، ومعنى ذلك أنه كان يعتمد اعتماداً كاملاً على الإنجليز فى معظم تلك الحاجيات ، وكانوا يعرفون عنه ذلك ، وكانوا قد تعهدوا له منذ اليوم الأول للاتصالات بينهم أن يقدموا إليه كل احتياجاته العسكرية والتموينية (٣).

---

١ - F.O. 371/2782/72646. Report from Cheif Egypt force to Chief, London, in 15 June 1918 .

٢ - F.O. 371 / 2782, 72646, op. cit.

٣ - F.O. 371/ 2782/72646. Telegram from the residency Cairo in 20 June 1916 to war office in London .

لذلك فإن الشريف حسين يعرف مقدار نفسه فى الأمور العسكرية ويعرف أنه لم يكن رئيس دولة فى الحجاز وما كان ذا جيش ولا مدافع ولا معدات ، إذ أنه لم يكن أكثر من موظف كبير يتناول راتبًا من الحكومة العثمانية التى تملك حق إقالته ، على أنه كان فى نفس الوقت يمارس نفوذًا كبيرًا على القبائل البدوية وكان يعتمد على أبنائها وحدهم ، وهو يعلن الثورة ، وقد جند بعضهم بالفعل [١].

ولكن تغير الوضع بعد إعلان الثورة ووقوف الإنجليز بكل مالديهم من مال وسلاح بجانبه ، إذ أنه بعد ثلاثة أشهر من الثورة كان للشريف حسين أربعة جيوش تعتبر منظمة بالقياس إلى ما قبل الثورة وهى :

١ - جيش الشمال بقيادة الأمير فيصل وينبع قاعدته وكانت مهمته الدفاع عنها .

٢ - جيش الجنوب بقيادة الأمير على ومقره رابغ وكان عليه أن يحمى مكة ويصد الترك عن بلوغها من ناحية المدينة .

٣ - جيش الشرق ، وقد أنشئ عقب استسلام الحامية التركية في الطائف وهو بقيادة الأمير عبد الله وكانت قاعدته فى شرق مدينة الطائف .

٤ - جيش الوسط بقيادة الأمير زيد وكان بمثابة احتياطى للجيوش الثلاثة [١].

وكان بدو الحجاز ، هم العنصر الغالب والأساسى فى هذه الجيوش . أما الضباط لهذه الجيوش فهم عراقيون وهم الأكثرية أو سوريون أو فلسطينيون على أن حكومة الحجاز زسرعت فأنشأت مدرسة حربية لتخرج الضباط ، تولى قيادتها فى أول إنشائها ضابط سورى لسد احتياجات هذه الجيوش [٣].

وبدأت هذه القوات فى التحرك حسب الخطة الموضوعة لها من قبل الضباط الإنجليز فاستولت يوم ١٥ أغسطس سنة ١٩١٦ على ثغرى الليث وأملج وهما على الشاطئ الشرقى للبحر الأحمر شمال ينبع [٤].

---

١ - F.O. 371/2782/72646. op. cit.

٢ - أمين سعيد : مرجع سابق ، ص ١٢٢ .

٣ - نفس المرجع السابق ، ص ١١٨ .

٤ - F.O. 371/2782/72646, op. cit., p. 2

وكان الفريق غالب باشا والى مكة وقائد قواتها العسكرية ، حين إعلان الثورة مع عدد من كبار ضباطه ، يصطافون فى الطائف ، وكانت لهم فى هذه المدينة أكبر قوة عسكرية بمنطقة الحجاز (١).

ووصل الأمير عبد الله إلى الطائف ، حينما تقررت الثورة ، ومعه بعض أعوانه ، معلنًا للأتراك أنه فى طريقه إلى مضارب قبيلة « البقوم » لتأديبها على عصيانها ، فشعر الترك بالخطر من هذه الخطوة ، وانقسموا إلى قسمين ، فريق يرى اعتقاله والذين معه ، وآخرون يقولون بعدم فائدة ذلك ، وأن انتظار الأحداث أجدى لهم (٢).

وبعد أن أقام ثلاثة أيام فى الطائف ، يجهز معدات الثورة سراً ، غادرها بعد ذلك ، بعدما ودع الوالى وكبار الضباط الأتراك ، معلنًا أنه ذاهب فى مهمته المكلف بها ، على أنه ماكاد يخرج من سور المدينة ويبتعد عنه ، حتى أسرع رجاله فقطعوا أسلاك البرق والهاتف ، وشرعوا فى الهجوم على الأماكن العسكرية ، فبدأ القتال بين الفريقين ، وظل مستمراً حتى استسلم الأتراك ، وكان عدد الجنود الذين استسلموا فى تلك المدينة ١٨٠٠ جندى على رأسهم الوالى وخمسون ضابطًا وعدد كبير من الموظفين الأتراك ، وما معهم من أسلحة وأموال (٣).

وأما فى الشمال فقد زحفت القوات العربية واستطاعت بمساعدة المدفعية من الأسطول البريطانى الواقف قبالة ميناء الوجه أن تحاصر المدينة وأن تستلم حاميتها بعد قتال شديد شعر الأتراك فى نهايته أن لا أمل لهم في النصر إذ أنهم محاصرون براً وبحراً ، وبذلك تكون الثورة العربية قد أنهت مرحلتها الأولى بالاستيلاء على مكة والطائف ورابغ وجدة وينبع والوجه(٤).

ولقد عزز الاستيلاء على مدن الحجاز وحواضره وثغوره ، مركز الثورة على ساحل البحر الأحمر ، وجنوبى الحجاز وأنشأ اتصالاً مباشراً بينها وبين الإنجليز الذين كانوا يبسطون نفوذهم البحرى على البحر الأحمر ، فصارت المساعدات تصل بسهولة ، بعدما كان الحصول عليها من المشكلات (٥).

---

١ - القبلة (صحيفة) ، العدد ١٣ ، يوم الاثنين ٢٩ ذو القعدة ١٣٣٦ هـ / ١٩١٦ ، ص ٣ .

٢ - القبلة (صحيفة) : المرجع السابق ، ص ٣ .

٣ - F.O. 371/2782/72646. op. cit.

٤ - F.O. 371/3042/72662, Telegram from Sir Wingate, Cairo, January, 29th 1917 .

٥ - Ibid.

أما بالنسبة للحرب في المدينة ، فإن فخرى باشا والى المدينة كان يتوقع القتال بعد إعلان الثورة فاستعد استعداداً عسكريًا كبيراً خاصة وأن المدينة كان بها أكبر عدد من القوات التركية في شمال الحجاز ، وعندما نشب الصراع للاستيلاء على المدينة بين الأميرين فيصل وعلى ضد جيوش الأتراك ، تغلب الأتراك في بداية الأمر على جيوش الأمير فيصل وطاردته القوات التركية حتى ينبع وكاد أن يقضى عليه لولا قذائف السفن الحربية الإنجليزية المرابطة في ينبع والتى أنقذته من هجوم الأتراك (١).

وعاد فخرى باشا إلى المدينة يتحصن فيها ولكن نقص المواد الغذائية الواردة إلى المدينة من الشام بسبب قطع الخط الحديدى في أكثر من موقع ، أصاب المدينة بالمجاعة الشديدة التى أثرت على أهالى المدينة وقوات الأتراك أنفسهم مما دعا قائد المدينة إلى ترحيل الأهالى إلى الشام والعراق تخفيفًا للأعباء الملقاة على عاتق الأتراك المحاصرين ، وبعد قتال شديد انتهى الأمر بهزيمة الأتراك وسيطرة جيش الأمير فيصل على المدينة(٢) .

وفى نفس الوقت كان جيش الأمير على وعلى رأسه لورنس رجل المخابرات الإنجليزى يحاول شن هجوم على العقبة لاحتلالها وقد وفق لورنس في ذلك في ٥ يوليو ١٩١٧م واحتل العقبة بعد هجوم مفاجئ منه ، ومن هناك كان يخطط لتسهيل زحف اللنبى تجاه جزيرة سيناء وفلسطين ليحمى له ميمنة جيشه (٣).

وبعد أن دخل اللنبى مدينة القدس واطمأن على ميمنة جيشه في شرق الأردن ، بعد احتلال العقبة ، عاد جيش الشريف لتشديد الحصار على المدينة حتى سقطت ، وذلك تم تخليص مدن الحجاز كلها (٤).

ولم تلبث القوات العربية أن تقدمت في أواخر شهر سبتمبر سنة ١٩١٨ قاصدة دمشق لاحتلالها ، فاحتلتها في أول أكتوبر من نفس العام (٥)، وذلك بعد أن انسحب منها الأتراك

---

١ - F.O. 371/3042/72662,op. cit .

٢ - Ibid.

٣ - القبلة (صحيفة ، العدد ١٧٩ فى ٢٧ رجب ١٣٣٧ هـ / ١٩١٧ ، ص ٤ .

٤ - القبلة (صحيفة) ، عدد الاثنين ٣٠ محرم ١٣٣٦هـ/١٩١٦م ، ص ٢ . وأيضًا : حسين نصيف : مرجع سابق ، ص ٥٧ .

٥ - القبلة ، العدد ١٧ ، ١١ ذو الحجة ١٣٣٦ هـ / ١٩١٦م ، ص ٢ .

ورفعت رايتها فوق أسوارها وفوق المبانى الحكومية فيها قبل أن تدخلها القوات البريطانية بقيادة اللنبى [١]، ثم والت قوات الثورة زحفها شمالاً وهى لاتنقطع عن الاصطدام بالجنود الأتراك المتراجعين إلى بلادهم ، فدخلت حمص وحماه وحلب [٢]، ولم يمض شهر حتى كانت سوريا كلها قد تحررت من النفوذ العثمانى الذى دام أربعة قرون [٣].

أما بالنسبة لعسير واليمن فقد حددت السلطات البريطانية فى عدن فى بداية الحرب العالمية الأولى ، معالم الاستراتيجية البحرية والحربية التى وضعت على أساسها الخطة العامة لتحركات قطع الأسطول البريطانى وكذلك سفن دول الحلفاء أثناء تواجدها أو أثناء عبورها فى البحر الأحمر . وكان من نتيجة ذلك أن تم فرض حصار بحرى محكم على كل الموانئ التابعة للأتراك فى هذا البحر ، علاوة على تشجيع ورعاية المصالح البحرية مع حلفاء بريطانيا فى المنطقة مثل الإدريسى فى عسير والشريف حسين أمير مكة بعد قيامه بالثورة ضد الأتراك فى سنة ١٩١٦ [٤].

وقد اتفقت كل التقارير الدبلوماسية والخطة البريطانية الموضوعة من قبل القيادة البريطانية فى عدن على الخطوط العريضة لهذه الخطة وذلك على النحو التالى :

أولاً : فرض حصار بحرى حول الموانى التابعة للأتراك فى البحر الأحمر ومنع وصول أى إمدادت إليها أو خروجها منها .

ثانيًا : العمل بكل الوسائل على تسهيل مرور السفن الإنجليزية وسفن الحلفاء عبر البحر الأحمر وحمايتها من الأخطار التى قد تتعرض لها .

ثالثًا : ضمان حماية هذه الأساطيل للإدريسى حليف الإنجليز ومده بما يلزم من الأسلحة والمواد الغذائية اللازمة لشعبه[٥] .

---

١ - S. Musa, Lowrence, p. 189 .

وأيضًا : حسن الخولى : مرجع سابق ، جـ ١ ، ص١٦٥ .

٢ - القبلة ، العدد ٢١٨ فى الخميس ٢٧ ذو الحجة ١٣٣٦ هـ / ١٩١٧م ، ص ٤ .

٣ - محمد أنيس : مرجع سابق ، ص ٣٠٠ . وأيضًا : فاروق عثمان : سياسة بريطانيا فى عسير ، مرجع سابق ، ص ١٠١ .

٤ - فاروق عثمان : سياسة بريطانيا فى عسير : مرجع سابق ، ص ٧١ .

٥ - L.O.L. No. 83, Policy for his Majestys ships in the southern Red Sea patrol, Memoranda by C.H.U. Price Brigadier General political resident Aden, 27 January 1916, p.1.

ورغم هذا كانت بريطانيا تدرك مدى الخطر الذى يهددها فى أنحاء الجزيرة العربية نفسها من الشاطئ الغربى إلى الشرقى ، إذ أن الأتراك كانوا يستطيعون اتخاذ مراكز عديدة على طول سواحل البحر الأحمر لبث الألغام لتدمير البواخر البريطانية سواء الحربية أو المدنية ، كما كان يمكنهم فى نفس الوقت أن يهاجموا القاعدة البريطانية فى عدن ، أو أن يجتذبوا إلى جانبهم حكام المناطق المحيطة بهم وحول عدن وأن يبعثوا برسلهم من تلك المناطق العربية التى يسيطرون عليها إلى مصر والسودان وداخل أفريقيا لإمداد أتباعهم هناك بالسلاح والأموال وإثارة المشاعر ضد قوات الاحتلال فى هذه البلاد (١).

وعلاوة على ذلك فقد لاحظ البريطانيون أن الأتراك بدأوا فعلاً فى اتخاذ خطوات فى هذا العمل الذى بدأ بالنشاط العسكرى لدى الحاميات التركية فى اليمن ، والذى لم يقتصر على التدريب العسكرى المكثف أو التحركات العسكرية من مكان إلى آخر ، بل امتد إلى زيادة أعداد الجنود والمعدات العسكرية والأسلحة والذخيرة بكميات تسمح بدخول المعارك ضدهم(٢).

وقد قدر ضباط المخابرات الإنجليز فى عدن قوة الجيش العثمانى فى اليمن بما فيها القوات المرابطة فى عسير بحوالى خمسة آلاف جندى ، وتشكل هذه القوة فرقتين من الجيش العثمانى، بينما كانت توجد فى الحجاز فرقتان غيرهما ، أما عن توزيع القوة العثمانية فى اليمن فقد كان يتغير من وقت لآخر حسب مقتضيات الأحوال السياسية والظروف العسكرية ، وكانت هذه القوة موزعة بين العاصمة صنعاء والحديدة واللحية وباقى المراكز العسكرية الأخرى(٣) .

وكانت خطة العثمانيين فى منطقة البحر الأحمر أثناء الحرب قائمة على أساس الإمساك بخناق بريطانيا فى المناطق المسيطرة فى هذا البحر وذلك فى الشمال بالاستيلاء على قناة السويس وفى الجنوب بطرد البريطانيين من عدن ، ولا شك أن هذه الخطة لو قدر لها التنفيذ الكامل لأضاعت الإنجليز فى هذه المنطقة وقضت على وجودهم كلية (٤).

---

١ – F.O. 371/1973/72433, Report from intelligence department war office, Cairo, November 26th 1914 .

٢ – فاروق عثمان : العلاقات البريطانية اليمنية ، مرجع سابق ، ص ٣٤ .

٣ – L.O.L. No. 83, op. cit., p. 154 .

٤ – L.O.L. 48076/72/2, Encl. 1. in no. 297, Report on the recent development of the Kamaran civil administration, July 15th 1927 .

والمتتبع لسير المعارك العسكرية بين الإنجليز والعثمانيين خاصة فى جبهة قناة السويس يعرف أن الأتراك فشلوا هناك فشلاً ذريعًا وأن هذا الفشل أصاب خطتهم بالفشل التام رغم نجاحهم الجزئى فى اليمن(١).

وعلى أية حال فإن العمليات الحربية التى قام بها الأتراك أثناء الحرب لم يكن لها تأثير بالغ على مسار تلك الحرب على المستوى العالمى (٢)، إذ أن تلك العمليات العسكرية لم تكن تتناسب إطلاقًا مع العمليات الحربية الرئيسية للخطط العسكرية التى وضعتها الدولة العثمانية وحليفتها ألمانيا . ولذلك فإن هذه العمليات كانت من الحجم الذى ليس له تأثير على سير الحرب بصفة عامة (٣).

فالقوات التركية المرابطة فى جنوب اليمن قد رتبت خطة لغزو عدن التى تسيطر عليها القوات البريطانية ، ولكن هذا الهجوم فشل بسبب رفض سلطان لحج على ابن أحمد بن عبد الكريم الإشتراك فى الحملة برجاله ، وأخيراً حاولت الزحف بقواتها فقط ومن تبعها من رجال القبائل من تعز وما حولها ، وتمكنت من احتلال مدينة الحوطة ففر سلطان لحج خارجًا منها(٤).

وواصلت القوات التركية الهجوم فاستولت على مدينة الشيخ عثمان شمال مدينة عدن ، ولكن القوات التركية لم تمكث فيها كثيراً ، إذ أنها من هذه المدينة كانت تهدد الوجود البريطانى فى عدن تهديداً حقيقيًا وتمنع البريطانيين من الاتصال بالقبائل الموالية لهم فى الشمال ، لذلك فإن الإنجليز لم يرتح لهم بال حتى استعادوا مدينة الشيخ عثمان وانتهى التهديد العثمانى لعدن (٥).

وبعد أن استرجعت بريطانيا مدينة الشيخ عثمان الاستراتيجية لم تعد العمليات الحربية بينها وبين العثمانيين حتى نهاية الحرب ذات أهمية تذكر ، إلا بعض الاشتباكات المحدودة ،

---

١ – فاروق عثمان : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ١٨٣٩ – ١٩١٨ ، مرجع سابق ، ص ٥٩٥ .

٢ – Lenezowski C. the Middle east in the world affairs, p. 60 .

٣ – فاروق عثمان : العلاقات البريطانية اليمنية ، مرجع سابق ، ص ٣٢ . وأيضًا : حسن صبرى الخولى: مرجع سابق ، جـ ١ ، ص ١٦٦ .

٤ – أحمد حسين شرف الدين ، مرجع سابق ، ص ٢٨٢ .

٥ – فاروق عثمان : سياسة بريطانيا فى عسير ، مرجع سابق ، ص ٦٢ .

وكان كل من الجانبين يعود إلى مواقعه الأصلية دون التقدم فى مواقع الآخر وقد استفاد الإنجليز من ذلك إلى أقصى درجة بإبقاء الأتراك قواتهم دون الاستفادة بها فى أماكن أخرى[١].

وفى نفس الوقت فإن الإنجليز لم يخسروا صديقهم الإدريسى فى عسير ، فقد كانوا يمدونه بالأسلحة والذخائر والمؤن والمواد الغذائية ليواصل الحرب التى بدأها ضد الأتراك منذ تحالفه مع إيطاليا أثناء الحرب الطرابلسية فى عامى ١٩١١ - ١٩١٢[٢] .

ولتأكيد هذه المساندة من البريطانيين قام الأسطول الإنجليزى باحتلال جزيرة كمران وجزيرتين أخريين قريبتين منها فى ١٠ يونيو سنة ١٩١٥ وذلك لإحكام الحصار على الأتراك فى اليمن وسد جميع المنافذ البحرية أمامهم فى موانئ اليمن المختلفة والتي تقع تحت أيديهم [٣].

ومن ناحية أخرى دعمت بريطانيا الشريف حسين - شريف مكة - لمواجهة الأتراك وإعلان الثورة عليهم فى الحجاز ، وكانت بريطانيا تهدف من ذلك حجز القوات التركية فى الحجاز أمام الشريف حسين وعدم تحركها إلى جبهات القتال الرئيسية فى أوربا ولاسيما الجبهة الروسية [٤].

وهكذا اقتضت استراتيجية البريطانيين البحرية فى عدن والبحر الأحمر أثناء الحرب العالمية الأولى فرض حصار بحرى محكم حول الموانى التابعة للعثمانيين والحيلولة دون وصول أية إمدادات أو مواد تموينية إليهم [٥]، كما اقتضت هذه الاستراتيجية أيضًا حماية السفن البريطانية وسفن الفرنسيين والإيطاليين حلفائهم فى الحرب ، فضلاً عن السفن التابعة للإدريسى التى حرص البريطانيون على ضمان استمرار حركتها وسلامتها حتى تظل موانئه مفتوحة لاستقبال الإمدادات والتموين [٦].

---

١ - L.O.L. Report from H.F. Jacob, Lieut, Colonel, first assistant resident Aden, 9th September 1915 .

٢ - L.O.L N. 83, op. cit., p. 1 .

٣ - محمد أنيس : مرجع سابق ، ص ص ٢٧٦ - ٢٧٧ .

٤ - L.O.L B. 222, secret, correspondence with the Grand Sherif of Mecca, No. 9 from the high commissioner, Cairo, to the Sherief Hassyn 3th, August 1915, p. 5 .

٥ - Ibid, p.p. 15 - 16 .

٦ - F.O. 371/3042. 72662/ agerment with the Idrisii Sayid matters, Aden residency 26 January 1917, pp. 1-3 .

كذلك يستمر النشاط التجارى على ماهو عليه بين الموانئ فى الصومال والسودان والحبشة وعسير وعدن وموانئ الحجاز بعد قيام الثورة فيه ، مما يؤدى إلى انتعاش مادى وسياسى له آثاره فى تعزيز مكانة الحلفاء وخاصة بريطانيا فى هذه المنطقة الحساسة من العالم .

ولذلك فإن البريطانيين حرصوا كل الحرص على ربط الموانئ التابعة لهم ولحلفائهم على جانب البحر الأحمر بميناء عدن الهام الذى يعتبر مركزاً لتنفيذ هذه الاستراتيجية ومحورها الرئيسى فى النصف الجوبى من البحر الأحمر .

ونتيجة لذلك كله أصبح البحر الأحمر من مدخله جنوبًا فى عدن إلى مدخله الشمالى فى قناة السويس بحيرة إنجليزية لاتوجد فيه إلا السفن البريطانية وسفن حلفاء بريطانيا والإيطاليين ، وخاصة بعد أن سيطرت بريطانيا على فلسطين وطردت الأتراك منها ، وقامت الثورة العربية فى الحجاز وحرم الأتراك من موانئ الحجاز مثل جدة وينبع والوجه . وعلاوة على حرمان الأتراك أصلاً من موانئ عسير لتحالف أمير عسير مع الإنجليز ، فاكتمل الحصار وفرض على موانئ اليمن ولم يعد باستطاعة أية سفينة معادية الدخول لهذه الموانئ .

الفصل الرابع

النتائج التى ترتبت على انتصار الحلفاء وتأثيرها على شعوب البحر الأحمر

لا جدال فى أن الفترة من ١٩١٤ - ١٩١٨ ،هى فترة الحرب العالمية الأولى ليست لها سابقة فى تاريخ الصراع العالمى ، وصحيح أن الحروب فى العصر الحديث كحروب الثورة الفرنسية وحروب نابليون فى أوربا استمرت زمنًا وطحنت بشراء كثيراً وحرقت وقوداً وأموالاً لكنها لم تكن كطبيعة هذه الحرب ، فقد كانت هذه أول حرب واسعة النطاق إلى حد تكفلت بزلزلة الكيان الاقتصادى للعالم كله وإحراقه فى أتون هذه الحرب ، وكانت فى تشعبها وتعقيدها تتصل بنواحى كثيرة من القضايا الشائكة التى ظهرت ولم تكن مقدماتها فى أواخر القرن التاسعَ عشر توحى بها ، ومن العجيب فى أمر تلك الحرب أن المعارك الكثيرة التى حدثت فيها كانت دوافعها متباينة ومتناقضة فى ظل ظروف مصلحية وقومية عديدة قد ملأت بداية هذا القرن ، ولذلك فإن نتائجها عامة كانت أكبر من مقدماتها وخاصة بالنسبة لشعوب البحر الأحمر والتى اعتقدت أنها بمساعدة الحلفاء ستحصل على أقل تقدير على استقلالها نظير المساعدات التى قدمتها لدول الحلفاء ، ولكن للأسف كانت هذه النتائج عكسية طول الخط ، أن الدول التى كانت محتلة توطن فيها الاحتلال عن ذى قبل والتى لم تكن محتلة أصبحت تحت الوصاية والانتداب وهذا ماسنورده بإيجاز فى هذا الفصل .

لم يكن أمام مصر بعد انتهاء الحرب إلا انتظار النتائج الطيبة من بريطانيا نظير المساعدات الكبيرة التى قدمتها سواء بموقعها الفريد المطل على البحر المتوسط والبحر الأحمر أو بقناة السويس وربطها بين الشرق والغرب أو بالمجهود الاقتصادى والبشرى الذى احتملته رغمًا عنها طوال فترة القتال من ١٩١٤ - ١٩١٨ [١]، حتى انتهى الأمر بانتصار بريطانيا

---

١ - عبد العزيز الرفاعي : ثورة مصر - دراسة تاريخية تحليلية من ١٩١٤ - ١٩٢٣ ، دار الكتاب العربى للطباعة ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٩٠ .

والدول الحليفة معها فى تلك الحرب وكان أقل ما تتصوره مصر هو إلغاء الحماية المفروضة عليها من قبل انجلترا بعد قطع علاقتها مع تركيا .

ولكن كان التفكير السياسى لانجلترا الدولة المحتلة لمصر أبعد من ذلك بمراحل إذ أنها فرضت الحماية على مصر ، وجمعت عزيمتها منذ نهاية الحرب العالمية الأولى عندما بدأت الهزائم تتحول إلى انتصارات ، على الإبقاء على مصر وتثبيت أقدامها فيها ، وكان هذا الوضع مرهونًا باعتراف الشعب المصرى بحمايتها لكى يتحقق ولا تجد معارضة من الدول الحليفة لها حتى تصبح الحماية مشروعة ، ولما لم تجد انجلترا غير الثورة فى مصر ، لجأت بسياستها المعروفة لكى تحقق هدفها حتى تنال اعتراف الدول بالحماية . وتتحصل على الموافقة الدولية [١].

وفضلاً عن ذلك فإن نظام الحماية نفسه يحمل نفس المعنى المرادف للسيطرة الكاملة من جانب الدولة المحتلة ، ولا يختلف كثيراً فى منطقه عن مفوم النفوذ السياسى الكامل ، كما أن تعرضه لشئون البلاد المحمية أمر قابل للشد والجذب ، فالدول الحليفة لانجلترا فعلاً والمشتركة معها فى الحرب تستطيع بذلك النظام أن تقبله لأنه يمكنها من القيام بكل شئون الحرب فى مصر بدون تقيد بالمستقبل وتستطيع مصر الرضوخ له بحكم القوة مع أمل فى المستقبل وبقبول شركاء انجلترا للحماية ورضوخ مصر لها تستطيع انجلترا من هذا وذاك أن تقضى أغراضها السياسية والعسكرية[٢] .

وبانتهاء الحرب العالمية الأولى فى عام ١٩١٨ وانتصار الحلفاء على ألمانيا والنمسا ، كانت المناسبة التى انتظرتها شعوب العالم المستعبدة فى صبر نافذ للمطالبة بحقها الطبيعى فى الحرية ،والاستقلال ، طبقًا لمبدأ حق تقرير المصير الذى بشر به الدكتور ولسن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، وكان الشعب المصرى من أوائل الشعوب التى بدأ فيها رجال الفكر والسياسة فى الاستعداد للمطالبة بالاستقلال منذ ظهرت بوادر السلام فى الأفق ، وكانت ثمرة هذا البحث والاستعداد تأليف الوفد المصرى الذى ظل بعد ذلك يمثل العمود الفقرى فى الحياة السياسية المصرية لمدة تزيد عن ثلاثين عامًا [٣].

---

١ – F.O. 371/1970/72358, Telegram from Mir Cheetham, Cairo, 21 September, 1914 .

٢ – عبد العزيز الرفاعى : مرجع سابق ، ص ٤٣ .

٣ – عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية ، مرجع سابق ، ص ٨٣ .

وكانت فكرة تأليف الوفد هذا فكرة مصرية صميمة ظهرت واضحة بين كل القوى السياسية الموجودة فى مصر فى ذلك الوقت وذلك لحضور مؤتمر الصلح فى باريس والمطالبة أمام الدول المجتمعة فيه بحق مصر فى الاستقلال وكانت مجموعة الأفراد المكونة للوفد قد لقيت من السلطان الجديد أحمد فؤاد والذى تولى عرش مصر بعد وفاة السلطان حسين كامل كل تأييد وتشجيع ، ولكن هذا التأييد كان سراً ، لأنه كان يخشى غضب انجلترا عليه [١].

وكانت السلطات البريطانية ترجو أن يكون السلطان الجديد كما كان سلفه طيّعًا سهل الانقياد لأوامرها ، غير أنه لم يلبث أن خيب أملها حينما بدأ سراً فى الاتصال بالعناصر الوطنية المناوئة لبريطانيا ويشد أزرها من وراء الستار وخاصة عندما رفضت السلطات البريطانية تعيين سعد زغلول وعبد العزيز فهمى فى الوزارة واعتراض الإنجليز عليهم لمعرفتهم بوطنيتهم الشديدة ولأنهم سيسببون لهم المتاعب فى المستقبل [٢].

وتطور الموقف بعد ذلك إلي تشجيع السلطان فؤاد للوفد علنًا ومن وراء الستار نكاية فى الإنجليز وكان يهدف من وراء هذا التأييد إلى المزيد من التمكين لنفسه بين الأوساط الوطنية وتوسيع سلطاته فى المستقبل على حساب الأمة ، وزيادة على ذلك فقد شجع رئيس الوزراء رشدى باشا على السفر إلى إنجلترا لعرض مطالب مصر الخاصة بالاستقلال [٣].

وكان رشدى باشا قد طلب من السير ونجت لمندوب السامى البريطانى فى القاهرة أن يعرض على الحكومة البريطانية السماح له ولزميله عدلى باشا يكن بالسفر إلى إنجلترا ، للمناقشة فى المسألة المصرية [٤]، وكان السير ونجت فى الحقيقة يؤيد ذلك الطلب ، وكان قد أبدى رغبته فيه قبل انتهاء الحرب وعمل على مراسلة حكومته من أجله ، وطلب منها الإسراع بتحديد ماهية الحماية ومضمونها ، حتى يهدأ قلق الوزراء والسلطان والوطنيين والمعتدلين والرأى العام كله [٥].

---

١ – Wingate, Wingate of the Sudan, p. 222 , Edited by John Muray, London, 1955 .

٢ – Ibid, p. 223 .

٣ – محمد حسنين هيكل : ٥٠ عام على ثورة ١٩١٩ ، مرجع سابق ، ص ٨١ .

٤ – نفس المرجع ، ص ٨٢ .

٥ – F.O. 371/3203/72572, Report from Mir Wingate to London in 9 Aug., 1918, p. 1 .

ولكن للأسف كل ما طلبه من حكومته لم يوجه إليه أى اهتمام من قبل المسئولين فى لندن، فلم يسكت على ذلك فقد أرسل مرة أخرى إلى حكومته يطلب منها بدلاً من استقبال وفد مصرى أن ترسل هى لجنة من طرفها لاختيار الموقف على الطبيعة ، ولكن مصير هذه المقترحات كان الرفض الكامل كبقية المقترحات السابقة [١].

وفى نفس الوقت كان قد صدر من لندن وباريس تصريح خاص عن سوريا والعراق يتضمن أن الدولتين تنويان تحرير كل الشعوب التى كانت خاضعة للعثمانيين ، وأن تنشئ لها حكومات وطنية تتولى مصالحها . وانتهز السير ونجت هذه الفرصة وكتب مرة أخرى إلى حكومته يذكرها بأن هذا التصريح سيجد صدى واسعًا فى مصر لايعرف إلى أى مدى سيكون تأثيره ، والنتائج المترتبة عليه [٢].

وقد تحقق ظن السير ونجت إذ أن القيادات السياسية فى مصر عندما بلغها خبر التصريح تحركت على الفور وطلب سعد زغلول ورفاقه مقابلة السير ونجت ، وكان يعلم مسبقًا أن هذا الوفد يحظى بموافقة السلطان ورئيس الوزراء رشدى باشا ، وبعد ذلك بفترة وجيزة استقبل السير ونجت رشدى باشا ، وكانت المطالب فى هاتين المقابلتين واحدة ، إذ كان سعد زغلول ورشدى باشا يرغبان رغبة حقيقية فى تغيير وضع البلاد السياسى [٣].

وإزاء هذه التطورات كتب السير ونجت إلى حكومة بلاده فى لندن وأحاطها بمطالب القيادات المصرية ، وذكرها أنه إذا لم يستجب الآن لمطالب المصريين أو على الأقل الاهتمام بها فإنهم سيواجهون المتاعب فى مصر مستقبلا وأن مطالب المصريين فى الاستقلال معتدلة وهذا الاستقلال لن يمنع الاعتراف بمصالح انجلترا فى مصر ورغبته الشخصية فى التوفيق بين الاستقلال الذى يطالب به المصريين وبين مصالح بلده فى مصر [٤].

فى يوم ٢٠ نوفمبر سنة ١٩١٨ طلب سعد زغلول رئيس الوفد جوازات له ولأعضاء الوفد زملائه من قيادة الجيش الإنجليزى للسماح له بالسفر إلى انجلترا ، فماطلت السلطات

---

١ - F.O. 371/3203/ 172572, op. cit., p. 2 .

٢ - F.O. 371/3203/72572, op. cit., p. 3 .

٣ - F.O. 407/184, Telegram from Sir Cheetham to Earl Curzon in 6 March, 1919 .

٤ - عبد العظيم رمضان : مرجع سابق ، ص ١٠٩ .

البريطانية فى ذلك ، ونتيجة لإلحاحه فى طلب الجوازات اضطرت هذه السلطات إلى مصارحته بأن هناك صعوبات تمنع منح هذه الجوازات ، فاضطر سعد باشا إلى الكتابة رسميًا إلى السير ونجت لتسهيل سفره هو وأعضاء الوفد ، وسرعان ماجاء الرد بالرفض الكامل من لندن ، وأنهم فى لندن لامانع لديهم من التقدم بالاقتراحات المطلوبة على أن لاتخرج عن حدود المصالح البريطانية فى مصر وأن لاتتعدى حدود الحماية [١].

وبهذا الرد الذى أبلغ إلى سعد باشا تكون انجلترا قد حددت موقفها بوضوح من الوفد ومن مطالب المصريين عامة وهذا التحديد انصب على أساسين وهما عدم تمكن الوفد من السفر إلى الخارج سواء إلى انجلترا أو باريس لحضور مؤتمر الصلح ، وحصر نشاطه فى دائرة ضيقة لا تتعدى القيام بالمراسلات مع المندوب السامى البريطانى والثانى التمسك بالحماية البريطانية المفروضة على مصر ، وهنا وجد الوفد أنه أمام طريق مسدود وأن كل المطالب المشروعة للمصريين ليست قابلة للبحث لدى السلطات البريطانية سواء فى مصر أو فى انجلترا[٢] .

وكانت النتيجة الطبيعية أن بدأ الوفد فى تجنيد كل الوطنيين المصريين ضد الإنجليز ، فشعر الإنجليز بالخطر من ذلك ، واعتقدوا أنهم باعتقال سعد زغلول وزملائه ونفيهم إلى خارج البلاد فإن عوامل عدم الاستقرار ستنتهى ، وفعلاً أقدمت سلطات الاحتلال البريطانية فى ٨ مارس سنة ١٩١٩ وذلك بموافقة وزارة الخارجية البريطانية ، على خطوة دلت على قصر النظر، وهى اعتقال سعد زغلول وصدقى باشا ومحمد محمود باشا وحمد الباسل ونفيهم إلى مالطة[٣] .

وكانت هذه الخطوة بمثابة الشرارة التى أشعلت بركان السخط الذى كان يكمن فى نفوس المصريين ، فانفجرت ثورة ١٩١٩ التى كانت أقوى من أى عامل آخر سواء زعامة سعد زغلول أو الوفد[٤] ، فقد أظهرت هذه الثورة تضامن الأمة كلها ، واشتركت جميع فئات الشعب ،

---

١ - F.O. 407/184, Telegram from Earl Curzon to Mir Cheetham No. 309, 7 March, 1919 .

٢ - عبد العظيم رمضان : مرجع سابق ، ص ١٠٣ .

٣ - عبد الخالق لاشين : سعد زغلول ، ص ٢٠٥ . وأيضًا محمود زايد : مرجع سابق ، ص ١١١ .

٤ - عمر عبد العزيز : مرجع سابق ، ص ٤٢٧ .

حتى النساء اللواتى اشتركن فى المظاهرات لأول مرة فى تاريخ مصر ، وكذلك الطلاب والفلاحين وحتى الطبقات الأرستقراطية أخذت نصيبها من الثورة التى أصبحت تشمل كل أفراد الشعب (١).

وأمام هذه الثورة المندلعة فى مصر خشيت انجلترا على مركزها فيها فسعت لدى الولايات المتحدة حتى استطاعت أن تحصل فى ١٩ أبريل سنة ١٩١٩ على اعتراف رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بالحماية البريطانية على مصر ، واهتمت الحكومة البريطانية بنشر اعتراف الرئيس الأمريكى وإذاعته دار المندوب السامى البريطانى فى مصر ، ولقد وقع هذا الخبر على المصريين وقوع الصاعقة ، حيث أنكر الرجل الذى أعلن حق تقرير المصير على الشعب المصرى حق تقرير مصيره ، واعترف بالحماية البريطانية على مصر ، وأذاعت انجلترا ذلك الخبر لكى تقطع على المصريين خط الأمل(٢) .

وفى نفس الوقت الذى أذيع فيه التصريح بتأييد الحماية من الولايات المتحدة الأمريكية ، كان هناك شئ أخطر من ذلك وهو سريان نبأ الاعتقال لسعد زغلول وزملائه أعضاء الوفد ، وسرى النبأ بطيئًا فى اليوم الأول لأن القيادة العسكرية كانت قد حظرت على الصحف نشره أو الإشارة إليه من قريب أو بعيد ، فعلم به أعضاء الوفد وأصدقاؤه وموظفوه فى نفس اليوم ، وعلم به طلبة المدارس العليا فى اليوم التالى ، وتسامعت به أحياء القاهرة شيئًا فشيئًا ، وانتقل منها إلى باقى أنحاء القطر المصرى ، حتى لم يمض على ذلك الاعتقال ثلاثة أيام حتى كانت كل البلاد تعلم به (٣).

وكانت النتيجة عكس ما توقع الإنجليز إذ ازدادت الثورة اشتعالاً وعمت الفوضى أنحاء البلاد وسقط القتلى ودمرت خطوط السكك الحديدية وهوجمت ثكنات الشرطة ومعسكرات الإنجليز فى طول البلاد وعرضها(٤) ، وإزاء هذه الثورة الشاملة وعجز الإنجليز عن إخمادها ،

---

١ - عباس محمود العقاد : مرجع سابق ، ص ٢٢٨ .

٢ - Kirk. A short history of the Middle East from the rise of Islam to modern times, p. 132, University, paprs backs, London , 1924 .

٣ - Wingate, op. cit., p. 241 .

٤ - عبد العزيز الرافعى :مرجع سابق ،ص ١٧٨. وأيضًا : عباس محمود العقاد :مرجع سابق،ص ٣٨٠.

قررت انجلترا فى العاشر من أبريل سنة ١٩١٩ امتصاص غضب الشعب بالإفراج عن المنفيين الأربعة والسماح لمن شاء من المصريين بالسفر إلى الخارج سواء أعضاء الوفد أو غيرهم بدون أية قيود تقيد حريتهم فى التنقل [١].

وعلاوة على ذلك فقد قامت انجلترا بتعيين اللورد اللنبى مندوبًا ساميًا فى مصر وعهدت إليه بإخماد الثورة والسماح للمصريين الذى يرغبون فى السفر إلى لندن ، وعمل فعلاً على إطلاق سراحهم من منفاهم فى مالطة وسافر إليهم أعضاء الوفد وصحبوهم من هناك إلى أوربا لمباشرة التفاوض [٢].

وصل اللنبى إلى القاهرة مندوبًا ساميًا وممثلاً خاصًا لملك بريطانيا فى مصر والسودان ، وكانت له جميع السلطات العسكرية والمدنية وفى وسعه اتخاذ أى إجراء مناسب سواء عسكريًا أو مدنيًا لحفظ الأمن والنظام فى البلاد ، وصرح بمجرد وصوله بأن الهدف الأول هو وضع حد لأعمال الاضطرابات القائمة ، وشرح للقيادات الوطنية أنه سيعمل على إزالة الشكاوى ، وطلب منهم المعاونة فى هذه المهمة ، ولكن على أساس أن يتم كل ذلك فى إطار النظم الموضوعة من قبل السلطات البريطانية وليس أكثر ، وكأنه رغب فى إفهامهم أن بريطانيا تريد تحقيق العدالة والقضاء على الثورة [٣].

كان اللنبى رجلاً عسكريًا من شأنه أن يأمر القوات البريطانية فى مصر فتطيعه طاعة عمياء ، فلما جاء إلى مصر وجد نفسه أمام ثورة شعب لاسبيل إلى القضاء عليها بالقوة فلجأ إلى السياسة واللين بجانب الشدة ، ولم تكن له سياسة محددة نابعة من شخصه ولكنه كان مرتبطًا بسياسة مجلس الوزراء البريطانى ، وقد استطاع تطويرها واستخلاص المبادئ منها والتى بمقتضاها سيتعامل مع الثورة وقياداتها ، ومحاولة احتواء هذه الثورة بما يحقق لبريطانيا أهدافها بأسلوب يختلف عن استخدام القوة [٤].

---

١ - سعد زغلول : مذكرات سعد زغلول ، ص ص ١٩٤٠ ، ١٩٤١ . وأيضًا : محمود زايد : مرجع سابق، ص ١١١ .

٢ - Wingate, op. cit., p. 242 .

وأيضًا : عبد العزيز الرفاعى : مرجع سابق ، ص ١٧٩ .

٣ - F.O. 407/184, Telegram from Sir Ellinby to Earl Curzon No. 205, Cairo in 4 May 1919 .

٤ - عبد العزيز الرفاعى : مرجع سابق ، ص ٧٥ .

ولتنفيذ سياسته هذه سمح للوفد المصرى بالسفر إلى لندن بعد أن ضمنت حكومة بريطانيا الاعتراف الدولى بمصالحها فى مصر وذلك متمثلاً فى الإعتراف بالحماية البريطانية ، وبذلك أصبحت المشكلة بين بريطانيا ومصر مشكلة ثنائية لن تحل فى الإطار الدولى إنما تحل عن طريق المفاوضات الثنائية بينهما ، فأرسلت انجلترا اللورد ملنر مندوبها وممثلها فى المفاوضات لمفاوضة سعد زغلول وزملائه للخروج من هذه الأزمة (١).

وبدأت المفاوضات بين سعد ومعه زملاؤه وملنر فى باريس ولم يتوصل الجانبان إلى اتفاق لاختلاف وجهة نظر كل منهما ، وكانت أفكار الوفد المصرى تتمثل فى عدة نقاط ، أولها أن التحالف بين مصر وبريطانيا يجب أن يستمر لمدة ثلاثين عامًا فقط على أن ينظر فى تجديده من قبل كل من الطرفين بينما بريطانيا ترى أن هذا التحالف يجب أن يكون دائمًا ، والنقطة الثانية نص عليها مشروع ملنر بأن تتعهد بريطانيا بضمان سلامة مصر واستقلالها ، مما يجعلها فى مقام الدولة الحامية لا الحليفة ، بينما نص مشروع الوفد على أن تتعهد بريطانيا بالمساعدة فقط فى حالة وقوع اعتداء تقوم به دولة أوربية على الأراضى المصرية (٢).

كما تقدم الوفد المصرى فى نفس المشروع بنص آخر يقضى بأنه فى حالة وقوع اعتداء من دولة أوربية على الإمبراطورية البريطانية أن تقدم مصر لبريطانيا فى أرضها كل تسهيلات المواصلات والنقل لحاجتها الحربية ولو لم تكن أراضيها مهددة مباشرة ، على أن يحدد اتفاق خاص طرق هذه المساعدة (٣). وهذا النص يتفق مع المحالفة لا مع التبعية والحماية ، أما النص الإنجليزى فقد ذكر أنه نظراً للمسئوليات التى على عاتق بريطانيا ومنها تعهدها بحماية مصر ونظراً لمصلحة بريطانيا فى حماية المواصلات وطرقها العالمية إلى مستعمراتها فى الشرق والغرب (٤). فإن على مصر أن تمنح بريطانيا الحق فى إبقاء قوة عسكرية على الأراضى المصرية واستخدام الموانئ والمطارات المصرية ، لضمان الدفاع عن مصر وحماية مواصلات بريطانيا العظمى مع ممتلكاتها ، أما معسكرات الجنود فتعين فى الاتفاقية (٥).

---

١ - عمر عبد العزيز : مرجع سابق ، ص ٤٥٧ .

٢ - عبد العظيم رمضان : مرجع سابق ، ص ٢٨٩ .

٣ - عباس العقاد : مرجع سابق ، ص ٣١٩ .

٤ - عمر عبد العزيز : مرجع سابق ، ص ٤٥٨ .

٥ - عباس العقاد : مرجع سابق ، ص ٣٢٠ .

وقابل هذه النقطة من الوفد المصرى اقتراح بأن تنشئ بريطانيا نقطة عسكرية على الشاطئ الشرقى لقناة السويس وعلى حسابها الخاص للاشتراك فى دفع أى عدوان يحتمل حدوثه على قناة السويس ، وأن إنشاء هذه النقطة العسكرية لايعطى بريطانيا حق التدخل فى أمور مصر، ولا يخل بأى حال من الأحوال بما لمصر من حقوق السيادة على تلك لمنطقة التى تبقى في نفس الوقت خاضعة لسلطة مصر ، ومنفذة فيها القوانين المصرية ، كما أن هذه النقطة لا تؤثر على سلطة مصر فى حقها فى قناة السويس بمقتضى اتفاقية القسطنطينية لسنة ١٨٨٨ الخاصة بحرية الملاحة فى قناة السويس [١].

كما انتقل بعد ذلك الوفد إلى بحث نقطة أخرى وتمثلت فى الامتيازات الأجنبية حيث أن مصر كانت تربط بين سيادتها واستقلالها وإلغاء هذه الامتيازات أو تعديلها على الأقل بما لا يتعارض مع السيادة والاستقلال . ولكن ملنر بدهائه أراد أن يدور حول هذا الموضوع بعدم إلغاء هذه الامتيازات بل بتنازل الدول الأوربية صاحبة لحق فيها إلى انجلترا وعلى انجلترا أن تقوم بالنيابة عنهم برعاية وحماية هذه الامتيازات ، مع مايترتب على ذلك من تعيين مستشارين بريطانيين فى الإدارات الحكومية لمتابعة تنفيذ هذه الامتيازات ، على أن يتولى أحدهما ضمان قدرة مصر على سداد ديونها والثانى يتولى مراقبة تنفيذ القوانين التى لها مساس بالأجانب [٢].

كانت هذه كلها مقترحات الوفد المصرى والمقترحات المضادة من الجانب البريطانى وانتهت المفاوضات بالفشل التام [٣]، وعاد الوفد إلى مصر بعد أن رأى أنه لا فائدة من التواجد والتفاوض مع ملنر ، وعقب وصوله إلى مصر أعلن سعد زغلول تفاصيل مادار فى المفاوضات، وبالتالى عرف الشعب أن انجلترا ليس لديها نية فى منح مصر الاستقلال مما أدى إلى ازدياد الثورة عنفًا [٤].

ولما زادت مقاومة الثورة لسلطات الاحتلال وفقدت القوات الإنجليزية السيطرة على الموقف فكرت انجلترا مضطرة إلى تغيير موقفها ، وأرسلت ملنر ولجنته إلى القاهرة للتفاوض مع

---

١ - عبد العظيم رمضان : مرجع سابق ، ص ٢٧٩ .

٢ - عبد العظيم رمضان : المرجع السابق ، ص ٢٧٩ .

٣ - عبد العزيز الشناوى ، جلال يحيى : وثيقة رقم ٢٧ ، مرجع سابق ، ص ٧١٦ .

٤ - عبد العزيز الرفاعى : مرجع سابق ، ص ١٧٥ .

الحكومة المصرية مباشرة ، وكان يقصد بهذه الخطوة بذر الشقاق بين الوفد وأعضائه والحكومة ومن خلفها السلطان ، وفى نفس الوقت أعلن لوفد رفضه لتلك اللجنة ورفض الشعب أن تقوم الحكومة بالتفاوض بناء على مقترحات انجلترا ، وكان أن فشلت مهمة اللجنة فشلاً كاملاً[١] ، وعادت إلى لندن بدون أن تحقق أى خطوة نحو إقرار الهدوء فى مصر .

وهنا وجد اللورد اللنبى أن العنف أصبح مسدوداً أمامه ، فسافر إلى لندن واقترح على الحكومة البريطانية منح مصر الاستقلال المشروط ، وفضت الحكومة البريطانية ذلك الاقتراح أول الأمر وتحت ضغط الأحداث فى مصر اضطرت إلى قبوله وهو ما عرف بتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢[٢] ، والذى اعترفت فيه بريطانيا بمصر دولة مستقلة ذات سيادة مع احتفاظها - أى انجلترا - بصورة مطلقة بمسائل أربع لمفاوضات مقبلة تبقى الحال فى شأنها كما كانت من قبل وهى الدفاع عن مصر ، وحماية الأجانب ، وحماية الأقليات ، والسودان [٣] .

ومن النتائج التى ترتبت على انتصار الحلفاء فى الحرب العالمية الأولى وسيطرتهم الكاملة على البحر الأحمر وسيطرة انجلترا على فلسطين ، كان الانطباع لعربى العام منذ قيام الثورة فى الحجاز بقيادة الشريف حسين يقوم على اعتقاد فى المساعدة البريطانية فى إقامة دولة عربية مستقلة ، وقد دعمت الدعاية للثورة هذا الاعتقاد منذ أن أصدر الشريف حسين منشوره المعروف إلى جميع العرب من الضباط والجنود الموجودين فى الجيش العثمانى ، معلناً أن هذه الثورة تهدف إلى حفظ الدين وحرية العرب عموماً وداعياً الضباط العرب فى الجيش العثمانى إلى ترك أماكنهم والانضمام إلى قوات الحلفاء ، وقد استجاب العرب ، فقدموا الكثير من البيانات والمعلومات عن القدرات العسكرية للجيش التركى ، كما تطوع كثير من رجال العشائر فى صفوف القوات البريطانية ، وقد فعل العرب ذلك عن اعتقاد بأنهم يحاربون من أجل قضية وطنية ومن أجل تحرير بلادهم .

---

١ - F.O. 407/184, Telegram from Sir Earl Curzon to Sir Cheetham, London 12th March 1919, No. 365 .

٢ - عبد العزيز الشناوى ، جلال يحيى : وثيقة رقم ٢٨ ، مرجع سابق ، ص ٧٢٠ .

٣ - عبد الرحمن الرافعى : فى أعقاب الثورة ، مرجع سابق ، ص ٤٠ وأيضاً :

Wavel. Allenby in Egypt , p. 70. Idited by George Harrap and Co., London, 1934 .

وأيضاً : مجلة الأبحاث ، السنة التاسعة ، جـ ٢ ، نوفمبر سنة ١٩٥٥ ، ص ٣٨٣ .

ولكن الأماني الوطنية شئ والتخطيط الاستعماري شئ آخر ، فإن فلسطين بالذات دون البلاد العربية الأخرى قد تأثرت بتسويات الحرب العالمية الأولى أكثر من غيرها من البلاد سواء مصر أو الحجاز أو العراق أو سوريا أو السودان أو اليمن فقد سارت هذه التسويات مع مؤتمر الصلح ثم مع اجتماع مجلس الحلفاء الأعلى في سان ريمو ، وعمدت بريطانيا إلى التنصل من وعودها التي بذلتها من قبل والتي قطعتها على نفسها لحلفائها أثناء الحرب ، وظهر في هذه المرحلة تنافس كل من بريطانيا وفرنسا على مناطق النفوذ والاستغلال الاستعماري في البلاد العربية ، كما ظهرت بوضوح كبير مساندة بريطانيا للصهيونية ، وانتهت بوضع دولي واجتماعي واقتصادي وسياسي في فلسطين يختلف تمام الاختلاف عن الأوضاع التي نشأت في بقية البلاد العربية الأخرى المطلة على البحر الأحمر أو غير المطلة عليه ، وكانت هذه التسويات نقطة تطور خطيرة في تاريخ فلسطين والعالم العربي ككل .

وهكذا عمل الاستعمار البريطاني على أن يضع الشرق العربي كله في الظروف التي تساعده على تنفيذ المخطط المرسوم لإقامة دولة صهيونية في فلسطين ، وكشرط أساسي لخلق هذه الظروف وافق من حيث المبدأ على إسقاط الجزء الشمالي من سوريا في قبضة الاستعمار الفرنسي ، ولم يكن ذلك التنازل حبًا في فرنسا ، وإنما كان أصلاً من أجل اسكاتها ووقف تدخلها ومعارضتها في فلسطين لكي تتفرغ بريطانيا بعد ذلك لتنفيذ مخططاتها الخاصة بالمنطقة والتي أصبحت هي صاحبة السيادة عليها بدون منازع [١].

ولم تكتف بريطانيا بذلك بل أرسلت إلى كبار الخبراء المختصين في شئون الشرق لتأخذ بآرائهم حول فلسطين وأهميتها ، وقد تولت وزارة الخارجية البريطانية موضوع هذه الأبحاث والتي كانت على جانب كبير من السرية والأهمية في أن فلسطين بالذات لما لها من وضع خاص فهي من أهم المواقع في الشرق العربي وأن البحر المتوسط هو الشريان الحيوي لأوربا وهو ملتقى طرق العالم فلابد لنجاح أية خطة تستهدف حماية المصالح الأوربية المشتركة من السيطرة على هذا البحر ، وعلى شواطئه الجنوبية والشرقية لأن من يسيطر على هذه المنطقة يستطيع التحكم في العالم ، فعلى طول ساحله الجنوبي من الرباط إلى غزة ، وعلى الساحل الشرقي من غزة حتى مرسين وأطنة ، وعلى الجسر البري الضيق الذي يصل آسيا بأفريقيا وتمر فيه قناة السويس شريان حياة أوربا ، وعلى جانبي البحر الأحمر وعلى طول ساحلي الهند وبحر

---

١ - عودة بطرس ، مرجع سابق ، ص ٢٨٧ .

العرب حتى خليج البصرة حيث الطريق إلى الهند[١] . والإمبراطوريات الاستعمارية فى الشرق ، فى هذه البقعة الشاسعة الحساسة يعيش شعب واحد تتوفر له وحدة تاريخية ودينية ووحدة اللغة والآمال ، وكل مقومات التجمع والترابط والاتحاد ، وإعمالا لهذا الإدراك الكامل باستراتيجية وموقع فلسطين من ناحية ، وبضرورة إقامة جسر بشرى غريب يفصل غرب العرب عن شرقهم من ناحية أخرى ، جاءت دبلوماسية بريطانيا ذات الوجهين لتخدر العرب بوعودها الجذابة أثناء الحرب ، واختيار فلسطين لمطالب الصهيونية وتقديم الوعود بشأنها والعمل على قيامها فيها وبذلك تحقق الغرض الذى عملت على تحقيقه وهو فصل عرب المشرق عن عرب المغرب [٢] .

وفى مؤتمر سان ريمو وافقت الدول المنتصرة على انتداب بريطانيا على فلسطين ، وكانت أغراض الانتداب البريطانى تنطوى على هدفين رئيسيين وهما ، من ناحية وضع الانتداب ، كما جاء فى مقدمة ، يقصد تنفيذ أحكام المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم وهذه المادة يوجد بها حكمان تبرز أهميتهما وهما : أولاً ، النص القائل : " إن رفاهية وتقدم شعوب الأقاليم الموضوعة تحت الانتداب أمانة مقدسة فى عنق الدولة المنتدبة " ، وثانيًا : النص المتضمن أن وجود شعب فلسطين كأمة مستقلة قد اعترف به مؤقتًا باعتباره أحد الشعوب المنفصلة عن تركيا [٣] .

ورغم أخذ المؤتمر بمبادئ حق الشعوب فى تقرير مصيرها ، فإن بريطانيا كانت قد صممت على الاحتفاظ بفلسطين تحت إدارتها مباشرة ، استناداً إلى أهميتها الاقتصادية والاستراتيجية والسياسية والدينية ، وكان الانتداب هو اللباس الشرعى الذى لبسته الإدارة البريطانية فى فلسطين ، وتنكرت به لتنفيذ خطتها بزرع الصهيونية فيها ، باسم الحضارة والمدنية والإنسانية[٤] .

---

١ - عبد العزيز الشناوى ، جلال يحيى : وثيقة رقم ١١ ، مرجع سابق ، ص ص ١٠٧ - ١١٢ .

٢ - عودة بطرس : مرجع سابق ، ص ٢١٤ . وانظر أيضًا : أسعد رزق : مرجع سابق ، ص ٢٦٢ .

٣ - Keith, Mandate, Journal of Comparative legislation and international law, Vol. IV, 1922, p. 73, See Also :
Fisher. The middle East in a history, p. 390. Also : Lenzowshri. The Middle East in world affairs, p. 85 .

٤- جلال يحيى : العالم العربى الحديث ، مرجع سابق ، ص ٣٠٢ .

وكان مما ساعد على توطيد الصلة بين الصهيونية وبريطانيا أن عدداً من أعضاء الوزارة البريطانية كانوا يدينون بمعتقدات الصهيونية لأنهم أصلاً يعتنقون الدين اليهودي أمثال آرثر جيمس بالفور والذى صدر التصريح المشهور باسمه فى سنة ١٩١٧م وكذلك لويد جورج الصهيونى المتعصب رئيس الوزراة البريطانية ، وبذلك أوجد هذا الوضع الجديد مناخًا صحيًا للصهيونية وأهدافها [١]، وقامت محادثات استطلاعية بين أقطاب الحركة الصهيونية ، وعلى رأسهم الدكتور حاييم وايزمان وبين المسئولبين البريطانيين ، وفى هذه المحادثات وضع المسئولين البريطانيين النقط فوق الحروف وأفهموا رجال الحركة الصهيونية بتغيير خططهم حتى تتماشى مع الظروف الدولية الجديدة [٢] .

وكان رجال الحركة الصهيونية فى انجلترا قد علموا بوجود الاتفاقية السرية بين بريطانيا وفرنسا (اتفاقية سايكس بيكو) وكان على رأسهم فى ذلك الوقت وايزمان وعندما عرف بنودها السرية وصفها بأنها غير معقولة وغير مقبولة لهم رغم أنها خدمتهم ويسرت لهم السبيل لتحقيق أغراضهم أولاً بأول فى فلسطين تحت الحماية الإنجليزية وتحت سمعها وبصرها وبموافقتها صراحة [٣].

فى ذلك الوقت أصبح العالم العربى تحت رحمة بريطانيا وفرنسا وتحت رحمة رجال الأعمال والحكومة فى انجلترا من المؤمنين بمبادئ الصهيونية خاصة بعد صدور وعد بلفور سنة ١٩١٧ وعدم معرفة العرب هذا الوعد وما ينطوى عليه من تهديد لعروبة فلسطين [٤]. وفى نفس الوقت فإن هذا التصريح وتوقيت صدوره بعد سنة ونصف السنة من اتفاق الحكومة البريطانية مع الشريف حسين شريف مكة ، والذى تعهدت بريطانيا للشريف حسين باستقلال البلاد العربية تحت رئاسته ومن بينها فلسطين [٥]، كما أن هذا التصريح صدر فى الوقت الذى كانت الجيوش العربية تتقدم جيوش الحلفاء وتطارد الأتراك فى جميع المعارك التى خاضتها ضد

---

١ - عادل غنيم : مرجع سابق ، ص ٨٣ .

٢ - White Book. p. 32, official document , no. 5479, July 1937 .

٣ - F.O.371/72631, Sykes-Picot Memorondum in Jan. 23, 1916 .

٤ - H.W.V. Temperley, A history of the pease conference in Paris puplished uder the ouspices of the British institute of international affairs, vol. VI, p. 132 .

٥ - F.O. 371/2782/72646, Telegram from commander in cheif of the high cammissian- ers for Egypt, dated, June 25th 1916.

الأتراك والألمان فى الشرق الأدنى ، وكانت تحارب جنبًا إلى جنب مع قوات بريطانيا إيمانًا منها بأنها تحارب من أجل حريتها واستقلالها ومن أجل الوحدة [(١)].

وكان صدور وعد بلفور هذا فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ فى صورة خطاب وجهه أرثر جيمس بلفور Arthur James Balfour وزير الخارجية فى وزارة الحرب البريطانية إلى والتر روتسيلد Walter Rotheschild على أساس أنه من أقوى زعماء اليهود الإنجليز ، أبلغه فيه تصريحًا وصفه فى نفس الخطاب بأنه ينم عن العطف على أمانى اليهود ، كما أراد أن يضفى على التصريح دعمًا فأبلغه أنه عرضه على مجلس الوزراء ونال موافقة المجلس عليه[(٢)] .

وعلى الرغم من أن وعد بلفور هذا قد أصدرته بريطانيا قبل عام كامل من انتهاء الحرب العالمية الأولى ، إلا أن هذا الوعد الغادر والظالم لم يكن نتيجة منطقية لظروف الحرب التى كانت دائرة فى ذلك الوقت ، ولا نتيجة الحاجة الضرورية للأموال اليهودية والتى كانت ومازالت هى القوة الرئيسية والمساندة للحركة اليهودية العالمية [(٣)]. وإنما صدر هذا التصريح نتيجة طبيعية للسياسة الاستعمارية التى اتبعتها بريطانيا تجاه مصر وفلسطين بشكل خاص وتجاه الوطن العربى بشكل عام [(٤)].

وبدأت انجلترا فى تنفيذ مخططاتها بشأن فلسطين بعد طرد الأتراك منها مباشرة ودخول قواتها العسكرية واحتلالها لكل مناطق فلسطين ، وذلك بدعوة الزعماء اليهود فى أوربا وأمريكا لزيارة فلسطين والعمل على بسط مقاصد اليهود وأغراضهم للطوائف المسيحية فى فلسطين ، حتى يكسب اليهود عطفهم وتأييدهم لهم ولا يجدون معارضة منهم بعد ذلك [(٥)].

---

١ - عبد العزيز الشناوى ، جلال يحيى ، وثيقة رقم ١ مجموعة ٣ ، ص ١٤٥ .

٢ - Leopold Amery : My political life. Vol. II, p. 116 , Hutchinson, London, 1939 .
وأيضًا : محمود حسن : مرجع سابق ، ص ١ .

٣ - حسن الخولى : مرجع سابق ، ص ٢١٨ ، وأيضًا : عودة بطرس ، مرجع سابق ، ص ٢١١ . وأيضًا ، محمود حسن : مرجع سابق ، ص ١٤ .

٤ - عبد العزيز الشناوى ، جلال يحيى ، وثيقة رقم ١ ، مرجع سابق ، ص ١٤٥ .

٥ - جريدة المقطم . مقال بعنوان " فلسطين ومستقبلها " ، العدد ٨٨٦٩ فى يوم الثلاثاء ١٤ مايو (مجموعة السنة ٣٠) ١٩١٨ . وانظر أيضًا : جريدة الكوكب : العدد ٩٥ ، الصادر فى ٢١ مايو ١٩١٨ ، ص ص ٥ - ٦ ، مجموعة السنة الثانية .

وهكذا بعد أن اكتمل لانجلترا إصدار وعد بلفور وحصلت على تأييد الأموال اليهودية فى العالم وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية [١]، وأبرمت اتفاقية سايكس - بيكو مع فرنسا وضمنت عدم معارضتها واحتلت فلسطين وبسطت عليها نفوذها العسكرى وحصلت على تأييد الولايات المتحدة عسكريًا وسياسيًا ، ولم يبق لها الحصول على موافقة العرب على تنفيذ مخططها الصهيونى لابتلاع فلسطين ، والمقصود هنا بالعرب الشريف حسين حليفها أثناء الحرب [٢].

ولذلك فقد أوعزت بريطانيا إلى وايزمان ليقوم بعملية جديدة ضد العرب المقصود منها تطمين العرب على الوعود المبذولة لهم من قبل بريطانيا ، لذلك أرسلت القائد هوجارت إلى الشريف حسين فى جدة فى مطلع عام ١٩١٨م [٣]، وأرسلت فى نفس الوقت وايزمان إلى مقر الأمير فيصل بن الحسين فى العقبة لعقد أواصر الصداقة معه ، وتمت المقابلة بين الرجلين فى شهر يونيو سنة ١٩١٨ بفضل وساطة الكولونيل لورانس الذى يخصه وايزمان بقدر كبير من الثقة والتقدير ، وتباحث الرجلان ولكن لم تصل هذه المباحثات إلى نتيجة بسبب عدم اقتناع كل منهما بما يحمله الآخر من أفكار [٤].

وتلىّ ذلك أن سافر وايزمان إلى الإسكندرية لإجراء مزيد من المشاورات والمباحثات مع القادة الإنجليز فى مصر فى الخطوات التى يجب اتباعها فى فلسطين ، وقد وصلت اللجنة إلى الإسكندرية فى ٢٠ مارس سنة ١٩١٨ ، وقد اعتقدت اللجنة أنها ستقابل بمظاهر عدائية من الشعب المصرى ، ولكنها دهشت عندما لم تجد أيًا من هذه المظاهر العدائية ، لأن الإنجليز أحاطوا هذه الزيارة إلى حد ما بالكتمان [٥].

وعندما بدأ مؤتمر الصلح فى باريس سافر الأمير فيصل بن الشريف حسين إلى المؤتمر ممثلاً لوالده وممثلاً للعرب الذين يرغبون فى الاستقلال ، وبعد وصول فيصل إلى باريس بدأت

---

١ - Lenczowski, op. cit., p. 82 .

وأيضًا : أحمد طربين : مرجع سابق ، ص ١٣٠ . وأيضًا : حسن الخولى : مرجع سابق ، ص ٢٦٠ .

٢ - عبد العزيز الشناوى ، جلال يحيى ، مرجع سابق ، وثيقة رقم ١١ ، ص ص ١٠٧ - ١١٢ .

٣ - أحمد طربين : مرجع سابق ، ص ١٣١ .

٤ - حسن الخولى : مرجع سابق ، ص ٢٦٨ .

٥ - جريدة المقطم : العدد ٨٨٤١ ، الصادر يوم الأربعاء ١٠ أبريل سنة ١٩١٨ ، السنة الثلاثون ،ص٣.

الحكومة البريطانية ومن خلفها الصهيونية تلعب دورها فى الحصول على موافقة العرب على تصريح بلفور وأن تكون هى الدولة المنتدبة على فلسطين[١] ، فأقامت فى وجه فيصل العراقيل وشنت عليه حرب أعصاب هائلة كى يستسلم لها ، ورأى فيصل نفسه فى موقف حرج لأنه لايستطيع أن يواجهها بمفرده فضلاً عن أنه كان يرى أصدقاءه فى الحكومة البريطانية - وكان من بينهم لورانس الذى كان يرافقه فى المؤتمر - يلحون عليه فى قبول المقترحات البريطانية التى تتعارض مع أمانى العرب ومع التعليمات التى حددها له والده قبل سفره[٢].

ولكل ذلك وبعد عدة مناورات من بريطانيا أحرجته أكثر وأكثر اضطر أن يتقدم بمذكرة طالبًا فيها استقلال الشعوب العربية بما فيها فلسطين ماعدا عدن فى دولة واحدة على أن تكون انجلترا هى الوصية على فلسطين إلى أن يقوم السكان بتمثيل أنفسهم بأنفسهم[٣] .

وتلى ذلك أن تم الاستماع إلى وجهة نظر الوفد الصهيونى فى المؤتمر ، وبعد سماع الوفدين العربى والصهيونى وتقديم كل منهم لمذكراته الموضحة والمؤيدة لوجهة نظره ، انعقد اجتماع سرى ضم ممثلى الدول الكبرى لتقرير مصير البلدان العربية [٤]، وجرى نقاش عنيف بين ممثلى فرنسا وبريطانيا ، تدخل فيه ولسون مقترحًا إرجاء البحث إلى أن تتألف لجنة تحقيق تتولى درس الأوضاع الراهنة فى سورية وفلسطين ، وتضع تقريراً تبين فيه وجهة نظر سكان البلاد أنفسهم ، وقبل وفدا فرنسا وانجلترا هذا الاقتراح وتألفت لجنة من الإنجليز والفرنسيين والإيطاليين والأمريكان ، وعرفت هذه اللجنة باسم لجنة كنج كرين King Crane وزارت فلسطين وسورية مابين ١٠ يونيو إلى ٢١ يوليو سنة ١٩١٩ [٥].

وتظاهرت أمريكا وقتذاك أنها تريد الوقوف على رغبات الشعب الفلسطينى فى مستقبله السياسى ، وعندما عادت اللجنة بتقريرها من فلسطين ، ضربت أمريكا بتوصيات اللجنة

---

١ - عودة بطرس : مرجع سابق ، ص ٢٨٦ .

٢ - عادل الجادر : مرجع سابق ، ص ٤٧ .

٣ - Lenczowski, op. cit., p. 85

٤ - The full text is in Royal institute of international affairs, Great Britain and Palestine 1915 - 1945, London, 1946, pp. 149 - 150 .

وانظر أيضًا : جريدة الكوكب العدد ١٤٨ الصادر فى ٨ يوليو ١٩١٩ ، ص ص ٥ - ٧ .

٥ - عبد العزيز الشناوى ، جلال يحيى ، وثيقة رقم ١٩ ، مرجع سابق ، ص ١٢٣ .

عرض الحائط حين جاء التقرير مؤيداً الحق العربى فى فلسطين ، وكانت أمريكا فى ذلك تؤيد مطالب الصهيونية ورغبات انجلترا فى فلسطين [١].

وهكذا سقطت فلسطين فى براثن الاستعمار الإنجليزى ومن ورائه الصهيونية العالمية ويجب هنا أن نشير إلى أنه مهما يقال عن المجهود الذى بذله رجال الوفد العربى فى فترة انعقاد مؤتمر الصلح فى باريس ، فإن مايجب أن يدركه العالم العربى أن هذه الأنشطة حتى لو تضاعفت عشرات المرات ماكان لها أن تحقق أية نتيجة أمام دول منتصرة فى الحرب ومتفقة على تقسيم الغنيمة وأن الرأى ولو كان على حق فى المحافل الدولية ليس له قيمة بدون قوة تدعمه [٢].

هذا وقد حمل بعض الباحثين حملة عنيفة على الشريف حسين فى موقفه من مراسلاته مع مكماهون وأخذوا عليه وهو يتفاوض مع الإنجليز فى قضايا مصيرية تخص الشعوب العربية ، إصراره على الانفراد لوحده بأسرار المباحثات ورفضه الاسترشاد بآراء الآخرين الذين هم أكثر منه خبرةً ، وسكوته عن التعبيرات المرنة المطاطة التى صاغ بها مكماهون رسائله حول حدود الدولة العربية ، وتنازله تباعًا عن قصد عن أراضى عربية مثل عدن ، وتنازله فى رسالته الثالثة عن ولاية مرسين كلها بعد أن كان يطالب ببلاد الشام كلها ، وكذلك تنازله عن جبل لبنان وترك مصير العراق معلقًا ، وذهبوا إلى هذه الأسباب كلها هى التى أدت فى النهاية إلى الوصول بفلسطين إلى ما وصلت إليه بسبب سذاجته وغفلته وعدم اعتقاده فى كذب الإنجليز واحتيالهم ، وأنه اتفق مع الإنجليز على الثورة بدون تحديد الأمور تحديداً حاسمًا وواضحًا[٣].

فى أواخر سنة ١٩١٧ بدأت السياسة البريطانية فى اتخاذ كل مايلزم من إجراءات لبسط سيطرتها على العالم العربى ، وتنفيذ الاتفاق البريطانى الفرنسى [٤]، بعد أن بدأت بوادر النصر بدخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب بجانب الحلفاء وتحولت هزائم الحلفاء أمام ألمانيا إلى انتصارات عليها ، إذ لا قبل لألمانيا وحلفائها بقوة الولايات المتحدة النشطة والتى

---

١ - أحمد طربين : مرجع سابق ، ص ١٣٥ .

٢ - نفس المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

٣ - حسن الخولى : مرجع سابق ، ص ١٥٧ .

٤ - عبد العزيز الشناوى ، جلال يحيى ، وثيقة رقم ١ ، مرجع سابق ، ص ١٤٥ .

لم ترهق فى معارك من قبل [١] ، أقول بدأت السياسة البريطانية فى تنفيذ مخططها وكانت النتيجة من تنفيذ هذه السياسة أن أصيب الشريف حسين بعدة صدمات واحدة وراء الأخرى من السياسة البريطانية ولو أنه لم يستطع أن يقدر مدى خطورتها فى ذلك الوقت[٢].

وأولى هذه الصدمات إقالة السير هنرى مكماهون من منصبه وهو الرجل الذى عقد شبه الاتفاق مع الشريف حسين وصاحب المراسلات التى تضمنت حق العرب فى الاستقلال ، علاوة على ذلك جاءت الصدمة الأخرى بصدور وعد بلفور سنة ١٩١٧[٣] ، والصدمة الثالثة هو قيام الثورة البلشيفية فى روسيا وإذاعة الروس لنصوص الاتفاق الإنجليزى الفرنسى الذى يقسم العالم العربى بينهما ، على غير ما اتفق عليه فى مراسلات الحسين مكماهون[٤].

وعندما بدأت هذه الحقائق تتكشف زادت كل من انجلترا وفرنسا خداعهما للشريف حسين بعد أن فقدت دعاياتها السابقة والتى كانت موجهة إلى العناصر العربية ، فأخذتا تعلنا فى نوفمبر سنة ١٩١٨ البيان المشترك والذى تضمنه الكتاب الأبيض الذى أصدره بلفور فى سنة ١٩١٩ ، وقد تضمن هذا البيان بأن ينحصر النشاط البريطانى الفرنسى فى البلاد التى تم تحريرها من الأتراك العثمانيين فى تقديم كل عون وكل مساعدة فعالة وتضمنان للحكومات والإدرات التى يختارها شعب هذه البلاد بحرية مطلقة وسهولة العمل مع الوعد بالمساعدة فى التطور الاقتصادى والتعليمى [٥].

وهنا تظهر سذاجة الشريف حسين والذى لم يحرك ساكنًا عندما وصلته تلك الأخبار عن بنود الاتفاق والذى أذيع بكل تفاصيله فما كان منه غير الاستفسار عن صحة هذا الاتفاق وعندما وجد التبرير من بريطانيا على التصريحات التى صدرت عن زعمائها استسلم لذلك[٦].

---

١ – محمود حسن : مرجع سابق ، ص ٢٠٤ .. وانظر أيضًا : حسين التريكى : مرجع سابق ، ص ٩٣ . وأيضًا : عودة بطرس : مرجع سابق ، ص ٢٣٩ .

٢ – مجلة الهلال ، جـ ٢ ، السنة ٣٠ ، أول نوفمبر سنة ١٩٢١ ، مقال بعنوان " لماذا لم تشهر أمريكا الحرب على تركيا " ، ص ١٦١ . وأيضًا : موريس كروازيه : مرجع سابق ، ص ٥٣ .

٣ – F.O. 371/2767/72631. Report from Sir Arthur Nicolson C.C.B. to foreign office, January 24th, 1916, No. 15352 .

٤ – كرستوفر سايكس : مفارق الطرق إلى إسرائيل ، ترجمة وتعليق خيرى حماد ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٦٥ .

٥ – جورج لتشوفسكى : مرجع سابق ، ص ١١٩ .

٦ – حافظ وهبة : مرجع سابق ، ص ١٧٦ .

والجدير بالذكر أنه مما يؤكد قدرة بريطانيا على خداع الشريف حسين أنها كانت تعرف أنه يثق فيها ثقة لاحد لها ، وكان هذا الاعتقاد صحيحًا لايشوبه أدنى شك إذ أن الشريف حسين كان فى قرارة نفسه يعتقد أن بريطانيا التى قادت العالم ضد ألمانيا ستسعى بكل الوسائل الممكنة لتكوين المملكة العربية كما يفهمها [١]، وأن الأتراك حاولوا فى أثناء الحرب التأثير فى هذه العلاقة بإيجاد جو من الشكوك والريبة فى نفوس العرب فلم يستجب لهم الشريف حسين[٢] .

والدليل على ذلك أن جمال باشا كتب إلى الأمير فيصل بن الشريف حسين يخبره بما نشره الروس عن هذه الوثائق والتي وصلت فعلاً إلى الأتراك ، وكانت هذه الوثائق تثبت ما اعتزمته بريطانيا وفرنسا من تقسيم البلاد العربية ، واستعداد الأتراك لعقد صلح مع العرب أساسه استقلال البلاد العربية مستقبلاً ، ولكن الملك حسين الذى لم يكن يشك أبداً فى نيات بريطانيا لذلك رفض العرض الذى قدمه إليه جمال باشا بعد أن أكدت بريطانيا أنها تنوى تحقيق كل آماله فى الدولة العربية المستقلة [٣].

علاوة على ذلك فإن الشريف حسين لم يكتف بالاستفسار عن صحة بنود هذا الاتفاق بل زيادة فى الثقة فقد أرسل جميع الرسائل التى وردّته من جمال باشا ورده عليها إلى وزارة الخارجية البريطانية بواسطة المعتمد البريطانى فى جدة ، مما أدى ببريطانيا إلى صياغة ردها عليه فى ٨ فبراير سنة ١٩١٨ ، مؤكدة مرة أخرى أنها عازمة على تنفيذ تعهداتها السابقة وأن الأتراك لايرغبون إلا فى بذر بذور الشقاق بينهما ، وأنه لاصحة لشكوك الشريف حسين فى نوايا بريطانيا [٤].

هذه هى الظروف والملابسات التى وافق الملك حسين على تصريح بلفور واتفاقية سايكس - بيكو أو بمعنى أدق على التفسيرات التى قدمتها له الحكومة البريطانية ، وهنا يظهر واضحًا

١- حافظ وهبة : مرجع سابق ، ص ١٧٧ .

٢ - F.O. 371/2782/72626. Report from cheif London to Cheif Egypt force in 16/6/1916, no. 3 .

٣ - F.O. 371/2782/72642, Report from the Residency, Cairo in 20th June 1916 to Sir Archibald, no. 4 .

٤ - عبد العزيز الشناوى ، جلال يحيى ، وثائق ونصوص ، مرجع سابق ، ص ١٢ . انظر أيضًا : حسن الخولى : مرجع سابق ، ص ١٢١ . وأيضًا : وحيد علم الدين : مرجع سابق ، ص ٨٤ .

بأن الحكومة البريطانية كانت تتلاعب بالألفاظ التى تحمل أكثر من معنى مستغلة كل الاستغلال جهله التام بالعبارات الدبلوماسية وثقته الزائدة فيها ، ونتيجة لذلك فقد أخذ على الشريف حسين حسن ظنه الزائد فى السياسة البريطانية وأهدافها فى الشرق العربى ، وكيف أنها بدهائها جعلت منه قائداً لثورة عربية زعزعت أركان الحكم العثمانى فى العالم العربى وتمهيداً لبسط سيطرتها الاستعمارية على الأقاليم العربية واحداً وراء الآخر (١).

ولا يسعنا هنا إلا أن نشير أن الشريف حسين لم يستمر على سلبيته تجاه وعد بلفور واتفاقية سايكس بيكو والتفسيرات التى أعطيت لهما من قبل انجلترا . وعلى الرغم من عدم قبول الصلح مع الأتراك على أساس استقلال الولايات العربية وخروجه من صف الحلفاء ، إلا أنه خرج على هذه السلبية مرة واحدة حين أدرك إصرار بريطانيا على حصر المملكة العربية فى منطقة الحجاز دون غيرها من الأقاليم ، فأرسل خطابًا فى ٢٠ ذى القعدة سنة ١٣٣٦ هـ إلى السير ريجنالد ونجت المندوب السامى البريطانى فى مصر يهدده بالانسحاب من القتال وتقديم استقالته من الحكم (٢).

وترتب على ذلك كله أن فقد الشريف حسين قيادته وزعامته للحركة العربية مما أدى إلى تجميع عدد من السوريين المقيمين فى مصر والذين يمثلون قيادات سياسية فى بلادهم واضطرهم الأتراك للهرب منها واستقر بهم الأمر فى مصر ، وقد أخذوا على الشريف حسين تساهله مع الإنجليز فى وعد بلفور واتفاقية سايكس - بيكو (٣)، وبدأوا فى العمل مستقلين بعيداً عن الحركة الهاشمية وكونوا من أنفسهم نواة حزب الاتحاد السورى فى شهر ديسمبر سنة ١٩١٨ ، وقد أعدوا العدة للسفر إلى باريس لعرض مطالبهم بخصوص استقلال سوريا (٤).

وفى نفس الوقت أخذ الشريف حسين وابنه فيصل يقعان فى الأخطاء الواحدة وراء الأخرى، إذ أن الشريف حسين أعلن نفسه ملكًا على العرب وفى نفس الوقت لم تحدد الشعوب أو البلاد التى سيصبح عليها ملكًا أو ستضم إلى دولته وتم هذا الإعلان اعتماداً منه على موافقة

١- حسن الخولى : مرجع سابق ، ص ٦٢ .

٢ - F.O. 371/3380/72723. Report from Sir Wingate, Cairo 22nd January 1918, to London. no. 14373 .

٣ - حسن الخولى : مرجع سابق ، ص ٢٧٥ .

٤ - أمين سعيد : مرجع سابق ، ص ٤١ .

الإنجليز المسبقة له فى ضم البلاد العربية المحررة من الأتراك ، وكانت نتيجة هذا الإعلان نفور العرب الآخرين منه والذين لايقبلون بهذا اللقب ، واستقر الأمر أخيراً على إطلاق لقب ملك الحجاز (١).

علاوة على ذلك فقد وقع الأمير فيصل بن الشريف حسين فى براثن الصهيونية العالمية فى أوربا ووقع اتفاقًا مع زعيم الحركة الصهيونية فى ذلك الوقت حاييم وايزمان فى ٣ يناير سنة ١٩١٩(٢) وافق بمقتضاها على ماجاء فى مضمون وعد بلفور بالعمل على هجرة اليهود إلى فلسطين وأن ذلك العمل يتم تحت إشراف الحكومة البريطانية المنتدبة على فلسطين (٣)، ولم يكن يعرف أن تنفيذ هذه الشروط كلها لن يكون فى صالح العرب إطلاقًا وإنما فى صالح الصهيونية والاستعمار البريطانى .

أما بالنسبة إلى سوريا فقد رفض فيصل الانتداب الفرنسى عليها وأصر على خروج القوات الفرنسية وانضمام سوريا إلى المملكة العربية ، ولكن الجيوش الفرنسية رفضت الخروج(٤) ، وعندما ثار الشعب السورى واشتبك مع الفرنسيين أثناء الثورة تغلبت القوات الفرنسية وطرد ما تبقى من الجيش العربى وعلى رأسه فيصل واستسلمت سوريا للاحتلال الفرنسى ، وعاد فيصل مهزومًا إلى مكة (٥).

وكانت النتيجة من ذلك كله ضياع سوريا وفلسطين ولم يتبق للشريف حسين من مملكته التى حلم بإنشائها إلا الحجاز ، حتى الحجاز نفسه لم يخلو من المتاعب حينما نشب النزاع بينه وبين أمير نجد عبد العزيز بن سعود حول الحدود ، وتطور النزاع بينهما إلى حرب شاملة كان يعتقد الشريف حسين أنه سوف ينتصر فيها لامحالة وهو الذى انتصر على الأتراك (٦).

١- F.O. 371/2782/72646. Tlegram from Humble servant in the residency Cairo. November 3rd. 1916 to war office, London .

٢ - حسن الخولى : مرجع سابق ، ص ١٣٠ .

٣ - عبد العزيز نوار : وثائق أساسية من تاريخ لبنان الحديث : مرجع سابق ، ص ٥٢٣ . وأيضًا أسعد زروق : مرجع سابق ، ص ٤٢٠ .

٤ - عبد العزيز الشناوى ، جلال يحيى : وثيقة رقم ١٥ ، مرجع سابق ، ص ١١٧ .

٥ - حافظ وهبه : مرجع سابق ، ص ١٨٣ . وأيضًا : وحيد علم الدين : مرجع سابق ، ص ١٠١ .

٦ - جلال يحيى : العالم العربى الحديث ، مرجع سابق ، ص ٣٩ .

كان الشريف حسين بن على قد استند إلى وعود بريطانيا السياسية التى أعطتها له من قبل [١]، فمن الناحية العسكرية والمادية إلى المعونة التى كانت تزوده بها بريطانيا والتى بلغت ٢٠٤٠٠٠٠ جنيه كل عام ، وكذلك إلى الخبرة الفنية البريطانية والفرنسية لتنظيم قواته [٢]، فاتخذ موقف المتحدث الرسمى باسم العرب ، والممثل الفعلى لآمال العرب وأمانيهم ، لكن هذه الدعامات التى استند إليها الشريف حسين كانت تحمل فى نفس الوقت عوامل ضعفه والقضاء عليه إذ أنها كانت عوامل غير دائمة وثابتة فى تثبيت ملكه ، فالحسب والنسب لا يستطيع الوقوف بهما فى وجه السياسة الدولية وأطماعها والاعتماد على وعود بريطانيا ومعونتها العسكرية والمادية لن تدوم مادام قد حقق لها إخراج الأتراك من البلاد لعربية وتم لها النصر فى فلسطين والشام بمساعدته ، إذن فقد أهميته وقيمته العسكرية فى نظر السياسة البريطانية [٣].

لذلك نجد أن بريطانيا لم تقف موقف الحليف مع الشريف حسين عندما ثار النزاع على الحدود بين الحجاز ونجد ووقعت حرب بينهما انتهت بانتصار عبد العزيز وجيشه على جيوش الشريف حسين فى موقعة تربة سنة ١٩١٩ وفقد فيها جيش الحجاز خيرة عناصره العسكرية وأصيب بضربة قاضية من جراء تلك الهزيمة الساحقة[٤] .

ولم ينتهى الأمر بذلك بل استمر القتال بينهما ، فاستولى الأمير عبد العزيز على الهدا والطائف وبعد ذلك على مكة وجدة وهنا تدخل الإنجليز وطلبوا من الشريف حسين وأولاده الخروج من جدة إلى شرق الأردن وتم ذلك ، وأنشئت للشريف حسين وابنه عبد الله من بعده إمارة شرق الأردن تعويضًا له عن الحجاز وأخذ الأمير فيصل ليبقى ملكًا على العراق تحت سيطرة الاستعمار الإنجليزى [٥].

١- جلال يحيى : العالم العربى الحديث ، مرجع سابق ، ص ٣٩ .

٢ - F.O. 371/7282/72646, op. cit., p.2 .

٣ - جلال يحيى : العالم العربى الحديث ، مرجع سابق ، ص ٤٠ .

٤ - جلال يحيى : العالم الحديث ، مرجع سابق ، ص ٣٩ . وانظر أيضًا : خير الدين زركلى : مرجع سابق ، ص ٣٣٢ .

٥ - F.O. 371/3061/72668. Report from Sir P. Cox, 15th December 1917, Addressed to high commissoner, Cairo, No. 65.

وهنا يأتى دور الإنجليز فى حماية حدود إمارة شرق الأردن وحدود العراق والكويت من هجمات جيوش الإخوان التابعين للملك عبد العزيز آل سعود بعد أن أعلن نفسه ملكًا على الحجاز ونجد ، فتدخلت القوات البريطانية فى صد هجمات الإخوان على حدود الأردن والكويت والعراق ليقف الملك عبد العزيز عند حدوده ولا يخرج منها (١).

ومن أجل الحفاظ على استقرار المنطقة فقد سارعت بريطانيا إلى عقد اتفاقيات الحدود بين الملك عبد العزيز وبين الهاشميين فى كل من شرق الأردن والعراق لتلافى الأزمات المحتملة مستقبلاً وعدم إعطاء أية فرصة لتصاعد الخلافات بين العائلتين مما سيؤثر حتمًا على استقرار المنطقة وبالتالى على المصالح البريطانية فيها (٢).

ونستطيع أن نقرر أن تلك الاتفاقيات لم تكن متفقة مع مصلحة أي من الطرفين بقدر اتفاقها مع أكبر قدر من المصالح البريطانية فى المنطقة ، والدليل على ذلك هو قرار بريطانيا بوجوب ضم العقبة ومعان إلى إمارة شرق الأردن ، وكانت المدينتان مثار خلاف بين كل من أمير شرق الأردن والملك عبد العزيز ، وعندما ضم الملك عبد العزيز الحجاز إلى مملكته انتقل هذا الخلاف إليه بوصفه وريثًا لتلك المناطق التى كان يطالب بها الملك حسين من قبل على أساس أنها تابعة للحجاز وليست لفلسطين(٣) .

وهنا تصدت بريطانيا للأمر ، وتشير التقارير السرية البريطانية إلى أن بريطانيا أعطت تعليماتها إلى مفوضها للضغط على الجانب السعودى من أجل الحدود لصالح الجانب الأردنى، كما وأنها وجهت إنذارها إلى الملك عبد العزيز ليكف عن المطالبة بالمدينتين ، فاستجاب غصبًا عنه ، واتخذت من جانبها الخطوات اللازمة لضمهما إلى شرق الأردن ، وذلك ضمن معاهدة جديدة تعقدها مع الملك عبد العزيز يعترف فيها بالضم (٤).

١- F.O. 371/3061/72668. Report from Sir P. Cox, 15th December 1917, Addressed to high commissoner, Cairo, No. 65.

٢- Philip Graves, the life of Sir Parcy Cox. (London 1915) Also : Elizabeth Monroe, Philip of Arabia, London, 1937 .

٣ - Kenneth William. Ibn Saud, The Puritan King of Arabia p. 30, London, 1933 .

٤ - Philby, Arabia, p. 298 - 314, London, 1970 .

وقد بررت بريطانيا إجراءاتها تلك بأن العقبة مهمة لشرق الأردن بوصفها المنفذ الوحيد له للعالم الخارجى ، كما أن ضمها يسهل مهمة اتصال البحرية البريطانية بشرق الأردن ، أما معان فلها أهمية عسكرية لاتقل أهمية عن ميناء العقبة (١).

وهكذا استقرت الحدود بين إمارة شرق الأردن الوليدة على يد الإنجليز والسعوديين فى الحجاز ، وأصبحت فاصلاً بينهم وبين فلسطين التى أخذت انجلترا بسلطاتها تمهد لإقامة دولة يهودية فيها .

أما بالنسبة للتطورات العسكرية فى عدن واليمن والنتائج المترتبة على انتصار البريطانيين فى فلسطين والشام ، فإن القوات التركية فى اليمن أصبحت فى معزل تام بعد أن أصبحت محاصرة من الجنوب بالقوات البريطانية فى عدن وبقوات الثورة العربية فى الحجاز(٢) ، وفى أواخر سنة ١٩١٨ بينما كان سعيد باشا قائد القوات التركية فى اليمن يحاول أن يفعل شيئًا ضد القوات البريطانية فى عدن وذلك بالاستعداد لمهاجمتها عله يستطيع أن يقضى عليها ويفتح الطريق أمام قواته المحاصرة براً وبحراً (٣).

فى تلك الأثناء جاءته الأخبار بعقد هدنة بين كل من ألمانيا وتركيا والحلفاء بوقف الحرب وعقد الصلح ، وكانت اتفاقية الصلح تنص على تخلى تركيا عن مناطقها فى آسيا وأفريقيا ، وبموجب هذه الاتفاقية أبرق حاكم عدن الجنرال ستيورات إلى الوالى التركى نديم باشا (٤). وكان فى مقر إقامته بصنعاء يطلب منه تطبيق بنود المعاهدة ، ثم تلى ذلك صدور الأوامر من الآستانة بمغادرة القوات التركية إلى بلادها عن طريق عدن ، وانتهى بذلك عصر الاحتلال التركى لليمن وبدأ عهد جديد فى مواجهة القوى المنتصرة بعد الحرب(٥) .

وترتب على انتصار بريطانيا فى الحرب أن زادت أهمية عدن كقاعدة عسكرية بعد ما ظهرت أهميتها أثنا الحرب ، لذلك فإن بريطانيا زادت من سيطرتها عليها مما أدى بها إلى

١- F.O. 371/1145, Telegram from London to Mir Gilbert Clayton. No. 9037, May 1927.

٢ - Lenczowiski, G., op. cit., p. 61.

٣ - السيد مصطفى سالم : تكوين اليمن الحديث (اليمن والإمام يحيى ١٩٠٤ - ١٩٤٨) ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ٢٢٠ .

٤ - أحمد حسين شرف الدين : مرجع سابق ، ص ٢٨٢ .

٥ - فاروق عثمان أباظة : العلاقات البريطانية اليمنية : مرجع سابق ، ص ٤ .

إحداث تغييرات لتناسب الأوضاع الجديدة المترتبة على خروج الأتراك من اليمن ، وخوفها من حدوث اضطرابات تؤثر على مركزها فى عدن من القوى المحلية أو بمساعدة قوى خارجية تستغل هذه الفرصة [١].

ولمواجهة هذه الظروف المتوقعة قامت بريطانيا بإعادة تجهيز ميناء عدن من جديد حتى تتمكن من الصمود ضد أية محاولة من جانب القبائل المجاورة ، لذلك فإن انجلترا استبدلت الأسلحة القديمة التى كانت تحرس الميناء بأسلحة حديثة ذات قدرة كبيرة فى النيران ، كما جددت وأصلحت جميع وسائل الميناء الدفاعية وأصبحت عدن فى تلك الفترة التى اعقبت الحرب تعرف بالقلعة العسكرية . حتى أنه أصبح يعطى لسياسة الأمن العسكرى فيها الأفضلية والأولوية على الاعتبارات الاقتصادية والتجارية رغم زيادة الاهتمام بها أيضًا[٢] من هذه النواحى .

وترتب على هذا الاهتمام ترتيبات جديدة عسكرية وإدارية ومالية وقضائية فضلاً عن ترتيبات أخرى تتعلق بالمخابرات العسكرية ، وقد صاحب ذلك كله تحويل عدن من قاعدة عسكرية فقط إلى أخرى جوية حتى تضمن بريطانيا السيطرة الجوية فى مدخل البحر الأحمر الجنوبى وتبع ذلك انتقال قيادتها من التبعية لوزارة الحرب إلى وزارة الطيران وبالتالى انتقلت تبعتها إلى وزارة المستعمرات البريطانية [٣].

وفى نفس الوقت أصبحت جزيرة كمران وهى التابعة أصلاً لقاعدة عدن أصبحت تابعة لوزارة المستعمرات البريطانية لما لهذه الجزيرة من أهمية استراتيجية فى التحكم فى مدخل البحر الأحمر شمالاً وجنوبًا ، وقد أصدر المقيم السياسى البريطانى تعليماته بذلك على أنه ليس من حق أى قوة أن تنازع سيادة بريطانيا على هذه الجزيرة سوى إمام اليمن وحقه فى ذلك حق الجوار فقط ، وأن أبناء هذه الجزيرة هم من أهل تهامة فى اليمن ، مع اعتبار مسألة السيادة على الجزيرة مسألة قضية منتهية بالنسبة إلى انجلترا[٤] .

١- عبد الرحمن أبو طالب : الجنوب اليمنى المحتل ، دار الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، القاهرة ، ١٩٣٤ ، ص ٢٢٠ .

٢ - فاروق عثمان : العلاقات البريطانية اليمنية : مرجع سابق ، ص ١١ .

٣ - L.O.O., Political and secret department middle East, No. 22,59264/28/No. 3.

وأيضًا : جاد طه : " أسس تحول عدن إلى قاعدة جوية ١٩٢٧ - ١٩٢٩ " ، مجلة دارة الملك عبد العزيز، ع ٢ ، السنة ٦ ، ربيع أول سنة ١٤٠١/يناير ١٩٨١، الرياض ، ص ١٧٤ .

٤ - L.O.L. 69285/29/12. No. 317. The Resident to the secretary of state. Fib. 25th 1929. Conf .

وهكذا بدأت حكومة الهند البريطانية فى النهاية تعمل كل الإجراءات اللازمة لضم عدن وجزيرة كمران إلى وزارة المستعمرات لإنهاء الحكم العسكرى فى كل منهما ، ولإحلال حكم مدنى بريطانى أكثر دوامًا واستقرارًا [(١)] ، وقد بدأت تلك الإجراءات اعتبارًا من بداية سنة ١٩١٩ عندما أمرت الحكومة البريطانية فى لندن كافة الموظفين العسكريين بالانسحاب ولم يتبق إلا الحاكم العسكرى فقط للجزيرة ، الذى تقرر أن يساعده مساعد المقيم السياسى البريطانى فى عدن الذى تولى نتيجة ذلك وظيفة مساعد الحاكم العسكرى [(٢)] .

أما النواحى التسع المتاخمة لعدن بجنوب اليمن فإن بريطانيا حرصت كل الحرص على تدعيم نفوذها ومركزها فى هذه الأماكن ، ليس حبًا فيها وإنما تأمينًا لعدن نفسها ، وكانت بريطانيا تعمل دائمًا منذ بدأ احتلالها لعدن لضمان عدم تعرضها للمخاطر سواء من البحر أو البر ، كما كانت بريطانيا دائمًا قبل الحرب وبعدها تهدف أيضًا بالدرجة الأولى إلى تأمين الطرق الممتدة بين عدن والمشيخات المحيطة بها وذلك ضمانًا لوصول المواد التموينية اللازمة لعدن ، وكذلك الحرص على وصول المواد التجارية إلى أهالى هذه المناطق القادمة من الخارج [(٣)] .

ونتيجة لذلك فقد عملت بريطانيا دائمًا على اتباع سياسة مرنة فى هذه المناطق كانت قد بدأتها بسياسة التهدئة بين القبائل وإحلال السلام بينها بمساعدتها ماديًا طوال فترات الهدوء حتى تضمن استقرار الأمور فى عدن نفسها بما يحقق لها فى النهاية مصالحها الاستراتيجية والسياسية والتجارية [(٤)] .

وقد اتخذت سياسة بريطانيا هذه عدة مظاهر منها المساعدات المادية لهؤلاء المشايخ علاوة على حمايتها لهم من القبائل المجاورة وفض النزاعات بينهم إذ أنها الحكم فى كل ماينشب من خلاف بينهم وكلمتها مطاعة بالنسبة لهم [(٥)] ، وتوجت كل ذلك بمعاهدات معهم كل على حده

١- L.O.L. 48076/2712. Enclosure 1 in No. 296 .

٢ - يونان لبيب رزق : جزيرة كمران بين الاحتلال العسكرى وتحديد التبعية السياسية ١٩١٥ - ١٩٢٩ ، أبحاث الأسبوع العلمى الثالث ١٩٧٩ ، ص ٢٣ .

٣ - Sanger, R.H. : The Arabian Peninsula, p. 204 .

٤ - Reilly, B. Aden and the Yemen, p.p. 15 - 16 .

٥ - Playfair. A history of Arabia, Felik or Yemen, p. 164 .

وأيضًا فاروق عثمان : العلاقات البريطانية اليمنية ، مرجع سابق ، ص ٤٥ .

تمنح فى هذه المساعدات حمايتها لهم ومساعداتها المالية والمادية نظير عدم الاتصال بأية قوة خارجية أخرى غيرها [١]، وقد توجت هذه السياسة بعقد إحدى وثلاثين اتفاقية للحماية تغطى كل المناطق المحيطة بعدن شرقًا وغربًا ، وبذلك أصبح هؤلاء المشايخ حكامًا لقبائلهم وتابعين لبريطانيا [٢].

أما اليمن فإن أهم النتائج للحرب العالمية الأولى بالنسبة لها هو حصولها على استقلالها وهذه ميزة انفردت بها عن باقى الدول العربية الأخرى[٣] ، وذلك أن كل المناطق اليمنية التى كانت تحت سيطرة الأتراك وانسحبوا منها فى أوائل سنة ١٩١٩ تنفيذًا لهدنة " مدروس Ma-drus" والتى تم توقيعها فى ٣٠ أكتوبر سنة ١٩١٨ وبمقتضاها تم انسحاب كل القوات العسكرية والإدارة العثمانية من شبه الجزيرة ، فهذه المناطق حصلت على استقلالها تحت ما يسمى بدولة اليمن [٤].

وبالتالى أصبح إمام اليمن الإمام يحيى يمارس سلطاته الدينية بجانب سلطاته كملك لهذه الدولة بعد أن كان يمارس سلطات دينية محددة أيام الأتراك حتى الجلاء الأخير لهم وأصبحت اليمن تعرف بالمملكة اليمنية المتوكلية [٥].

وبعد أن أصبح الإمام يحيى ملك على اليمن لم تنته المشاكل بالنسبة له ، إذ كانت هناك قوى متصارعة فى هذه المنطقة بعد خروج الأتراك وهذا الصراع كان متمثلاً فى قيام الإمام يحيى ببسط نفوذه على المناطق التى كان يحتلها الأتراك وكانت سلطته عليها دينية فقط أرادها بعد خروجهم أن تصبح سلطة سياسية فبدأ يتحرك فى شمال الهضبة اليمنية ليبسط سيطرته على تلك المناطق باعتباره الوريث الوحيد والشرعى لتركة الأتراك فى اليمن[٦] .

---

١ – عبد الرحمن أبو طالب : مرجع سابق ، ص ٢١٠ . وأيضًا : صلاح العقاد مرجع سابق ، ص ١١٣ . وأيضًا : Reilly, op. cit., p. 16 .

٢- عبد الواسع الواسعى : تاريخ اليمن ، ص ص ٣٣٧ - ٣٣٩ .

٣ – فاروق عثمان : العلاقا البريطانية اليمنية ، مرجع سابق ، ص ٦٣ . وأيضًا : فاروق عثمان : سياسة بريطانيا فى عسير : مرجع سابق ، ص ١٠٢ .

٤ – محمد بن أحمد عيسى العقيلى ، تاريخ المخلاف السليمانى أو الجنوب العربى فى التاريخ ، جـ ٢ ، ص ١١٢ .

٥ – فاروق عثمان : العلاقات البريطانية اليمنية ، مرجع سابق ، ص ٩٠ .

٦ – Hurewitze, J.C. Diplomacy in the near and middle East Vol. 2, p. 12 .

وهذا التحرك الجديد من قبل إمام اليمن لم يمر مرور الكرام إذ أن ذلك أدى إلى الاصطدام بالقوى الأخرى الموجودة حوله[١] ، والتى تمثلت فى الشمال فى الإدريسى أمير عسير وفى الجنوب فى البريطانيين فى عدن وفى النواحى التسع المتاخمة لعدن والتى كانت محمية من قبلهم من قبل ومازالت ، ولذلك فإن النزاع احتدم بين الفرق الثلاثة [٢].

وما أن بدأ الإمام يحيى هذا التحرك حتى قامت بريطانيا بمحاصرة هذه الحركة حتى لا تتسع وتستفحل وتمثل خطراً على بريطانيا ومحمياتها فى هذه المنطقة [٣]، وهذا مما جعلها تحرص على أن تكون أكثر تجاوبًا فى علاقاتها مع الإمام وهو السيد الجديد الذى حل محل الأتراك فى اليمن وأصبح القوة الرئيسية فيه والذى بدأ فى التحرك فعلاً وأرسل فى يناير سنة ١٩١٩ مندوبين من طرفه ومعهم رسالة إلى المقيم السياسى البريطانى فى عدن وإلى قناصل كل من فرنسا وإيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية ، وهى الدول المنتصرة فى الحرب ، وكانت رسالته تحمل طلبه أن يمثل بلاده فى مؤتمر الصلح بباريس [٤].

ولكن هذا الطلب قوبل بالفتور من قبل قناصل هذه الدول ، وأرادت انجلترا أن تعالج هذا الموقف حتى لاتتدخل قوى أخرى بجانب اليمن مثل إيطاليا ، فبادرت بإرسال بعثة سياسية إلى الإمام يحيى وعلى رأسها " هارولد جاكوب " المساعد الأول للمقيم السياسى البريطانى فى عـــدن[٥] ، وكان هدف هذه البعثة ليس مجرد إبرام اتفاق أو معاهدة مع الإمام إنما هو التعرف على وجهة نظره وبحث ذلك على ضوء النتائج الدبلوماسية المترتبة على ذلك ومن أجل تحقيق المصالح البريطانية فى اليمن [٦].

١- Hurewitze, J.C. Diplomacy in the near and middle East Vol. 2, p. 13 .

٢ - LOrd Belhauen. The Kingdom of Melchair, p. 148.

٣ - L.O.L. Secret. The Aden protectorate, letter from General officer Commanding, Aden, to the secretary to the Government of India, foreign department, dated 13th May 1916, Enc., No. 2 .

٤ - Gavin.R.J. Aden under British Rule 1939, p. 258 .

٥ - فاروق عثمان : العلاقات البريطانية اليمنية ، مرجع سابق ، ص ٧٤ .

٦ - F.O. 406/42. A.N. 31 March 1919. C.O. 725/4 Jacob's criticism of the Resident's action 22 June 1922 .

وفى نفس الوقت فإن الدبلوماسية البريطانية أرادت بعملها هذا أن لاتثير شكوك الإدريسى أمير عسير فى تصرفاتها حيال إمام اليمن ، فبادرت لقطع دابر الشكوك معه فأرسلت له بعثة مماثلة لإطلاعه على ما تنوى بعثة اليمن قوله أو فعله حتى يكون على بيّنة من أمره وأن مصالحه مع بريطانيا لن تتعرض للإهمال نتيجة الاهتمام الجديد باليمن وإمامها[١] .

ولكن حدثت للبعثة أمور لم تكن فى الحسبان إذ احتجزت إحدى القبائل البعثة فى منطقة تهامة التى لاترغب فى سيطرة الإمام عليها واحتجزتها لمدة تزيد عن الشهرين ، وهناك استطاع أفراد البعثة التعرف على حقيقة الرأى العام اليمنى فى هذه المنطقة من الإمام يحيى والموقف الجديد بعد جلاء الأتراك ، وقد ساعد ذلك كله البريطانيين على النجاح فى مفاوضة الإمام بناء على المعلومات التى عرفوها خلال احتجازهم[٢] .

وفى نفس الوقت فإن الإدريسى حاول انتهاز فرصة احتجاز البعثة البريطانية بواسطة قبائل تهامة وأخذ يتصل بها سراً للوقوف بجانبه ضد الإمام يحيى وأخذ يبذل لهم الوعود والأموال ، ولكنه لم يتخذ أى خطوات عسكرية فى هذا المجال لأنه لا يستطيع وليست لديه القدرة على ذلك ، وإنما استند إلى تحالفه مع بريطانيا [٣]، وفى نفس الوقت فإن قبائل تهامة اليمنية كانت ترفض حكم الإمام يحيى وحكم الإدريسى وتريد أن تحتفظ بحريتها واستقلالها بعيدة عن بريطانيا والإمام الإدريسى [٤].

أما الإمام يحيى فكان يستعد لاستقبال البعثة البريطانية ويرغب بشدة فى مقابلتها والتباحث معها ، ويعتبرها من وجهة نظره أنها أفضل صور التعبير لرغبة البريطانيين فى التفاهم معه ، ولكن عودة البعثة إلى الحديدة دون استطاعتها مقابلته ، أصابته بكثير من خيبة الأمل ، وعاب على البريطانيين عدم استخدام القوة لفض أسر البعثة ، وكانت النتائج هى عدم رغبة البريطانيين فى التفاهم معه وربما يحدث تغيير فى موقفهم ويشتد تأييدهم للإدريسى عدوه الأول [٥].

١- F.O. 371/4212, Reg. No. 36308/76653. Curzonto Balfare 31 May 1919 .

٢ - Jacob.H.F. Kings of Arabia, p. 202 .

٣ - Ibid, p. 249 .

٤ - فاروق عثمان : العلاقات البريطانية اليمنية ، مرجع سابق ، ص ٨٠ . وأيضًا : أمين الريحانى : ملوك العرب ، مرجع سابق ، ص ٣٦٣ .

٥ - السيد مصطفى سالم : مرجع سابق ، ص ٢٦٩ .

وفعلاً فإن بريطانيا شعرت بعدم قوة الإمام وغيرت رأيها بعد أن أعطت البعثة كل المعلومات التى توصلت إليها فى تهامة بعدم قدرة الإمام على ضم هذه المناطق إليه بالقوة العسكرية [١]، ولذلك ففى شهر ديسمبر سنة ١٩٢٠ سمحت بريطانيا للإدريسى باحتلال ميناء الحديدة والتى كانت تحتله جيوشها منذ الحرب ، وأصبحت المدينة فى قبضة الإدريسى فى ٣١ يناير سنة ١٩٢١ بعد وصول جيوشه إليها [٢].

وعندما تم تسليم المدينة للإدريسى أدرك أهل المدينة أنهم خدعوا بواسطة الإنجليز فهم لايرغبون فى الحكم البريطانى ولا فى حكم الإمام ولا فى حكم الإدريسى وإنما كانت راحتهم مع الأتراك أو المصريين[٣] لأنهم تجار ويبعدون كل البعد عن السياسة والحرب ، غير أنهم وجدوا بعد استلام الإدريسى للمدينة أنهم لايستطيعون المجاهرة بذلك خوفًا من بطشه الذى بدأ بكساد التجارة وزيادة الضرائب عليهم وفرار أهل المدينة منها إلى عدن[٤] .

ولاشك فى أن قيام البريطانيين بتسليم المدينة للإدريسى أغاظ الإمام يحيى كثيراً ، إذ أن الإدريسى لاحق له فى تلك الأماكن ولاحتى بريطانيا نفسها مما دفع الإمام يحيى إلى مهاجمة بريطانيا فِي النواحى التسع التابعة لها على اعتبار أنها جزء من أملاك أجداده اغتصبتها بريطانيا [٥]، وقد أراد بذلك أن يأخذ النواحى التسع رهينة فى يده حتى يسترد ميناءى اللحية والحديدة من الإدريسى [٦].

ولكن حكم الأدارسة لهذه المناطق ضعف إلى درجة كبيرة نتيجة وفاة محمد الإدريسى فى ٣٠ يناير سنة ١٩٢٣ ، ولم يستطع ابنه الأمير على والذى خلفه فى الحكم ، أن يدير دفة الأمور لصغر سنه ، مما جعل الإمارة تمر بفترة اضطراب وتمزق داخلى ، وكانت النتيجة أن طمع

١- F.O. 406/44. Curzon to Aden, Resident, 13th December 1920 .

٢- Co. Reg. No. 10410. A.N. 17th Februery 1921 " Hudayde was hald over to to a lcal committee which acceptd Idrisii Rule immediately aftr the British departurement " .

٣- Jacob..H.F., op. cit., p. 249 .

٤- فاروق عثمان : سياسة بريطانيا فى عسير ، مرجع سابق ، ص ١٠٥ . وانظر :

Bury G.W. Arabian infelix or the Turkis in Yemen, p. 134 .

٥- Jacob.H.F., op. cit., p. 241 .

٦- عبد الرحمن أبو طالب ، مرجع سابق ، ص ٢٥٠ .

الإمام يحيى فيها وانتهز الفرصة لاسترداد ممتلكاته التى اغتصبها الإدريسى بواسطة الإنجليز وطردهم من ميناءى اللحية والحديدة ووصل به الأمر إلى الاستيلاء على أجزاء من أراضى عسير نفسها ، وحصرهم فى الجزء الشمالى منها فقط [١].

ولم يكتف الإمام يحيى بذلك الانتصار الكبير على الأدارسة بل واصل الزحف شمالاً للقضاء على الإمارة كلها ، مما حمل الأدارسة على خلع الأمير على ونصبوا عمه السيد حسن الإدريسى مكانه ، وقد طلب هذا الأخير من إمام اليمن الإبقاء على الإمارة نظير حسن الجوار بينهما ، وفى نفس الوقت عقد معاهدة مع ابن سعود سنة ١٩٢٦ بمقتضاها تم التحالف بينهما[٢] ، ولكن الظروف المحيطة بالإمارة من ناحية اليمن ومن ناحية ابن سعود أضعف موقفها تمامًا مما أدى إلى أن طلب الأمير السيد حسن الإدريسى فى النهاية ضم ما بقى من بقايا الإمارة إلى الملك الحليف ابن سعود وبذلك انتهت صفحة الأدارسة فى عسير ، كما انتهى الدور الذى لعبته بريطانيا هناك بواسطة هذه الإمارة أثناء الحرب العالمية الأولى[٣] .

واستمر الخلاف بين الإمام يحيى وبين بريطانيا حول ملكية النواحى التسع التى كان يطالب بها إمام اليمن وترفض بريطانيا التنازل عنها مطلقًا بحجة أن أجداد الإمام لم يتولوا حكمها من قبل ولموقعها الاستراتيجى فى حماية قاعدة عدن نفسها[٤] إذ أنها موقع الدفاع الأمامى من هذه القاعدة الحيوية لبريطانيا ومواصلاتها مع مستعمراتها فى الشرق حتى تم توقيع المعاهدة البريطانية اليمنية فى سنة ١٩٣٤م والتى أنهت هذا النزاع [٥].

١- فاروق عثمان : سياسة بريطانيا فى عسير ، مرجع سابق ، ص ١٠٦ .

٢ - فاروق عثمان : سياسة بريطانيا فى عسير ، مرجع سابق ، ص ١٠٧ .

٣ - وزارة الخارجية السعودية . بيان عن العلاقات بين المملكة العربية السعودية والإمام يحيى حميد الدين، مطبعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٩٣٤م ، ص ٥٠ .

٤ - Reily, op. cit., p. 73 .

٥ - Hurewitze, op. cit., vol.2, pp. 106 - 197. Also : Reily.B. op. cit., pp. 72-74 .

الخـــاتمـــة

بعد أن استعرضت فى فصول البحث أهمية دور البحر الأحمر تاريخيًا فى الملاحة الدولية ودوره الاستراتيجى فى الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) ، وما ترتب على انتصار الحلفاء - بريطانيا وفرنسا - على ألمانيا وتركيا ، من نتائج كثيرة عالمية ومحلية بالنسبة للشعوب المطلة على البحر الأحمر . ومن أهم هذه الشعوب مصر والسودان ، وكما ذكرت سالفًا فإن انجلترا منذ عام ١٨٨٢ ، كانت تحتل مصر والسودان ، فعندما نشبت الحرب العالمية الأولى استخدمت بريطانيا كل سلطاتها فى مصر لخدمة قواتها العسكرية المرابطة فى قناة السويس للدفاع عنها ، وشارك الجيش المصرى فى صد الهجمات التركية التى كان غرضها احتلال قناة السويس ، وجندت بريطانيا كل موارد مصر البشرية والاقتصادية وطرق المواصلات لخدمة جيشها وجيوش المستعمرات التى جمعتها فى مصر .

هذا عن الوضع الاقتصادى والعسكرى ، أما عن الوضع السياسى فقد أعلنت بريطانيا الحماية على مصر وإلغاء السيادة التركية عليها ، وبذلك قطعت كل مايربط مصر بتركيا من صلات ، وانتهت الحرب بانتصار انجلترا ، وانتظر المصريون أن تكافئهم انجلترا على مجهودهم فى الحرب بمنحهم الاستقلال جزاء لهم على ماقدموه من أرواح وممتلكات فى الحرب .

ولكن انجلترا كانت تضمر شيئًا آخر وهو تثبيت الاحتلال ورفض سفر الوفد المصرى إلى مؤتمر الصلح فى باريس لعرض مطالبهم ، خاصة وأن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية أعلن أن من حق الشعوب المستعمرة الاستقلال . وعندما عرف الشعب المصرى برفض سفر الوفد المصرى واعتقال أعضائه وعلى رأسهم سعد زغلول ونفيهم إلى مالطة قامت الثورة التى شملت البلاد كلها وزلزلزت كيان الإنجليز وهددت وجودهم .

وإزاء هذه الثورة العارمة التى لم تنجح القوة العسكرية فى إخمادها ، اضطر الإنجليز إلى إصدار تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ، والذى يقضى بمنح مصر الاستقلال الكامل ماعدا بعض التحفظات بالنسبة للسودان وبقاء قوة عسكرية فى القناة تحافظ عليها .

أما النتائج المترتبة على انتهاء الحرب بالنسبة إلى فلسطين ، فقد أضرت بفلسطين ضرراً بالغًا ، إذ أن اتفاق حسين - مكماهون كان يقضي بأن فلسطين من ضمن الولايات التى ستكوّن دولة الشريف حسين ، ولكن فى اتفاقية سايكس - بيكو ١٩١٦ نصت عليأن تضم بريطانيا فلسطين لما لها من أهمية استراتيجية ودينية . وفعلاً أخرجت فلسطين من دولة الشريف حسين بعد أن فرضت القوات المحتلة البريطانية سيطرتها عليها وسمحت لليهود بالوصول إليها بعد إعلان وضعها تحت الانتداب ، وكان ذلك تمهيداً لقيام اليهود الصهاينة بدولتهم فيما بعد بتشجيع من انجلترا وتأييدها ، رغم كل المحاولات التى بذلت من قبل الشريف حسين وابنه فى ضم فلسطين إلى ولايته . ولكن فى النهاية لايبقى إلا القوى . وانجلترا فى ذلك الوقت كان لايمكنها التفريط فى فلسطين لأنها جوهرة الشرق العربى بالنسبة لها . وكانت قد أصدرت تصريح بلفور فى سنة ١٩١٧ والذى وعدت فيه اليهود بفلسطين وبعد إحكام سيطرتها بدأت فى تنفيذ وعدها لهم بتدفق آلاف اليهود إليها وجعلتهم يتحكمون فى اقتصادها وشئونها الداخلية بمساعدتها .

وكذلك كان من النتائج أن خدعت بريطانيا الشريف حسين ولم تنفذ ما وعدته به فى مراسلاته مع مندوبها مكماهون فى القاهرة بإنشاء دولة مستقلة له من الولايات العربية المحررة من تركيا . فبعد أن وافق فى مراسلاته مع مكماهون على ترك مرسين وأطنة والإسكندرونة حيث أن غالبية سكانهم من الأتراك ، وافق على تفسير بريطانيا لوعد بلفور بأن حقوق العرب لن تمس وأن اليهود فى فلسطين سيعيشون كمواطنين عاديين ضمن الطوائف الموجودة فى فلسطين .

وكذلك وافق الشريف حسين على التفسيرات التى قدمتها له بريطانيا بخصوص اتفاقية سايكس - بيكو وأفهمته أن ذلك لمصلحة الحلفاء وأنه بعد انتهاء الحرب سيكون له ما طلب . وحتى لو فرضنا أن الشريف حسين كان على علم كامل بكل ما تحتويه هذه الاتفاقية ، وكذلك ما يخفيه وعد بلفور بإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين ، فهل كان رفضه لكل ذلك سيغير من واقع الحال ؟ لانعتقد ذلك ، لأن ليس لديه القوة العسكرية التى سيقول بناء عليها كلمة الرفض .

علاوة على أن هناك نقص واضح فى تفكير الشريف حسين وأولاده وهو التفكير الدبلوماسى الذى يلائم تفكير الدول الأوربية الكبرى ، فالشريف حسين وأولاده على قدر بسيط من الخبرة الدبلوماسية التى لاتنفع مع هذه الدول .

وعلاوة على ذلك فإن اشتداد النزاع بينه وبين عبد العزيز آل سعود وهزيمته العسكرية الماحقة فى « تربة » والتى أفقدته خيرة قواته ، أضعفت من قدرته العسكرية ، وبدلا من وقوف بريطانيا بجانبه كما وقف بجانبها أثناء الحرب ، تركته يواجه مصيره أمام عبد العزيز الذى طرده من الحجاز وتلقفته انجلترا ليقيم فى بادية الأردن كلاجئ لحين إنشاء إمارة له تأويه.

والنتيجة لكل ذلك أن بريطانيا بدهائها الدبلوماسى تخلصت من الشريف حسين ومن مطالبه بكل سهولة وقنع راضيًا لا حول له ولا قوة بعد طرده من الحجاز وإقامته فى شرق الأردن هو وأولاده ، فيصل - المطرود من سوريا - وعلى وعبد الله ، وإن كانت بريطانيا بعد ذلك لمصلحتها فقط أخذت فيصل وأقامته ملكًا على العراق تحت احتلالها المباشر لهذا البلد .

أما إمارة عسير فبعد انتهاء دورها بانتهاء الحرب ضعفت بموت قائدها السياسى المحنك محمد الإدريسى وخلفه ابنه صاحب الشخصية الضعيفة الذى لم يستطع لم شمل إمارته فلم يجد الدول التى تمد له يد العون لأنه لامنفعة عسكرية من هذه الإمارة الصغيرةِ بعد انتهاء الحرب ، فما كان منه إلا أن يختار بين الانضمام لملك اليمن العدو التقليدى لأهله وإمارته ، أو بين القوة الناشئة فى الجزيرة العربية ابن سعود . وفضل الأخير الذى أعطاه من الضمانات ما اطمئن بها على ماله وعشيرته . وبذلك انتهت إمارة عسير إلى الأبد .

أما بالنسبة لقاعدة عدن ، فقد زادت أهميتها العسكرية عن ذى قبل ، إذ أن الحرب أثبتت أهميتها الاستراتيجية ، ولذلك عملت بريطانيا على تحويلها من قاعدة عسكرية فقط إلى جوية أيضًا زيادة فى قوة فاعليتها والاحتفاظ بها دائمًا على قدم الاستعداد للدفاع عن المدخل الجنوبى للبحر الأحمر فيما لو فكرت الدول الأوربية فى منافستها ، وزادت من تحصيناتها وزودتها بأحدث الأسلحة التى ظهرت خلال الحرب ، حتى أصبحت أحدث قاعدة عسكرية فى المستعمرات البريطانية كلها .

أما بالنسبة للسلطنات التسع فى شرق عدن ، فإن انجلترا عملت بكل جهدها على استمالة هؤلاء السلاطين بالأموال والمواد الغذائية حتى لاينضموا أو يعقدوا اتفاقيات مع الدول الأوربية الأخرى ، واستمر الخلاف مع إمام اليمن حول ملكيتها إلى أن تم إنهاء هذا الخلاف فيما بعد باتفاقية ١٩٣٤م .

أما بخصوص اليمن ، فهو البلد الوحيد الذى ظفر بالاستقلال من الشعوب العربية سواء الخاضعة لتركيا أو محتلة بواسطة الدول الأوربية ، نظراً لجلاء الأتراك عنها بعد توقيع اتفاق الهدنة فى سنة ١٩١٨ ، وقد صدرت الأوامر للقوات التركية بتسليم أسلحتها تمهيداً لإجلائها عن اليمن . ومنذ ذلك التاريخ أصبح الإمام يحيى ملكًا حقيقيًا على اليمن ، بعد أن كان فى عهد الأتراك لايملك إلا السلطة الدينية فقط .

وقد تركت انجلترا اليمن ، لأنه ليس لها مصلحة استراتيجية أو اقتصادية فيه تستطيع استثمارها فيما لو احتلته ، فضلاً عن صعوبة القبائل اليمنية وعدم استقرارها على حال ، إذ أنها تخضع لمن يمدها بالمال ومن يقصر عنها تذهب إلى غيره بحثًا عن المال .

لذلك فضلت انجلترا ترك اليمن مستقلاً وحذرت الدول الأوربية من الاقتراب منه خاصة إيطاليا ، لأن وجود دولة أوربية خطر على قاعدتها فى عدن وأن من المحتمل منازعتها السيطرة على المضيق مستقبلاً . لكل هذه العوامل أفلتت اليمن من الاستعمار الأوربى .

وهكذا نجد أن بريطانيا استغلت مركز البحر الأحمر الاستراتيجى لمصلحتها سواء فى أوقات السلم أو وقت الحرب ، واستغلت كل ثروات الشعوب المطلة على هذا البحر ، وليس الشعوب فحسب بل مواردها الاقتصادية ومرافقها وجيوشها فى حربها ضد تركيا مما جعل النصر حليفها ، وبدلا من مكافآتهم على هذه التضحيات زادت من سيطرتها على الدول التى كانت تحت احتلالها واحتلت من لم تكن تحت الاحتلال وأرضت حلفائها على حساب الشعوب العربية مثل فرنسا التى منحتها سوريا ولبنان .

المصادر والمراجع

أولاً : مصادر باللغة العربية (الوثائق) :

أ - وثائق غير منشورة باللغة العربية :

- الكتاب الذى قدمه عبد الرحمن أبو طالب ، ممثل المملكة اليمنية المتوكلية " الجمهورية العربية اليمنية حاليًا " إلى الإدارة السياسية بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية بالقاهرة فى ٥ أغسطس سنة ١٩٥٩ تحت عنوان : " الجنوب اليمنى المحتل من النواحى التاريخية والطبيعية والسياسية ونصوص الاتفاقيات والمعاهدات بأنواعها المختلفة من معاهدات الصداقة والولاء ، إلى معاهدات الحماية ، إلى معاهدات الاستشارة ، التى عقدتها السلطات البريطانية فى عدن مع سلطات وإمارات الشطر الجنوبى من اليمن ، مع توضيح موقف الحكم الإمامى السابق فى الشطر الشمالى من اليمن ازاءها بوجه خاص ، وإزاء الوجود البريطانى السابق فى عدن بوجه عام . والكتاب محفوظ بدار الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بالقاهرة ، قدم فى ٥ أغسطس سنة ١٩٥٩ ، ولم ينشر بعد .

ب - وثائق منشورة باللغة العربية :

- الكتاب الأخضر السعودى الذى أصدرته وزارة الخارجية السعودية تحت عنوان " بيان عن العلاقات بين المملكة السعودية والإمام يحيى حميد الدين " ، مطبعة أم القرى بمكة المكرمة ، ١٣٥٣هـ /١٩٣٤م .
- الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين (المجموعة الأولى من ١٩١٥ - ١٩٤٦م) ، محفوظة بدار الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، القاهرة ١٩٥٧م .
- عبد العزيز سليمان نوار (دكتور) : وثائق أساسية من تاريخ لبنان الحديث من ١٥١٧ - ١٩٢٠ ، جامعة بيروت العربية ، ١٩٧٤م .
- عبد العزيز محمد الشناوى (دكتور) وجلال يحيى (دكتور) : وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر . ويضم هذا الكتاب الوثائق المتعلقة بالتنافس الدولى فى منطقة البحر الأحمر فى القرنين التاسع عشر والعشرين ، دار المعارف بالقاهرة ، ١٩٦٩م .
- وزارة الحربية والبحرية : الجيش المصرى ومجهود مصر الحربى ، (تقرير لسير آرشيبالمرى إلى حكومته عن خدمات الجيش المصرى حتى أواخر ١٩١٦م) ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ١٩٥٢م .

- محمد حسنين هيكل : ٥٠ عام على ثورة ١٩١٩ ، إصدار مركز الوثائق والبحوث المعاصرة بالأهرام ، مطابع جريدة الأهرام ، القاهرة ، ١٩٦٩م .
- سعد زغلول : مذكرات سعد زغلول . نقلاً من كتاب دكتور عبد الخالق لاشين « سعد زغلول ودوره فى السياسة المصرية » ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

جـ - الكتب :

- ابن ظهيرة : (غير معروف المولد والوفاة) ويقال أنه من علماء القرن العاشر الهجرى : الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة ، تحقيق : مصطفى السقا وكامل المهندس ، مطبوعات دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٦٩م .
- ابن الأثير (على بن محمد ، ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣م) : الكامل فى التاريخ ، ١٤ جزء ، ليدن ، ١٨٥١ - ١٨٧٦م . دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م ، القاهرة ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م .
- ابن اياس (محمد بن أحمد بن اياس الحنفى) : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، ٤ أجزاء، طبعة بولاق ١٣١٢هـ ، طبعة استانبول ١٩٤٥م .
- ابن واصل (جمال الدين بن سالم بن واصل ، ت ٦٩٧ هـ) : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، ٤ أجزاء ، تحقيق : د. جمال الدين الشيال ، دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦٣م .
- أبو المحاسن (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى) : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، طبعة بولاق ، القاهرة ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩م ، المؤسسة المصرية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٣م .
- أبو محمد عبد الله با الطيب أبو مخزمة : تاريخ ثغر عدن ، ليدن ، مطبعة بريل ، ١٩٣٦م.
- السيوطى (حافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى) : حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦٩م .
- أحمد الحفنى القنائي الأزهرى : الجواهر الحسان فى تاريخ الحبشان ، مطبعة بولاق ، القاهرة ١٣٢١ هـ / ١٩٣٨م .
- خليل بن شاهين : زبدة كشف الممالك ، مطبعة بولاق ، القاهرة ، ١٣٢٢ هـ / ١٩٣٨م .
- العبدلى (أحمد بن فضل بن على محسن) : هدية الزمن فى أخبار ملوك لحج واليمن ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢م .

- العقيلي (محمد بن أحمد عيسى العقيلي) : تاريخ المخلاف السليماني أو الجنوب العربي في التاريخ ، راجعه وأشرف على طبعه : حمد الجاسر ، جزءان ، الجزء الأول طبع بمطابع الرياض ، ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨م . الجزء الثاني طبع بمطابع دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١م .

- عبد الواسع الواسعي : تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ، الطبعة الأولى ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٤٦ هـ ، والطبعة الثانية ، مطبعة حجازي، القاهرة ، ١٩٤٧م .

- قطب الدين النهروالي (قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي المكي ، ٩١٧ - ٩٩٠ هـ): البرق اليماني في الفتح العثماني (تاريخ اليمن في القرن العاشر الهجري مع توسع في غزوات الجراكسة والعثمانيين لذلك القطر) أشرف على طبعة حمد الجاسر ، دار اليمامة للنشر ، الرياض ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧م .

- القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي) ت : ٨٢١ هـ / ١٤٨١م : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ١٤ جزء ، مطبعة بولاق ، القاهرة ، ١٩١٩ - ١٩٢٢م .

- المقيرزي (تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر) ت : ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢م :

- إغاثة الأمة بكشف الغمة ، مطبعة بولاق ، القاهرة ، ١٩٨٥م .

- الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام ، مطبعة بولاق ، القاهرة ، ١٨٩٥.

- السلوك في معرفة دول الملوك ، مطبعة بولاق ، القاهرة ، ١٨٩٧م .

- الهمداني (أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب) : السمط الغالي الثمن في أخبار ملوك الغز باليمن ، تحقيق : ركس سمث - جامعة كمبردج ، لندن ، أبريل ١٩٧٣م .

- يحيى بن الحسن (يحيى بن الحسن بن القاسم بن محمد بن علي) مولود ١٠٣٥هـ/١٦٢٤م ت:١١٠٠هـ/١٦٢٤م : غاية الأماني في أخبار القطر اليماني المسمى (عقيلة الدمن من أنباء الزمن في أخبار اليمن) ، تحقيق وتقديم : د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، د. محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨م .

د - وثائق غير منشورة باللغة الإنجليزية: British documents

1 - F.O. 371/2755, Memorandum by Frere, June, 1874.

2 - British Documents, X. p. T.1, 444-5, on Balkan war .

3 - F.O. : 371/58, Telegram from the Earl of Cromer to Sir Edward Grey, Cairo, January, 1906 .

4 -British Documents .

رسالة خاصة بتاريخ ١٢ أبريل ١٩٠٨ من فيتز موريس C.H. Fits Moris المترجم الأول فى السفارة البريطانية بالقسطنطينية إلى تايرل W.G. Tyrell سكرتير وزير الخارجية السير إدوارد جراى .

5 - British documents on the origins of the war 1898 - 1914, Vol. V.

6 - F.O. : 371/1970 / 41962, Telegram from forign office in Egypt to war office in London, 20 Agust, 1914 .

7 - F.O. : 371/407/183, No.4 Telegram from Cheetham to Gray 10, Sept.,1914, No. 140.

8 - F.O. : 371/1970/72415, Telegram from Sir Barclay Bucharest to war office in London, Noverber 4th, 1914 .

9 - F.O. : 371/1971. Political report to Sir C.Buchnan from Petrograd, No. 49402, 14 Sept., 1914 .

10 - F.O. : 371/1970/72358, Telegram from Mir Cheetham, Cairo, 21 September, 1918 .

11 - F.O. : 371/183, No. 29, Tel. from Cheetham to Gray, Sept. 30 , 1914, No. 233 .

12 - F.O. : 407/1183, No. 16, Tel. from Cheetham to Gray, October 12,1914, Tel. No. 147, Secret .

13 - Fo. 371/1971/Telegram from Sir E. Graiy to Mir Cheetham Foreign office, Octobur 15th , No. 771, London ,1914

14 - Fo. 371/1971/ Telegram from Mir. Cheetham, Cairo, November. 1st., No. 65828, 1914 .

15 - F.O. 371/1971/71046, Telegram from Mir. Cheetham, Cairo, November 14th, 1914, No. 266 .

16 - F.O. 371/1971/ Tel. from Mir. Cheetham, ,Cairo, foreing office, November 15tn, 1914, No. 344 (70836) .

17 - F.O. 371/662, Telegram from Petragrad to foreing office, London, 18 November, 1914 .

18 - F.O. 371/72691. Order in the council at the court of Buckingham palace, 19 November, 1914 .

19 - F.O. 371/73115, Telegram for Sir. F. Brtie (Bordeux) to Sir. E. Graiy, 20 Novembr, 1914.

20 - F.O. 407/183, No. 56, Cheetham to Graiy, November 23, 1914, Tel. No. 283 . .

21 - Fo. 371/81562. Intelligence departement, War office, Cairo in November, 26, 1914, about proclamed " the Jehad" .

22 - Fo. 371/1973/72433. No. 1562. from intelligence department war office, Cairo in November 26th 1914, about Sinia and Turkush Frontier.

23 - F.O. : 371/1973/72483. No. 1562, Telegram from intelligence department war office in November 26th, 1914, about Sinia and Turkish Frontier.

24 - F.O. : 371/1973/72433/ Report from intelligence departmentwar office, Cairo, November 26th, 1914 .

25 - F.O. 371/72433, Telegram, from Sir E.Graiy Part, British Agency, Cairo to London, December. 13, 1914, No(87396).

26 - F.O. : 371/72433, Tel. from Bitish Agency, Cairo to Sir E.Graey Bart, in December 13, 1914 .

27 - F.O. : 371/1973/187396, Tel. from Sir Graey Bart , British Agency, Cairo, December. 13, 1914, to foregin office, No. 204.

28 - F.O. : 371/1973/, Tel. from Sir Graey , British Agency, Cairo, Dec. 13, 1914, to London, No. 87396.

29 - F.O. 371/11973, Telegram from foreign office, London, Cairo, 17th December, 1914, No. 84145.

30 - F.O. : 371/1973/ Tel. from foreign office, London to Cairo 17 December, 1914 .

31 - F.O. : 371/1973/72433. No. 84369/14/ Telegram from Mir Cheetham, deted, December 18th, 1914 .

32 - F.O. : 371/2365, Report from Sir Edward Graey to war office in London, December 24th, 1914 .

33 - F.O. : 371/72433, Tel. from Sir Humble, Cairo , 29 December to foregin office, London .

34 - F.O. : 371/2355, 72415, Tel. from Sir Barclay, Bucharest to war office in London , no. 214, in 11 January. 1915 .

35 - F.O. : 371/1973/72433, Report of the Jehad, Entelligence department, war office, Cairo, November, 26th, 1915 .

36 - F.O. : 371/2400, REport take of documents, prepared of the request of the political intelligence officer, 1 January, 1916 .

37 - F.O. : 371/2767/72631, Memorandum about Arrab, question Recived at foreign office, London, in 5 January, 1916, no. 2522 .

38 - F.O.:371/2668, Report from director intelligence, Egypt to war office, no. 365, in 15 January, 1916 .

39 - F.O. : 371/72631, Sykes-Pickot, Memorandum, in January 23, 1916 .

40 - F.O.: 371/2767/72631, Report from Sir Arther Nicolson, C.C.B., to foreign office, January 24th, 1916, No. 15353 .

41 - F.O. : 371/2782/72646, REport from cheif Egypt force to cheif, LOndon, in 15 June, 1916 .

42 - F.O. : 371/2782/72646, Report from cheif London to cheif Egypt force in 16-6-1916, no. 3 .

43 - F.O. : 371/2782/72646, Report from residence, Cairo in 20th June, 1916, to Sir Archbald, no. 4 .

44 - F.O. : 371/2782/72646, Te; from the residency, Cairo in 20 June, 1916, to war office in London .

45 - F.O. : 371/2782/72646, Telegram from Sir Humble servant in the REsidency, Cairo, November 3th, 1916, to war office, London .

46 - F.O.: 371/3042/72662, Agreement with the Adrissi Saiyid regarding the Farasan Islands and other matters, Aden Residency 26 January, 1917 .

47 - F.O. : 371/4042/72662, Telegram from Sir Wingate, Cairo, January, 29th, 1917 .

48 - F.O. : 371/407/183, No. 110 and 111, in 23 July, 1917 .

49 - F.O. : 371/3061/72668, Telegram from Sir Wingate, Cairo to foreign office, London, in15 November, 1917 .

50 - F.O. : 371/72668, Telegram from Sir Wingate, Cairo, No. 1107, in 21 November, 1917 .

51 - F.O. : 371/3061/72668, REport from Sir P.Cox, 15th Dec. 1917, Adressed to High commissioners, Cairo, no. 65 .

52 - F.O. : 371/3380/72723, Report from Sir Wingate, Cairo, 22th January, 1918, London, No. 14373 .

53 - F.O. : 371/3203/72572, Report from wingate , to London in 4 August, 1918 .

54 - F.O. : 371/184, Tel. from Sir Ellenby to Earl Curzon, no. 203, Cairo in 4 May, 1919 .

55 - F.O. : 407/184, Telegram from Sir Cheetham to Earl Curzon in 6 March, 1919,no.2.

56 - F.O. : 371/184, Tel.from Earl Curzon to Mir Cheetham, No. 309, 7th March, 1919 .

57 - F.O. : 371/184, Tel. from Sir Earl Curzon to Sir Cheetham, London, no. 365, 12 March, 1919 .

58 - F.O. : 371/4212/Reg/36308/76653. Report from Sir Earl Curzon to Mir Balfors, 31 May , 1919 .

59 - F.O. : 371/3203, Report from Colonel Meinrtz Hogen, Cairo, to Earl Curzon , March 2, 1920, no. 15 .

60 - F.O : 706/44, Report from Earl Curzon to Aden, Resident 13th December, 1920 .

61 - F.O. : 406/42 : A.N., 31 March 1919, C.O. 62514, Jacob's Cruticism of the Resident action, 22 June, 1922 .

62 - F.O. : 371/11445, Telegram from London to Mir Gilbert Claeyton, no. 9037, May, 1922 .

63 - F.O. : 371/2400,72723 .

64 - F.O. : 371/2468, 172723 .

65 - F.O. : 371/11445,9073 .

66 - F.O. : 371/12486 .

67 - F.O. : 371/2267, Sykes-Pickot agreement.

68 - F.O. : 371/No. 2486 .

69 - F.O. : 371 / 11445, 9037 .

هـ - وثائق غير منشورة :

1 - L.O.L.B 13 : 222, secret, Correspondence with the Grand Cherif of Macca, no. 9, from the high commissioner, Cairo to the Cherif Hassyn, 3th August, 1915 .

2 - L.O.L 13 : 216, secret, British policy in the Yemen, Memoranda by Major General Sir G.J. Younghusbond, political, Resident, Aden, no.c.695, Dated 23rd Sept. 1915.

- Enclosure no.1, Memoradum on the employment of Etalians of Magadisocia of Askar-is from Arabia, by H.F. Jacob, 8th September, 1915 .

- Enclosure no.2, Memorandum on the political policy of our hinterland by H.F. Jacob, 9 Septemper, 1915 .

3 - L.O.L216, secret from Major General Sir Gorge Yonghusbad K.C.L.F.G.B, Political Resident Aden, to the secretary to government of Bombay, Political, departe-ment, no. C. 644, Aden Residency 1st-3rd September, 1916.

4 - L.O.L. Repert from Jacob f. about a visit to Jazan in 17 January, 1916.

5 - L.O.L. Secret from Jacob Brigadier General C.H.M. Price, C.B.S.O. to the secertary to government political departement Bombay, No. 80, in 27 January, 1916 .

6 - L.O.L. No. 83 Policy for his magestys ships in the Southern Read Seapatrol memor-anoda by C.H. price Brigadier General of political resident, Aden, 27 January, 1916.

7 - L.O.L. Secret from Brigadier General C.H.U. price political resident, Aden, to the secretary to government political department Bombay , no. C. 95, Aden residen-cy, 29th January, 1916 .

8 - L.O.L Enclosure, no.1. from Brigadier General price to cheif of the General Staff, Army head quarters Delhi, India, no. 4657/55/ G.O. Head quarters, Aden 29th January, 1916 .

9 - L.O.L. Enclosur, no. 2, from a Report by Magor GR. Brodshow, General Staff, Aden, regarding the Adressi. 29th January, 1916 .

10 - L.O.L. No . 273, Enclosure, present political situation in our Hunterlan and byland the Border by H.F. Jacop lieftenant Colonel Assistant REsident, 10 March, 1916.

11 - L.O.L no. 273, secret from Brigadier, General William C. Walter, acting political Resident Aden, to the secretary to government political department Bombay, 114th March, 1916 .

12 - L.O.L. Enclosure, no. 1. The Boundary of the Aden protectorate note by colonel, A.A. Wauhope, R.E.C.B.C.M.G. political and mulitary intelligence officer Aden in 10 May, 1916 .

13 - L.O.L. Enclosure, No. 2, A Political policy in our hinterland, Note by Livtenant colonel, H.F. Jacob, first assistant resident, Aden, dated, 10May, 1916 .

14 - L.O.L Secret, The Aden protectorate, letter from the General office Commanding Aden to the secretary to the government India department dated 13 May, 1916 .

15 - L.O.L. Secret, The Aden protectorate, letter from General officer, W.C. Walter, Aden, to the secretary to the government of the India forign department, dated 13 May, 1916 .

16 - L.O.L. Secret, The Aden protectorate, letter from General officer commanding, Aden, to the Secretary, to the government of India foreign department, dated 13th May, 1916, Enclosure, No.2.

17 - L.O.L. No. 232, Secret from Brigadier General, W.C. Walton General officer commanding and political Aden, to the secretary to the government of India in the foreign department, Sumal, head quarters, Aden, 29th 1916 .

18 - L.O.L. No. 216, secret from Magor General Sir George Young husband K.C.L.F.G.B., political resident Aden, to the secretary to government of Bombay, political department, No.C.644, Aden Residency, 1-3rd Septembrer, 1916 .

19 - C.O. Reg, No. 10410, A.N. 17th February 1921 "Hudayde" Was hould over to a local comitte which accepted Idrissi rule immediately after the British department.

20 - L.O.L.: 48076/172/2, Enclosure, No.1.in No. 297, Report on the recent devolopment of the Kamaram civil administration, July, 15th,1927.

21 - L.o.L.: 48076, 72212, No. 296, India office to Colonail office, October, 21, 1927 .

22 - L.O.L.: 69285/291/2, No. 317, The Resident to the secretary of stste February 25th, 1929, Conf .

23 - L.O.L. : 48076/2712, Enclosure, No.1, in No.296, 25 Feb., 1929 .

24 - L.O.L. : 49076/1712, Enclosure, 295, Supplement Report on the devolopment of the Kamaron Civil administration captain Cadel in 25 April, 1929 .

25 - White Book, official documents, No. 5479, July, 1937 .

ثانيًا : المراجع العامة :

أ - باللغة العربية :

- ابراهيم نصحى (دكتور) : تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٦م .

- أحمد حسين شرف الدين : اليمن عبر التاريخ من القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى القرن العشرين (دراسة جغرافية ، تاريخية ، سياسية شاملة) مطبعة البادية، الرياض ، ١٩٨٠م .

- أحمد عبد الرحيم مصطفى : مصر والمسألة المصرية من ١٨٧٦ - ١٨٨٢م ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥م .

- « « « : علاقات مصر بتركيا فى عهد الخديوى إسماعيل من ١٨٦٣ - ١٨٧٩م ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٧م .

- أحمد طربين (دكتور) : فلسطين فى خطط الصهيونية والاستعمار من ١٨٩٧ - ١٩٢٢م ، (الإمانة العامة لجامعة الدول العربية - إدارة فلسطين الشعبة السياسية) القاهرة ، ١٩٧٠م .

- أحمد عسه : معجزة فوق الرمال ، المطابع الأهلية اللبنانية ، بيروت ، ١٩٦٨ .

- أسعد زروق (دكتور) : إسرائيل الكبرى (دارسة الفكر التوسعى الصهيونى) إصدار مركز الأبحاث - منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٦٨م .

- آدم ميتز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ترجمة : محمد عبد الهادى أبو ريدة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٧م .

- أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين ، المطبعة العلمية ، بيروت، ١٩٦٧م .

- أمين الريحانى : ملوك العرب ، جزءان ، المطبعة العلمية ، بيروت ، ١٩٦٩م .

- آلان مورهيد : النيل الأزرق ، تعريب : د. إبراهيم عباس أبو الريش ، بيروت ، ١٩٦٩م.

- توفيق على برو : العرب والترك فى العهد الدستورى العثمانى ١٩٠٨ - ١٩١٤م ، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة ، ١٩٦٠م .

- جلال يحيى (دكتور) : مصر الإفريقية والأطماع الاستعمارية فى القرن التاسع عشر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٧م .
- « « « : التنافس الدولى فى شرق إفريقيا ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٧م .
- « « « : المغرب الكبير ، جـ٣، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٦م .
- « « « : أصول ثورة يوليو ١٩٥٢، مطبعة جامعة أسيوط ، القاهرة ، ١٩٦٥م.
- « « « : العالم العربى الحديث (الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين) ، دار المعارف ، القاهرة، ١٩٦٦م .
- جلال يحيى (دكتور) ، محمد رفعت مهنا : مشكلة القرن الإفريقى وقضية شعب الصومال ، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٨١م .
- جميل عبيد : المديرية الاستوائية ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧م.
- جيان : وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية من إفريقيا الشرقية ، مطبعة بولاق ، القاهرة ، ١٩٢٧م .
- جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، جـ٢ ، جامعة بغداد ، بغداد ، ١٩٧٠م.
- جورج انطونيوس : يقظة العرب ، تاريخ حركة العرب القومية ، ترجمة : د. ناصر الدين الأسد ، د. إحسان عباس ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٢م .
- جورج لنشوفسكى : الشرق الأوسط فى الشئون العالمية ، ترجمة : جعفر خياط ، مراجعة : د.محمود حسين الأمين ، د. إبراهيم أحمد السامرائى ، مطبعة دار المتنبى ، بغداد ، ١٩٦٤.
- حافظ وهبه : جزيرة العرب فى القرن العشرين ، ط ٥ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧م .
- حسن صبرى الخولى (دكتور) : سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين ، جزءان ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، ١٩٧٠م .
- حسين التريكى : هذه فلسطين ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، ١٩٧١م .
- حسين على حلاق : موقف الدول العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧ - ١٩٠٩م ، جامعة بيروت العربية ، بيروت ، ١٩٧٨م .
- حسين فوزى النجار (دكتور) : السياسة الاستراتيجية فى الشرق الأوسط ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، ١٩٥٣م .
- حسين محمد نصيف : ماضى الحجاز وحاضره ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠م.
- خير الدين زركلى : شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .

- ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية (طبعة موسعة تتضمن الاتفاقيات السرية التى كانت قد عقدتها الدولة العثمانية مع الدول الأوروبية قبل الحرب العالمية الأولى) دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٦٠م .
- زكى صالح (دكتور) : بريطانيا والعراق ، جامعة بغداد ، بغداد ، ١٩٦٨م .
- زاهر رياض (دكتور) : استعمار إفريقيا ، جامعة القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ، ١٩٦٥م .
- سعاد ماهر (دكتورة) : البحرية الإسلامية فى مصر وآثارها الباقية ، وزارة الثقافة ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧م .
- سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) : تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٦م .
- السيد محمد رجب حراز (دكتور) : التوسع الإيطالى فى شرق إفريقيا وتأسيس مستعمرتى إريتريا والومال ، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٦٠م .
- السيد مصطفى سالم (دكتور) : تكوين اليمن الحديث (اليمن والإمام يحيى ١٩٠٤ - ١٩٤٨) ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٠م .
- الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط من القرن السابع عشر إلى القرن التاسع عشر الميلادى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٢م.
- صابر طعيمه : التاريخ اليهودى العام ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٥م .
- صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية فى ماضيها وحاضرها ، دار النهضة العربية ، بيروت، ١٩٧٠م .
- صلاح العقاد (دكتور) : جزيرة العرب فى العصر الحديث (السعودية - اليمن - جمهورية اليمن الشعبية) معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٩م.
- عادل أحمد الجادر : أثر قوانين الانتداب فى إقامة الوطن اليهودى فى إسرائيل ، مركز الدراسات الفلسطينية ، جامعة بغداد ، بغداد ، ١٩٧٦م .
- عادل حسن غنيم : الحركة الوطنية الفلسطينية من ١٩١٧ - ١٩٣٦م ، مطبعة جامعة القاهرة - القاهرة ، ١٩٧٤م.
- عباس محمود العقاد : سعد زغلول (مسيرة وتحية) ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٦م .
- عبد الحميد البطريق : التيارات السياسية المعاصرة فى أوربا ١٨١٥ - ١٩٦٠، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٤م .

- « « « : التاريخ الأوربى الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٤م .

- عبد الخالق لاشين : سعد زغلول ودوره فى السياسة المصرية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٥م.

- عبد الرحمن زكى (دكتور) : تاريخ الشعوب الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦١م .

- عبد الرحمن البزاز : العراق من الاحتلال حتى الاستقلال ،جامعة بغداد ، بغداد ، ١٩٦٧م.

- عبد الرحمن الرافعى : ثورة ١٩١٩ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٦.

- « « « : فى أعقاب الثورة ، الجزء الأول ، من أبريل ١٩٢١ - ٢٣ أغسطس ١٩٢٧، مكتبة النهضة ، القاهرة ، ١٩٤٧م .

- « « « : مصر والسودان فى أوائل عصر الاحتلال (تاريخ مصر القومى من ١٨٨٢ - ١٨٩٢) ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٦م.

- عبد الرحمن الشايجى (دكتور) : المسألة التونسية والسياسة العثمانية من ١٨١١ - ١٩١٣ ، ترجمة : د. عبد الجليل التميمى من الفرنسية ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، ١٩٧٣م .

- عبد العزيز سليمان نوار (دكتور) : مصر والعراق (دراسة فى تاريخ العلاقات بينهما حتى نشوب الحرب العالمية الأولى) ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٨م .

- « « « : تاريخ العراق الحديث ، جامعة بيروت العربية ، بيروت ، ١٩٧٥م .

- عبد العزيز الرفاعى (دكتور) : ثورة مصر ١٩١٩ (دراسة تاريخية - تحليلية من ١٩١٤- ١٩٢٣) ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٦م.

- عبد العظيم رمضان (دكتور) : تطور الحركة الوطنية فى مصر ١٩١٨ - ١٩٣٦م ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٤م .

- على حسين السليمان : العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك - جامعة القاهرة ، الشركة المتحدة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م .

- على إبراهيم حسن (دكتور) : مصر فى العصور الوسطى من الفتح العربى إلى الفتح العثمانى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٤م .

- « « « : دراسات فى تاريخ المماليك البحرية وفى عصر الناصر محمد بوجه خاص ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٠م .

- على حسون (دكتور) : تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية ، المكتب الإسلامى ، دمشق ، ١٩٨٠م .

- علي جودت : ذكريات علي جودت ١٩٠٠ - ١٩٥٨ ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، ١٩٦٧م .
- عمر عبد العزيز عمر (دكتور) : دراسات فى تاريخ العرب الحديث والمعاصر :
- مصر ١٥١٧ - ١٩٥٢ .
- القضية الفلسطينية . دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٥م .
- عودة بطرس عودة : القضية الفلسطينية فى الواقع العربى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٢م.
- فاروق عثمان أباظة (دكتور) : سياسة بريطانيا فى عسير أثناء الحرب العالمية الأولى (دراسة وثائقية)، دار المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٨١م .
- « « « : العلاقات البريطانية اليمنية فيما بين الحربين العالميتين ، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٨٢م .
- « « « : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر من ١٨٣٩ - ١٩١٨ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٦٧م .
- فؤاد كرم : النظارات والوزارات المصرية (الجزء الأول منذ انشاء أول نظارة فى ٢٨ أغسطس ١٨٧٨ حتى قيام الجمهورية فى ١٨ يونيو ١٩٥٣) ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٦٩م
- فيلبى : تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية ، ترجمة : عمر الديراوى ، بيروت ، ١٩٦٧م .
- كارل بروكلمان : تاريخ لشعوب الإسلامية ، ترجمة : أمين نبيه فارس ، منير البعلبكى ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، ١٩٦٨م .
- كرستوفر سايكس : مفارق الطرق إلى إسرائيل ، ترجمة وتعليق : خيرى حماد ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، ١٩٦٨م .
- لوثر ب . ستودارد : حاضر العالم الإسلامى ، ترجمة : عجاج نويهض ، تعليق : الأمير شكيب أرسلان ، مجلدين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٥م.
- محمد أنيس (دكتور) : الدولة العثمانية والشرق العربى ١٥١٤ -١٩١٤م ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٠م .
- محمد محمود الصياد (دكتور) : السودان والحبشة ، مطبعة جامعة القاهرة ، القاهرة ، ١٩٦٠م .
- محمد فؤاد شكرى (دكتور) : مصر فى مطلع القرن التاسع عشر ١٨٠١ - ١٨١١م ، جـ٢ ، مطبعة جامعة القاهرة ، القاهرة ، ١٩٥٨م .

- محمد عبد الرحمن برج : قناة السويس (أهميتها السياسية والاستراتيجية وتأثيرها على العلاقات المصرية البريطانية من ١٩١٤ - ١٩٥٦) ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، فرع مصر ، القاهرة ، ١٩٦٨م.

- محمد حسن عويلى :(رئيس الدولة الاتحادية ووزير المعارف سابقًا) : اغتيال بريطانيا لعدن والجنوب العربى ، منشورات العصر الحديث ، بيروت ، ١٩٧١م .

- محمد حسين هيكل (دكتور) : مذكرات فى السياسة المصرية ، الجزء الأول من ١٩١٢ - ١٩٣٧ ، جزءان ، مطبعة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥١م .

- محمد منير البديوى : المتوكل على الودود عبد العزيز آل سعود ، الرياض ، ١٩٧٧م .

- محمود زايد (دكتور) : محمد أحمد عرابى إلى جمال عبد الناصر (الحركة الوطنية المصرية) الحركة الوطنية الحديثة ، الدار المتحدة للنشر ، بيروت ، ١٩٧٣م.

- محمود حسن صالح منسى (دكتور) : تصريح بلفور (مع قسم خاص عن فلسطين فى تقارير لجنة بيل الأمريكية) ، مطبعة جامعة القاهرة ، القاهرة ، ١٩٧٠م.

- موريس كروازيه : تاريخ الحضارات العام (العهد الحاضر بحثًا عن حضارة جديدة) ، ترجمة : أسعد داغر، الدار المتحدة للنشر ، بيروت ، ١٩٧٠م .

- مكى شبيكة (دكتور) : تاريخ شعوب وادى النيل (مصر والسودان فى القرن التاسع عشر الميلادى) نشر وتوزيع دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٥م .

- نعيم زكى فهمى (دكتور) : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب فى أواخر العصور الوسطى ، مطبعة جامعة القاهرة ، القاهرة ، ١٩٦٣م .

- هانز أوليفر : اليمن من الباب الخلفى ، تعريب : خيرى حماد ، الدار المتحدة للنشر ، بيروت ، ١٩٦١م .

- وحيد علم الدين : العهود المتعلقة بالوطن العربى ١٩٠٨ - ١٩٢٢، منشورات العصر الحديث ، بيروت ، ١٩٦٥م.

- ول ديورانت : قصة الحضارة (الإصلاح الدينى) الجزء الثانى ، المجلد الرابع / ١٣ ، ترجمة : محمد بدران، اختارته وانفقت على ترجمته الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٨م .

- وليمز سيتون : بريطانيا والدول العربية (عرض للعلاقات الإنجليزية العربية ١٩٢٠-١٩٤٨) ترجمة وتعليق : د. أحمد عبد الرحيم مصطفى ، مراجعة : د. أحمد عزت عبد الكريم ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٢م .

- يونان لبيب رزق (دكتور) : مصر والسودان ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠م.

ب – باللغة الأجنبية :

- Ahamad F.: The Young Turkish, London, 1939. University Oxford press.
- Arnakes : The near East in the modern times. Volum forty crucial years 1900 - 1940, New York, 1977.Un. Ahia press .
- Bent : The ancient trade rout across Ethiopia. tom.1, London, 1893. Un: Oxford press .
- Baissonade : Life and work in the medierval Europe. Un : Campridge press, London, 1940 .
- Baneire : La decovert de l'Afrique au moyen Age, Un: Sorpon press, tom.3, Paris, 1950 .
- Budge : Ethiopia, Vol .11, London, 1955 . Un: Oxford press.
- Bülow, Price Van : Memoris 1897 - 1903, on the Keasers visit to Turkey, chapter VI, London, 1913. Un: Campridge press .
- Belhaven, Lord : The Kingdom of Melchair, London 1949 . Un: Campridge press .
- Bury.G.W.: arabian infelix or the Turks in Yemen, Macmillian and Co. press, London, 1915. Un: Oxford .
- Carnevin : Colonialism in Africa 1870 - 1960, Vol.2, The history and political of colonialism 1870 - 1914, Idited by . L.H. Cain petter Duignan, London, 1979 .
- Chmidt : A concise history of the middle East, N.Y., 1970. Editor press.M. Zmemer .
- Chirol, Sir : The Turkish Empire from 1914 - 1924, third edition, Lahor, Pakistan, 1958. Un : Lahor, Press.
- Cornwallis : High land of Ethiopia, London. 1844. Un: Oxford press.
- Darrage, Ahamed : L'Egypt sous le Regne de Barsbay. University Sorpon press, Paris, 1965 .
- Diel, Venise : London, 1960. Un : Campridge, press .
- Dearhorn : The all-highest Goes to Jerusalem, New York, 1918. Un: New Gercy press. 1960 .
- Desmond, Stemwart : The middle East temple of Janus. Edited by Hamisk Hamilton, London, 1927 .

- Donsian, R.: Turkey, New Gercy, U.S.A. 1968 .

- Dickson : Kuwait and her neighbours, London, 1960. Un: Oxford press .

- Dgemal Pasha : Memories of Turkish statesman, 1913 - 1919 . Arns press, and New York times Company, N.Y. 1973 .

- Elggod : Egypt and the army, Oxford, Humphery Milford, 1924. Un: Oxford .

- Fisher : The middle East in history, London, 1961. press by the Ohia state university .

- Farnie : East and West of Suez, The Sues Canal in history 1854 - 1956, London, 1969. Un: Oxford press .

- Gabriel F.: The Arab revival, London, 1961. Un: Oxford press.

- Gavin, R.J.: aden under British Rule, 1939-1967. Un: Campridge pres, London, 1980 .

- Gooch.C.: History of modern Europe, New York, 1924 . Un: Michigan press .

- Halborn : A history of modern Jermany 1840 - 1945, London, 1964. Un: Campridge press.

- Hallberg : The Sues Canal, London, 1960. Un: Campridge press .

- Heyd : Histoir du commerse de levent au moyen Age, lom.2. Un: Sorpon press, Paris, 1960 .

- Hitti : The near East in history a 5000 years story, London, 197. Un : Princton press .

- Holt : Egypt and the Fertile crescent 1516 - 1922 . A political history, London, 1965. Un: Ox. press.

-Hurewitz.J.C. : Diplomacy in near and middle East, Volum 1 from 1533 - 1914, Volum 2 , 1914 - 1918, N.Y., 1941. Un: Michigan press .

- Idih. H.: The middle East collection Turkey faces West, Ner York, 1973. Un: Michigan press.

- James : Routs of Abyssinia. London, 1970 . Un: Campridge press .

- Jacob, H.: King of Arabia, Mills amd Boom, London, 1923. Un: Oxford press.

- Kammerer : Le Regine et le status de etrangers en Egypt. Un: Sorpon press, Paris, 1970 .

- Kedourie : Seed Zaghlul and the British. middle Estern Affairs number two, St. antony papers, London, 1961. Edited by Albert Houmi .

- Kedourie : England and the middle East, The distruction of the ottoman empire, 1914 - 1921, London, 1976. Edited by Albert Hourni .

- Keith, B.: Mandate, Journal of compartive legislative and international law, vol. IV, 1922. Un: Compridge press, London, 1970 .

- Kenneth, Williams : Ibun Saud, The Puritan King of Arabia , London, 1957. Un : Oxford press.

- Kirk : A short history of the middle East from the rise of Islam to modern times, University papers backs, London, 1964 .

- Levin E.: The German road to the East, London, 1916. Un: Cambridge press.

- Levies G. : Turkey. London, 1950, Un : Cambridge press .

- Little Tom : Modern Egypt. London 1967. Un : Oxford press .

- Lutsky V. : A modern history of the Arab countries. U.S.S.R. Academy of Science institute of the people of Asia, progress puplishers, Nosco, 1970 .

- Lloyd: Egypt since Cromer, vo. 1 , London, Macmillan press, 1933 .

- Lenzowski C : The middle East in the world affairs. Third edition, University of California of Perkley, N.Y. 1966 .

- Leapold Amery : My political life, vol. 11, London, 1970. Editted by Macmillian press .

- Mansfield P. : The British in Egypt . U.S.A., 1972 Un : California press .

- Marlow : Arab nationalism and British imperialism, A study in power politics, London, 1961. Un: Campridge press , Oxford press .

- ———— : The Sea of pilot, London, 1950. Un: Oxford press .

- Marcopola : Traveles of Marcopola, Vol. 1, London, 1940 .

- Mergery Perham : The government of Ethiopia, London, 1938. Un: Campridge press.

- Mause S. Lowerence Arab view, Oxford University, London, 1966, Un : Oxford press .

- Mann clearance Major : Abuthhabe Bitrt of an Sheikhdam, Also : C.F. British relation with Wahbees, end of political and external files, vol. 37, Beirut, 1964. Un: Amercan press .

- Monroe,Alizabeth : philby of Arabia, London, 1937 . Unversity Campridge press .

- Newman : Great Britain in Egypt . London, Murry, 1928, Un: Campridge press .

- Pudney J. : Suez delesseps canal. London, 1968. Un: Oxford press .

- Price M. : A history of Turkey from Empire to republic, London, 1961. Un: Oxford press .

- Philby : Arabia high lands. Un : Oxford press, 1952 .

- Philby : Sudi Arabia, London, 1970. Un: Oxford press .

- Philip Magnus : Kitchner. London, 1950. Un: Oxford press .

- Philip Graves : The life of Sir Percey Cox, London, 1937. Un: Oxford press .

- Plafair : A history of Arabia Felix or Yemen " From the commencement of the christian Era to the present time, including an account of the British settlement of Aden" . Bombay governement sentral press, 1859. New series number XLLX. London, 1970 .

- Polk William : The United States and the Arab World, Third edition, London, 1975 .

- Richmond S.: Egypt 1798/1952, her advance towords a modern identity, London. 1979. Un: Cambridge press.

- Randolf : The chinging Patterness of the middle East . London, 1961. Un: Oxford press .

- Reilly B. : Aden and the Yemen. London, 1960. Un : Harfard press .

- Chefer L. Voyage du outremier. London, 1965 .

- Sachar M.: The emergence of the middle East, London, 1975 . Un: Camp. press .

- Sylivia H. : Arab nationlism. An antholobegy. University California press, Los-Anglos, 1962 .

- Sanger R.H. : The Arabian peninsula. Cornll University press. Nw York. 1954. First puplished .

- Temperlay, H.W.V. : A history of the peace conference in Paris, puplished under the ouspices of the Pritish institute of international affairs, vol. VI, London, 1970 .

- Trimingham Spencer : Islam in Ethiopia . Un: Oxford press, 1958 .

- Trimingham Spencer : Islam in East Africa. Un: Oxford press, 1964 .

- Vatikiotes : The modern history of Egypt. The land of Pharons, London, 1969. Un: Oxford press .

- Wavel Field Marchal : Allenby in Egypt. London, Gorg G. Harrap and Co. 1934 .

- Wingate, Sir Ronald: Wingate of the Sudan, Lodon, Ghon Murray , 1955.

- Yale, William : The near East . A modern history. New York, 1968 .

- Zeine N. Zeine : The struggle for Arab. Independence, London, 1960 .

ثالثًا : البحوث :

– أحمد فخرى (دكتور) : اليمن بين القديم والحديث ، مجلة الجمعية المصرية الجغرافية ، القاهرة ، ٤ مارس ١٩٥٩م .

– توفيق مفرج : أوربا اليوم ، مجلة الهلال ، السنة ٢٢ ، الجزء الرابع ، أبريل ١٩١٤ .

– جاد طه (دكتور) : أسس تحول عدن إلى قاعدة جوية ١٩٢٧ – ١٩٢٩م ، مجلة دارة الملك عبد العزيز ، السنة ٦ ، العدد ٢٢ ، ربيع أول ١٤٠١هـ/ يناير ١٩٨١م .

– جمال زكريا (دكتور) :

  – موقف الكويت من التوسع السعودى في سواحل نجد والإحساء ، المجلة التارخية المصرية ، مجلد ١٧ ، القاهرة ، ١٩٥٧م .

  – المؤثرات السياسية للحرب العالمية الأولى على إمارات الخليج العربى ، المجلة التاريخية المصرية ، مجلد ١٦ ، القاهرة ، ١٩٥٧م .

  – موقف مصر من الحرب الطرابلسية ١٩١١ – ١٩١٤ ، المجلة التاريخية المصرية ، مجلد ١٧ ، القاهرة ، ١٩٦٧م .

– جرجى زيدان :

  – الدولة العثمانية وإيطاليا ، مجلة الهلال ، السنة ٢٠ ، جـ١ ، اكتوبر ١٩١٢ .
  – شذرات عن الحرب الحاضرة ، مجلة الهلال ، السنة ٢٣ ، جـ ١ ، اكتوبر ١٩١٤ .
  – أهم وقائع الحرب منذ بدئها ، مجلة الهلال ، السنة ٢٣ ، جـ ١ ، اكتوبر ١٩١٤ .
  – ضم جزيرة قبرص ، مجلة الهلال ، السنة ٢٣ ، جـ ١ ، اكتوبر ١٩١٤ .
  – الشرق الأوسط والحرب ، مجلة الهلال ، السنة ٢٣ ، جـ ١ ، اكتوبر ١٩١٤ .
  – القوميسيرية العثمانية فى مصر ، مجلة الهلال ، السنة ٢٣ ، جـ ٣ ، ١٩١٤ .
  – مصر والحرب ، مجلة الهلال ، السنة ٢٣ ، جـ ١ ، اكتوبر ١٩١٤ .
  – قناة السويس ، مجلة الهلال ، السنة ٢٣ ، جـ ١ ، اكتوبر ١٩١٥ .
  – أهم وقائع الحرب ، السنة ٢٤ ، جـ ٢٧ ، يناير ١٩١٥ .

- جوزيف سلامة : قناة السويس فى القانون الدولى ، مجلة الأبحاث ، السنة التاسعة ، جـ ٤ ، يناير ١٩٥٦ .
- سعد زغلول عبد ربه (دكتور) : البرتغاليون والبحر الأحمر ، ندوة أبحاث البحر الأحمر ، كلية آداب - جامعة عين شمس ، أغسطس ، ١٩٧٨م .
- سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) : بعض أضواء جديدة على العلاقات بين مصر والحبشة فى العصور الوسطى ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الرابع عشر ، ١٩٦٨.
- سلامة موسى : ذكريات الحرب العالمية الأولى ، مجلة الكاتب المصرى ، المجلد الخامس ، عدد ١٧ فبراير ١٩٤٧.
- سليمان حزين : الشرق الأوسط والحرب ، مجلة الكاتب المصرى ، مجلد ٢ ، عدد ٧ أبريل ١٩٤٦ .
- سليمان مصطفى ريس (دكتور) : إلمامة عن أحوال القاهرة الاقتصادية وعلاقاتها مع الخارج فى عصر الفاطميين ، أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ، مارس ، أبريل ١٩٦٩ ، جـ ٢ ، ١٩٧٢.
- سيد الناصرى (دكتور) : الرومان والبحر الأحمر : كلية الآداب - جامعة عين شمس ، ندوة أبحاث البحر الأحمر ، القاهرة ، أغسطس ١٩٧٨ .
- شوقى عطا الله الجمل (دكتور) : مصر والبحر الأحمر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، المجلة التاريخية المصرية ، جـ ٧ ، القاهرة ١٩٥٧م.
- عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم (دكتور) : النشاط التجارى فى البحر الأحمر فى العصر العثمانى من ١٥١٧ - ١٧٨٩م ، ندوة أبحاث البحر الأحمر ، القاهرة ، أغسطس ١٩٧٨م .
- على إبراهيم عبده (دكتور) : أزمة فاشودة عام ١٨٩٨م ، المجلة التاريخية المصرية ، جـ٦ ، القاهرة ١٩٥٧م .
- فائق بكر الصواف (دكتور) : أهمية ثغر جدة فى النصف الأول من القرن العاشر الهجرى (١٦م) ، ندوة أبحاث البحر الأحمر ، القاهرة ، أغسطس ١٩٧٨م .
- ليلى عبد اللطيف أحمد (دكتور) : أهمية بندر السويس فى العصر العثمانى ، ندوة أبحاث البحر الأحمر ، القاهرة ، أغسطس ١٩٧٨م .
- لويس شيخو :
  - وقائع العام المنصرم ، مجلة المشرق ، العدد الأول ، بيروت ١٩١٢م.
  - الشرق ومجرياته فى العام المنصرم ، مجلة المشرق ، العدد الأول ، بيروت ، ١٩١٢م .
  - أعظم طامة فى الحرب العامة ، مجلة المشرق ، العدد الأول ، بيروت ، ١٩٢٠ .
  - حوادث العام المدبر ، مجلة المشرق ، العدد الأول ، بيروت ١٩٢٠ .
- لويس زنزفال : الدول المتحالفة ، مجلة المشرق ، العددالأول ، ١٩١٤م .

- محمد رفعت :
- مصر وحيدة قناة السويس ، مجلة الكاتب المصرى ، مجلد ١ ، عدد ١ ، القاهرة ، فبراير ١٩٤٥م.
- مشكلة المضايق ، مجلة لكاتب المصرى ، مجلد ١ ، عدد ١ ، القاهرة ، أكتوبر ١٩٤٥ .
- بين تركيا وروسيا ، مجلة الكاتب المصرى ، مجلد ١ ، العدد ٦ ، القاهرة، مارس ١٩٤٦م.
- بريطانيا وحوض البحر الأبيض المتوسط ، مجلة الكاتب المصرى ، مجلد ٣ ، عدد ٩ ، يونيو ١٩٤٦.
- الحركة الوطنية فى ليبيا ، مجلة الكاتب المصرى ، مجلد ٥ ، عدد ٥ ، ١٧ فبراير ١٩٤٧م.
- سياسة الدول فى الشرق الأوسط ، مجلة الكاتب المصرى ، مجلد ٨ ، عدد ٢٩ ، ١٩٤٨ .
- محمد رشيد رضا :
- اليابان وروسيا ، مجلة المنار ، المجلد ٦ ، جـ ٢٢ ، القاهرة ، فبراير ١٩٠٤م.
- انطفاء فتنة نجد ، مجلة المنار ، مجلد ٨ ، ١٩ يونيو ١٩٠٥م.
- سياسة إيطاليا ومطامعها فى بلاد المسلمين ، مجلة المنار ، المجلد ١٠ ، جـ ٨ ، القاهرة ١٩٠٧م .
- خطاب عام ، مجلة المنار ، مجلد ١٧ ، جـ ١٢ ، سبتمبر ١٩١٤ .
- الوهابيون والحجاز ، مجلة المنار ، مجلد ١٧ ، جـ ١٢ ، ١٩٢٦م.

محمد عوض محمد : الانتداب والوصاية والاستعمار ، مجلة الكاتب المصرى ، مجلد ٢ ، عدد ٦ ، مارس ١٩٤٦ .

- محمد عبد الله عنان :
- مصر ومصير المستعمرات الإيطالية ، مجلة الكاتب المصرى ، مجلد ١ ، عدد ٤ يناير ١٩٤٦ ، القاهرة .
- مصر والمستعمرات الإيطالية ، مجلة الكاتب المصرى ، مجلد ٢١ ، عدد٤ ، ١٩٦٦ .
- مصطفى النجار (دكتور) : الوثائق البريطانية وأهميتها فى كشف المصالح البريطانية فى جزيرة العرب بعد الحرب العالمية الأولى من عام ١٩١٤ - ١٩١٨، مجلة المؤرخ العربى ، عدد ١٢ ، جامعة بغداد ، ١٩٨٠ .

- ياسر عباس الزيدى (دكتور) : القوى الاستعمارية والخليج العربى ، مجلة المؤرخ العربى ، العدد ١٢ ، جامعة بغداد ، ١٩٨٠ م .
- يونان لبيب رزق (دكتور) : جزيرة كمران بين الاحتلال العسكرى وتحديد التبعية السياسية ١٩١٥ - ١٩٢٩ . أبحاث الأسبوع العلمى الثالث ١٩٧٩ ، من ١٠ - ١٥ مارس ١٩٧٩ . كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، القاهرة .
- يعقوب صروف :
- الحرب الأوربية الكبرى ، مجلة المقتطف ، مجلد ٤٥ ، جـ ٣ ، سبتمبر ١٩١٤ .
- المباراة فى الاستعداد للحرب ، مجلة المقتطف ، مجلد ٤٦ ، جـ ٥ ، نوفمبر ١٩١٤.
- الجيوش المتحاربة ، مجلة المقتطف ، مجلد ٤٦ ، فبراير ١٩١٥ .
- خسائر الحرب ، مجلة المقتطف ، مجلد ٤٦ ، يونيو ١٩١٥ .

رابعًا : الدوريات :

أ - الصحف :

- صحيفة القبلة :
  - عدد الاثنين ٣ محرم ١٣٣٦هـ / ١٩١٦م .
  - عدد الاثنين ١٨ ذو القعدة ١٣٣٦هـ / ١٩١٦م .
  - عدد الاثنين ٢٨ذو القعدة ، ١٣٣٦هـ / ١٩١٦م .
  - عدد الاثنين ١١ ذو الحجة ١٣٣٦ هـ / ١٩١٦م .
  - عدد ١٧٩ فى ٢٧ رجب ١٣٣٧ هـ / ١٩١٧ م.
  - عدد ٢١٨ يوم الخميس ٢٧ ذو الحجة ١٣٣٧ هـ / ١٩١٧م .
- صحيفة الكواكب : العدد ١٤٨ الصادر فى ١٨ يوليو ١٩١٩م .
- الأهرام : عدد ٧ أغسطس ١٩١٧م.
- الوقائع المصرية :
  - عدد ٣ نوفمبر ١٩١٤ خاص (بإعلان الأحكام العرفية على مصر) .
  - عدد ٧ نوفمبر ١٩١٤ خاص (بقطع العلائق بين انجلترا والدولة العلية).
  - عدد ١٨ ، ١٩ ديسمبر ١٩١٤ .
- المقتطف :
  - عدد فبراير ، مارس ١٩١٥ .
  - عدد ١١ أبريل ١٩١٥ ، خاص (باقتحام الدردنيل) .
  - عدد يناير ١٩١٧ ، خاص (بالأسطول البريطانى) .

- عدد ١٩ يناير ١٩١٩م .
- عدد يونيو ١٩١٩م .

المقطم :

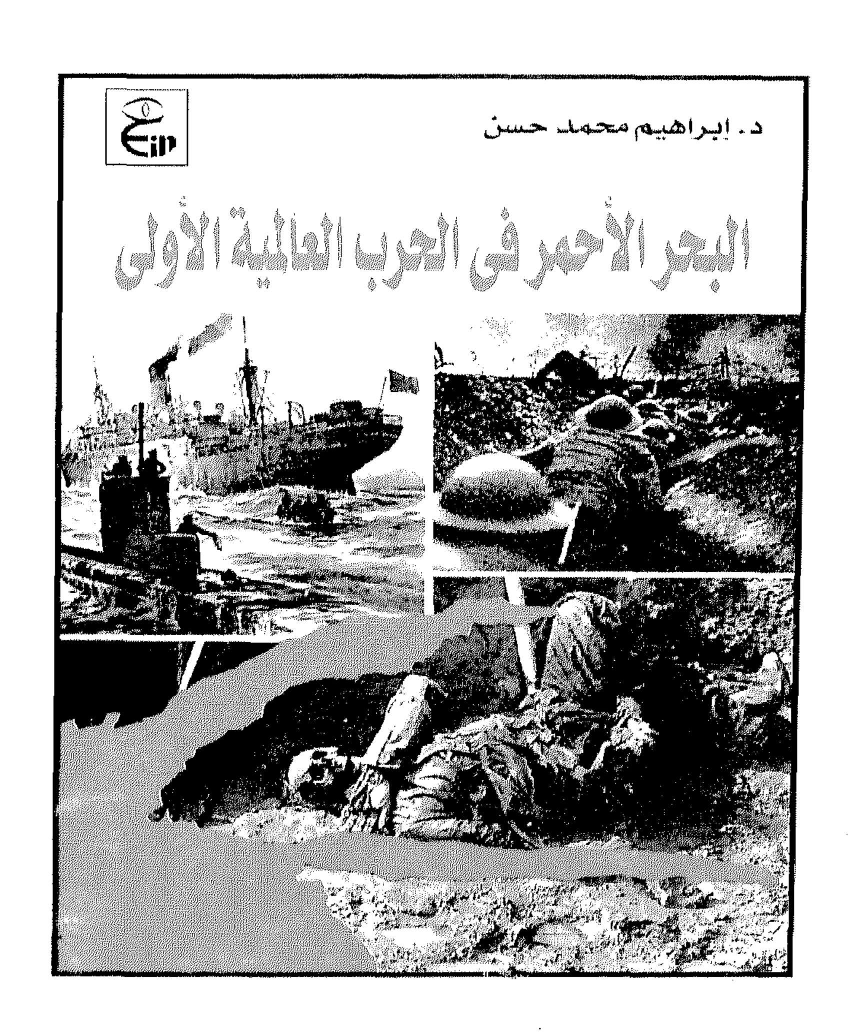
- عدد رقم ٧٦٨٢ فى ١٩١٤/٧/١ .
- عدد ١٩١٥/٩/١٦.
- عدد ٨٨٤١ فى يوم الأربعاء ١ أبريل ١٩١٨.
- عدد ٩٥ الصادر فى ٢١ مايو ١٩١٨ .

ب - المجلات :

- مجلة الأبحاث : السنة التاسعة ، الجزء الثانى ، نوفمبر ١٩٥٥م.
- مجلة الهلال : الجزء الثانى ، أول نوفمبر ١٩٢١ مقال (لماذا لم تشهر أمريكا الحرب على تركيا) .

الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨
940.40091749...

رقم الإيداع ٩٨/٩٧٧٨
الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 5487 - 93 - 5
دار روتابرينت للطباعة ت: ٣٥٥٢٣٦٢ - ٣٥٥٠٦٩٤
٥٣ شارع نوبار - باب اللوق





عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية

FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

To: www.al-mostafa.com